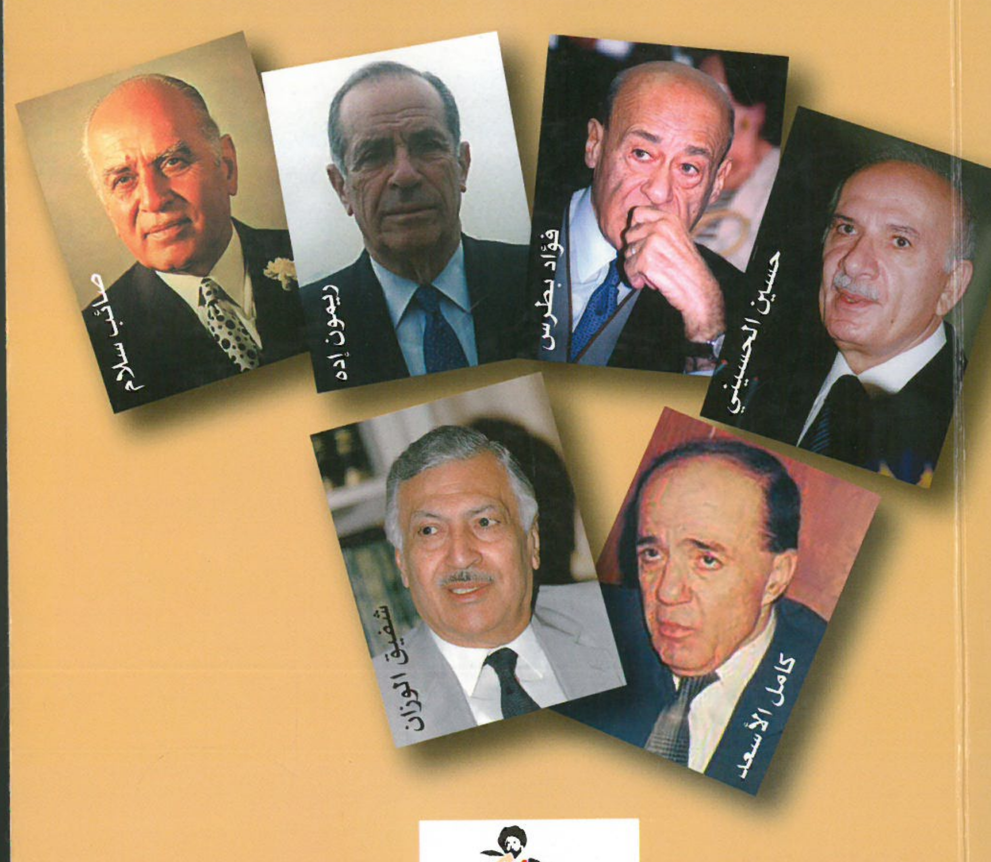
غسان شربل

لبنان

دفاتر الرؤساء

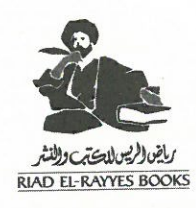




غسان شربل

لبنان
دفاتر الرؤساء




رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

Lebanon: Notebooks of Presidents

Ghassan Charbel

First Published in July 2014

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 978 - 9953 - 21 - 588 - 4

الطبعة الأولى: تموز (يوليو) ٢٠١٤

لشراء النسخ الإلكترونية:
www.arabicebook.com

تصميم الغلاف: هوساك كومبيوتر برس

المحتويات

المقدمة

ليس بسيطاً أن يرى اللبنانيون سورية تتخبط في دمها. وأن ينقسموا على ما يجري فيها. هذا يتحدث عن ثورة على الطغيان. وذاك يتحدث عن قمع هجمة إرهابية. وثالث يرى في الحرب الأهلية هناك جزءاً من الحرب المذهبية المستعرة في الإقليم. لا يستطيع لبنان الهروب من قدره السوري. أحكام الجغرافيا مبرمة. وتتضاعف وطأتها على البلدان التي يكون تعدد الانتماءات فيها مرادفاً للهشاشة. يدفع لبنان الثمن مرتين: الأولى حين تكون سورية قوية ومستقرة والثانية حين يتوزع السوريون محاربين وقتلى ومذعورين ونازحين يملأون مدنه وقراه.

في روما قال لي وزير الخارجية الليبي السابق عبد الرحمن شلقم إن معمر القذافي استنتج من تجربة جمال عبد الناصر أن بيروت مصنع الزعامة العربية أو شرفة الإعلان عنها، بحكم تركيبتها وموقعها

وإعلامها. وأضاف أنّ القذافي رأى أنّ كل شيء قابل للشراء في بيروت، وأن الضمائر مطروحة في السوق كالشقق المفروشة. ولهذا حاول القذافي اقتناء شرفة لبنانية لأحلامه وأوهامه قبل أن يكتشف «أنّ أول من قبض كان أول من خان».

آلمني كلام شلقم لكنني تذكرت أن آخرين حاولوا حجز شرفات لهم في لبنان بالمال أو السلاح أو الترهيب. أفرط ياسر عرفات الذي كان يبحث عن معقل على ضفاف وطنه في استخدام الشرفة اللبنانية. ناءت تحت أثقال ثورته واهتزت ركائز استقرارها. صدام حسين وقع أيضاً في جاذبية بيروت. تقدّم هو الآخر ليصادرها من يد غريمه حافظ الأسد فاندلعت النار في أرجاء الشرفة.

بعد حرب ١٩٧٣ التي أعطته شرعية المحارب، أدرك الأسد استحالة استعادة الجولان بالوسائل العسكرية لأسباب أميركية وسوفياتية أيضاً. بحث عن مدى حيوي لزعامته واصطدم بحقائق ووقائع. تركيا ليست عربية لكنّها أطلسية وقوية.

العراق البعثي المعادي عصيٌ على الاختراق. الأردن تحرسه مظلّة دولية ومِلكه ماهر في السباحة وقراءة اتجاهات الرياح. كان لبنان الحلقة الأضعف. أحكم الأسد ربط لبنان بقدره السوري. غيّر معادلاته وزعاماته. وفي العهد السوري صنعت دمشق لبيروت

رؤساء وجنرالات، فبدا البلد موحّداً من فوق ومفكّكاً من تحت. وحين انسحب الجيش السوري من لبنان بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري في ٢٠٠٥ ناب «حزب الله» عن سورية في حراسة لغة الممانعة، وصار على لبنان أن يفكّر أيضاً في قدره الإيراني. نجحت طهران في ما فشلت فيه بغداد أو دمشق وهو التسرب إلى عمق التركيبة اللبنانية والمرابَطة فيها.

حين اندلع «الربيع العربي» كان لبنان منهكاً بفعل الاغتيالات والتجاذبات وأثمان أعوام الجمر. وحين شبّ الحريق في سورية اندفع سريعاً إلى قدره السوري. شبان من الطائفة السنّية في شمال لبنان اجتازوا الحدود لدعم المعارضة السورية. ولاحقاً أعلن «حزب الله» تدخُّل قواته في الصراع الدائر في سورية. انقسم السنّة والشيعة على سورية وفيها وتعمق الانقسام بينهم في لبنان.

كشفت المأساة السورية مقدار التمزق الذي أصاب المعادلة اللبنانية. اتخذ لبنان موقعه على خريطة النزاع السني ـ الشيعي المفتوح. حاول لبنان الرسمي الاحتماء بشعار «النأي بالنفس»، لكنّ الواضح أن اللبنانيين كانوا قد ذهبوا إلى النار السورية، وأنها قد لا تتأخر في التدفق على طريق دمشق ـ بيروت. افتقدت الدولة اللبنانية المتداعية صمّامات الأمان. ضاعف الخطورة انحسار دور الموازنة بفعل الاستنزاف في

الحروب المارونية ـ المارونية التي قلّصت أدوارهم وسهّلت تهميشهم ومحاولات تنصيب رؤساء لهم خلافاً لإرادتهم. بدا الموارنة أقل قدرة على الاضطلاع بدور تاريخي هدفه حماية التركيبة وترميمها. غاب سلاحهم وانحسرت علاقاتهم واهتمام الغرب بهم وتعمّقت غربتهم في منطقة شهدت صعود الأصوليات وهجرة الأقليات.

دخلت المأساة السورية عامها الرابع وبدا المشهد قاتماً. لا النظام قادر على إنهاء المعارضة وإن سدّد إليها ضربات موجعة، ولا المعارضة قادرة على إسقاط النظام وإن صعّدت عمليات استنزافه. في المقابل التقطت روسيا فرصة الحريق السوري لتعلن أن عهد التفرد الأميركي بإدارة العالم انتهى. وجاءت الأزمة الأوكرانية لتعطي روسيا فرصة الكشف عن استعادتها أنيابها. في موازاة ذلك تمسكت إيران بالموقف الذي اتخذته منذ بدء الأحداث وهو منع إسقاط نظام الأسد وإصرارها على الهلال الموصل إلى المتوسط بعدما حجزت موقعها في عواصم الهلال الذي يضم بغداد ودمشق وبيروت.

بدت المجتمعات العربية عاجزة عن اقتناص فرصة «الربيع». ظهرت القوى الشبابية حائرة والقوى الديموقراطية هشة وتقدمت الأحزاب الدينية. وبدل أن يكون «الربيع» فرصة للتصالح مع العصر أو الانتماء

إليه تحول فرصة لتأكيد الاصطدام به. وسرعان ما تقدمت «القاعدة» لملء الفراغ. ساهم تقاطر «المقاتلين الجوّالين» إلى سورية في تظهير الصورة المخيفة. إنه سقوط الحدود ومعه سقوط التعايش. يعتقد المتشائمون أن سقوط الحدود وسقوط التعايش واستهداف الأقليات كلها عناصر تعلن فشل فكرة لبنان في حد ذاتها. يقوم لبنان أصلاً على اعتراف متبادل. الاعتراف بالاختلافات. وقبول الآخر وحقه في الاختلاف. حقه في أن يقرأ في كتاب آخر. وأن ينهل من منابع غير متطابقة. وكان اختلاف الانتماءات والكتب والأغاني يُعدّ مصدر تنوع وثراء تحت سقف دولة تلتقي فيها ألوان الطيف اللبناني من دون أن يتاح لواحد منها فرض الزي الموحد وإلغاء ألوان الآخرين. المتشائمون أنفسهم يلفتون إلى وهن الضلع الماروني في المثلث اللبناني وإلى التغيير العميق الذي طرأ على الضلع الشيعي بفعل صعود «حزب الله» وإلى خطر تنامي الأصولية في الضلع السني إذا طالت الحرب في سورية وطال النزاع المذهبي في المنطقة.

درجتُ منذ أعوام على زيارة إقليم كردستان. فهو جزء من العراق حتى إشعار آخر، ثم إنه متاخم لقوتين إقليميتين هما إيران وتركيا فضلاً عن سورية. عدت من زيارتي الأخيرة في ربيع ٢٠١٤ بحصيلة مقلقة. قال لي رئيس الإقليم مسعود بارزاني «إنّ العراق يتفكك وإن التعايش بين مكوناته يلامس السقوط وإنّ

سورية لن ترجع كما كانت». وأعرب عن اعتقاده بأنّ الخرائط التي اصطنعت بعد الحرب العالمية الأولى مهددة بالانفجار والتفكك ما لم يعتنق المقيمون فيها قيم التعايش وقبول الآخر والديموقراطية.

من المبكّر تكهن ما ستكون عليه سورية يوم تصمت المدافع فيها. لن يكون من السهل توزيع الحقوق والحصص والضمانات على السنّة والعلويّين والمسيحيّين والدروز والأكراد. يميل كثيرون إلى الاعتقاد بأن حفظ وحدة سورية سيعني نصب خيمة دولة ضعيفة فوق مكوّنات تمتلك حق تبادل الفيتو. ويقولون إن الخيار الآخر، وهو تقسيم سورية، سيكون خياراً انتحارياً لها وكارثياً لجيرانها.

هكذا يعيش لبنان في منطقة بالغة الصعوبة: دول الخليج قلقة. مصر تصارع للخروج من محنتها. تفكُّك في اليمن. وتفكُّك في العراق. وتفكُّك في سورية. حدود منتهكة. وأصوليات جوّالة. وتعايش مريض. لا يستطيع لبنان أن ينأى بنفسه عن رياح المنطقة وسمومها. لا يستطيع لأنّ أبناءه منخرطون في هذه النزاعات والتمزّقات. وإذا كانت سورية أخرى ستولد من هذا الجحيم الذي تعيشه فليس من الغريب أن يولد لبنان آخر على رغم ما تفرضه تركيبته ومعادلاته السكانية من ضوابط تحول دون فوز الصقور بحصة الأسد.

لنترك جانباً نصوص الدستور. ولنترك اتفاق الطائف الذي طُبِّق منه ما يتعلق بالصلاحيات وتمّ تجاهل ما هدف إليه في شأن بناء المؤسسات. وإذا تركنا ذلك يمكن القول إن لبنان يعيش في ظل نظام أقاليم متداخلة وغير مكتملة. زعامة الإقليم الشيعي معقودة للسيد حسن نصر الله الأمين العام لـ«حزب الله» مع دور للرئيس نبيه بري. زعامة الإقليم السني معقودة للرئيس رفيق الحريري ومن بعده لنجله سعد مع هامش لأدوار أخرى. زعامة الإقليم الماروني موضع نزاع دائم بين ميشال عون وسمير جعجع. لم يؤدّ شطب رفيق الحريري إلى تغيير في زعامة الإقليم الذي ينتمي إليه بل عزّز زعامة آل الحريري على رغم إقامة سعد الحريري خارج البلاد. محاولة تمثيل الإقليم السنّي بآخرين أثبتت فشلها وزادت الانزلاق المذهبي. أدارت دمشق ببراعة لعبة ترتيب التعايش والتنافر بين الأقاليم وعلى قاعدة الحاجة الدائمة إلى الوسيط السوري. بذلت جهداً خاصاً لتطويع الإقليم الماروني الذي استجار بعض قادته بها تحت وطأة الحرب ثم راحوا يناكفونها رافضين الثمن الباهظ الذي طالبت به وهو إدارة دائمة للشأن اللبناني. رسب اللبنانيون في الامتحان يوم غابت الإدارة السورية المباشرة لشؤونهم خصوصاً بعدما ضاعفت الاغتيالات والاتهامات مشاعر الريبة بين أبناء الأقاليم.

يواجه لبنان تحدياً غير مسبوق. لن يكون سهلاً

التعايش مع نزاع مدمر وطويل في سورية. تتخطى المسألة الشظايا المتطايرة عبر الحدود. الرحلة السورية لمقاتلي «حزب الله» قد تمتدّ طويلاً. ثم إن لبنان الذي يئنّ تحت ارتباكه السياسي والأمني والاقتصادي يستضيف من اللاجئين السوريين ما يناهز ثلث سكانه. ثم ماذا يفعل لبنان إذا ترسخت في سورية خطوط تماس مذهبية وجلس النظام على جزء من الخريطة وتوزعت المعارضات على أجزاء أخرى؟ وماذا لو انقسمت سورية؟ في الشهور الماضية وفي ظل هذه الصورة القاتمة ومع اقتراب موعد انتهاء ولاية الرئيس ميشال سليمان، تجدد الحديث عن الانتخابات والفراغ والرؤساء. لاحظتُ أن كثيرين من الشبان يتحدثون كأن تاريخ لبنان بدأ مع الحرب الأهلية التي عاشها. وفي ذلك خطأ وظلم. لا يحق لنا تجاهل أن لبنان حاول بعد استقلاله بناء دولة ومؤسسات. صحيح أن تلك التجربة سقطت تحت وطأة مطالب الداخل وتجاذبات الخارج، لكنّ الصحيح أيضاً هو أن لا معنى للبنان إن لم يحتفظ ببعض روح تلك التجارب.

أعادتني نصيحة من الصديق الناشر رياض الريس إلى أوراق كنت قد تركتها في عهدة النسيان. أعادتني إلى حوارات أجريتها مع سياسيين ورؤساء وتحدثوا فيها عن أبرز الأزمات في العهود التي تولوا فيها مواقع المسؤولية أو اضطلعوا بدور المعارض لها. وخامرني شعور بأن جمع هذه الحوارات في كتاب قد يعطي

صورة عما فعله سياسيون ورؤساء لم يحملوا البنادق وعارضوا زمن الميليشيات ولعبوا أدواراً في وصول رؤساء وتشكيل حكومات.

في مطلع التسعينيات، وكنت أعمل في صحيفة «الشرق الأوسط»، قصدتُ منزل الاستاذ فؤاد بطرس نائب رئيس الوزراء، وزير الخارجية السابق الذي يتفق كثيرون على أنّ دوره كان أكبر من لقبه على أهميته. أجريتُ معه حواراً بعنوان «ثلاثة عهود شهابية وفكرة الدولة». وأرفقتُ الحوار بشهادات ممّن عاشوا تلك المرحلة عن قرب، أحتفظ منها هنا بشهادتين ثمينتين للمفكر منح الصلح والأستاذ كريم بقرادوني. بعدها وخلال عملي في مجلة «الوسط» التي كانت تصدر عن «دار الحياة» أجريتُ الحوارات الأخرى التي يتضمنها هذا الكتاب.

في ١٩٩٤ حاورتُ الرئيس حسين الحسيني الذي تعرّفت إليه خلال عملي في «النهار» وحين كان صالون رئيس تحريرها ميشال أبو جودة يضمّ نخبة بينها الحسيني وتقي الدين الصلح وريمون إده ومنح الصلح. وفي السنة التالية قصدت العميد ريمون إده في منفاه الباريسي وسألتُه عن الرئاسة والرؤساء. وفي ١٩٩٦ حاورتُ الرئيس صائب سلام «البيروتي العتيق»، وامتدت الذكريات من وصول فؤاد شهاب إلى وصول بشير الجميل. وفي ١٩٩٩ نشرت حواراً

كنتُ قد أجريته مع الرئيس شفيق الوزان تطرّق فيه إلى الاحتلال الإسرائيلي لبيروت عام ١٩٨٢ وقصة «اتفاق ١٧ أيار». وفي ٢٠٠١ حاورت الرئيس كامل الأسعد وسألته عن أبرز المحطات في علاقاته بالرؤساء.

تسلّط الحوارات الضوء على أزمات ومواقف وممارسات. هل صحيح أن فؤاد شهاب كان يتعاطف مع ثورة ١٩٥٨ وأنه أبلغ كمال جنبلاط ذلك ولو في صيغة مواربة؟ وهل صحيح أنه كان يريد التجديد ولكن من دون أن يطلب؟ وهل صحيح أنّ شارل حلو كان يحلم منذ وصوله بإنهاء الشهابية؟ وهل صحيح أن الرئيس سلام رشح سليمان فرنجية للرئاسة حول طاولة الزهر؟ وهل صحيح أن حافظ الأسد لم يطلب صراحة من كامل الأسعد إرجاء جلسة انتخاب بشير؟ ولماذا أيدَ الياس سركيس وصول بشير بعدما كان يكره الشاب «الأزعر»؟ وما هي قصة اتفاق الطائف وانتخاب الرئيسين رينيه معوض والياس الهراوي؟ وما هو فن كتابة خطب الرؤساء؟

أسئلة أخرى كثيرة تراود قارئ الحوارات. هل كان رئيس الجمهورية أسير القصر وضوابط التركيبة اللبنانية أم أسير طائفته التي لم يكن زعيمها؟ هل كان أسير التوازنات العربية؟ هل كان عليه ان يفكر قبل اتخاذ قراره بجمال عبد الناصر ولاحقاً بحافظ الأسد؟

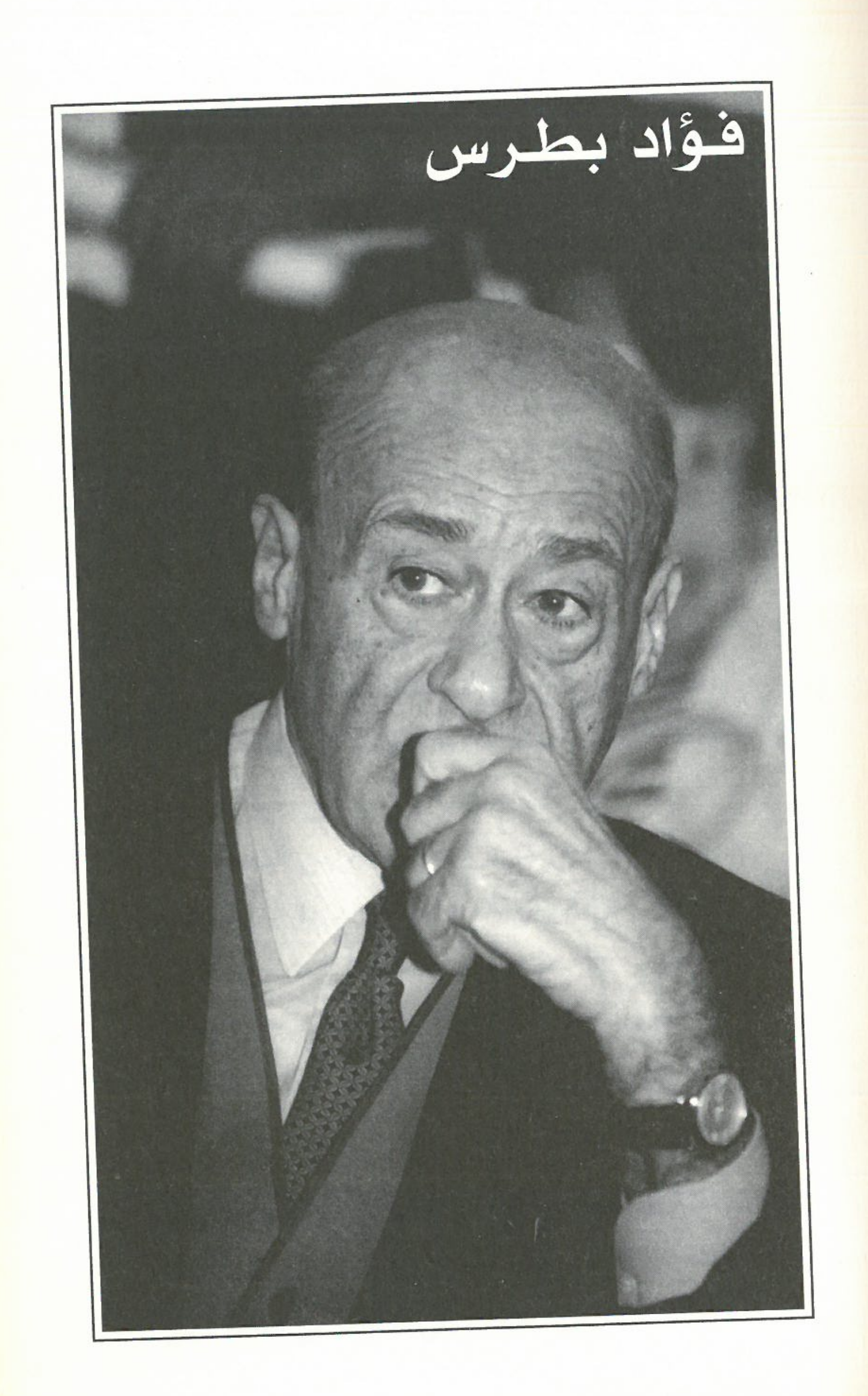
رئيس ما بعد الطائف ليس كرئيس ما قبله. لكنّ

انحسار الصلاحيات لم يلجم لعاب بعض السياسيين الموارنة. لم تغيّر الأخطار المحدقة بالأقليات في المنطقة شهيّاتهم ولم تضعف كراهيّاتهم. في حكايات الرؤساء جزء من مأساة كيان هشّ اسمه لبنان وجزء من قصة الموارنة فيه وهي جميلة وشائكة.

لا يدّعي هذا الكتاب تأريخ مرحلة أو ما يشبه ذلك. إنه كتاب صحافي يطمح إلى أن يحرّض القارئ على المزيد من الأسئلة والمقارنة بين الروايات. لستُ معنياً بتلميع دور أو إدانة آخر. ولعل هاجسي خلال رحلة الحوارات هذه كان هاجس معظم اللبنانيين، وهو هل كان يمكن هذه الأقاليم أن تلتقي ذات يوم في دولة ووطن؟

غسان شربل

بيروت/ حزيران ٢٠١٤


فؤاد بطرس

جاء فؤاد بطرس من القضاء لكنه لا يحب محاكمة الآخرين ويعارض توجيه التهمة في غياب ما يبرر الاتهام والفصل قبل استكمال عناصر الملف. في بعض أسئلته واستفساراته ما يذكّرك بدقة المستنطق الذي يفترض أن يصوّب سريعاً إلى الهدف الذي يبحث عنه ومن دون كشفه. جاء من القضاء، بما فيه من صرامة ونزاهة، ولمع في قيادة الديبلوماسية اللبنانية. جاء من القضاء، تماماً كما جاء الياس سركيس. وكصديقه سيكون صاحب حظ سيئ. سركيس سيقود بلاداً ممنوعاً عليها الحل. وبطرس سيقود ديبلوماسية ممنوعاً عليها فتح أبواب الحل.

وقصة فؤاد بطرس كما قصة الياس سركيس تبدأ من تلك الأيام التي كان اسم الرئيس اللبناني فيها فؤاد شهاب. جاء فؤاد شهاب إلى الرئاسة من الثكنة. من

الانضباط الصارم والخوف من المدنيين وألاعيب السياسيين وأكلة الجبنة، لذلك راح يبحث عن مدنيين يشبهون العسكر في انضباطهم. عن أركان لثكنة الشهابية وتحديداً عن الذين يقدمون الولاء للدولة على الولاء لما هو أقل منها. كان فؤاد شهاب يتصور أنه حارس الميزان وراح يبحث عن الذين يمكن أن يؤتمنوا على الموازين الدقيقة. لم يتنكر الياس سركيس لشهاب وهكذا فعل فؤاد بطرس. وحين صار الياس سركيس صاحب العهد وبعد ١٢ عاماً من خروج شهاب من قصر الرئاسة وثلاثة أعوام من غيابه، لم يجد أفضل من فؤاد بطرس وزيراً دائماً للخارجية وشريكاً في الخيارات الصعبة.

جاء شهاب بفؤاد بطرس لثقته بكفاءته واستقامته. تماماً كما جاء الياس سركيس لاحقاً بصديقه سليم الحص لكفاءته واستقامته وعيّنه رئيساً للوزراء. لكن هذه القصة ستنتهي على خلاف سابقتها. فالحص سيكتب لاحقاً عن «زمن الأمل والخيبة» وكان يقصد في النهاية خيبته من التركيبة وصديقه صاحب العهد. وستُظهر الأيام أن تجربة سركيس والحص انتهت بخيبة متبادلة في ختام «زمن الأمل والخيبتين».

مات سركيس ولم يكتب. على عادة أولئك الذين يأخذون أسرارهم معهم ولا يهيئون مرافعة أمام محكمة التاريخ، ربما لفرط وثوقهم بحكم منصف إذا توافرت في المحكمة مواصفات الإنصاف.

جاء سركيس متأخراً وبعدما اندلعت النار في خيمة الوطن. في عام ١٩٧٠ خسر السباق إلى القصر بفارق صوت واحد. يومها أطلق غسان تويني مقاله الشهير احتفاء بوصول سليمان فرنجية وكان عنوانه «الصوت الواحد صوت الشعب». فهل أصاب تويني وهل أصاب الشعب؟ أسئلة متروكة لمحكمة التاريخ.

لم تشهد طائفة الروم الأورثوذكس حروب زعامة طاحنة شبيهة بتلك التي شهدتها الطائفة المارونية. أو فلنقل إن حروبها كانت مختلفة نظراً إلى اختلاف أوضاعها وطبيعة موقعها في القرار اللبناني. لكنها عاشت بالتأكيد تجاذباً بين الرجالات البارزين فيها. وبعد تراجع ظل شارل مالك في نهاية عهد كميل شمعون عن التأثير اليومي في الأحداث أو على القرار وصانعيه كان هناك سجال طويل بين فؤاد بطرس والراحل غسان تويني.

سبق تويني بطرس إلى السياسة، خصوصاً حين

انتُخب في مطلع الخمسينيات نائباً وكان شاباً يحمل من القدرات والأفكار ما يجعله يبدو وكأنه أكبر من الإطار الذي تلزمه المعادلة اللبنانية بالبقاء فيه. وسيأتي بطرس إلى الوزارة والنيابة عن طريق فؤاد شهاب. وفي الشهابية لن يكون مكان لغسان تويني الذي ولد في مكتبه، في «دولة النهار» على حد تعبير شارل حلو، العهد الذي قطع مسار الشهابية بصوت واحد.

وفي ذلك العهد لن يكون مكان لفؤاد بطرس. سيدخل غسان تويني الحكومة وسيدخل السجن أيضاً وسيعود إلى الحكومة بعده.

وكان بديهياً ألاّ ينعقد الود بين الرجلين اللذين يفرق بينهما الأسلوب والموقع. وسيلتقي الرجلان في عهد سركيس، بطرس مهندساً في قصر بسترس وتويني صوتاً صارخاً في الأمم المتحدة.

ويقول بطرس إن الخلاف مع تويني كان قد صار من الماضي وإن العلاقات طبيعية اليوم «فقد كبرنا ونضجنا».

فؤاد بطرس:
ذاكرة الجمهورية وميزان الشهابية

لا يبنى المستقبل بحجارة الماضي، هذا صحيح، لكنه لا يبنى أيضاً بتجاهله أو تناسيه. وإذا كان هذا الكلام يصدُق في كل الأماكن أو معظمها فإنه يصدق بالتأكيد في لبنان. فالدولة لا تبنى من فراغ ولا يكفي لقيام الجمهوريات إعلان ولادتها على الورق، وقبل أي براعة يحتاج بناء المستقبل اللبناني إلى رجال يعرفون السر، ذلك السر الذي قام عليه لبنان والذي يعتبر احترامه شرطاً لاستمراره. سر التركيبة بما فيها من عناصر القوة وأسباب الضعف وثغر مفتوحة للرياح. وهي تركيبة تنطلق أصلاً من منطق التسوية أي من التنازلات المتبادلة ولغة منتصف الطريق أو ما يقترب منها. لغة لا تتسع لانتصارات كاسحة تقود الى شطب الآخر. ولا تحتمل هزائم ساحقة تقود إلى الاستقالة والانسحاب. إنها الكيمياء المعقّدة التي تستلزم رجالاً أكبر من انتصاراتهم ورجالاً أكبر من هزائمهم. رجال يتذكرون السر

وهم يتصدون لمهمة إعادة صياغة دولة تسترجع الوطن أو تحميه.

في زمن تبحث فيه المنطقة عن سلامها، وهو في النهاية سلام انقلابي على لغتها القديمة ومنطق العقود الأربعة الماضية، وفي زمن تنفجر فيه الكيانات الملغومة بتعدد الانتماءات يندفع لبنان نحو نهايات القرن محمّلاً بالكثير من الأسئلة والمخاوف. فلا الاستسلام للماضي ينقذ ولا شطب الماضي يخلّص. وعبور زمن العواصف مرهون بفكرة بحجم الوطن وتعقيداته، ومرهون برجال بحجم الفكرة يصلحون لتسوية كبيرة. فسلام لبنان أكبر من لبنان، تماماً كما كانت حروبه.

لم تكن فكرة لبنان الحالي سهلة. وهو قام على تنازلين متبادلين: يتخلى المسيحيون عن حماية فرنسا أو الرهان عليها، ويتخلى المسلمون في المقابل عن أي تطلع من شأنه تذويب الكيان اللبناني في أي وحدة أكبر منه أي في وحدة عربية تقفز فوق الخصوصية اللبنانية. لا بل إن الميثاق الوطني استند الى رهانين: رهان المسيحيين اللبنانيين على لبننة المسلمين بمعنى إعطاء الأولوية للحسابات اللبنانية على الطموحات القومية، ورهان المسلمين على تعريب المسيحيين اللبنانيين بمعنى ألاّ يبقى لبنان جزيرة كاملة الاختلاف وإن احتفظ ببعض خصوصيته.

ولم تكن الجمهورية محظوظة بالتأكيد. فبعد خمس سنوات

على إعلان استقلال لبنان (١٩٤٣) أُعلن قيام دولة إسرائيل. وكان قيام الدولة العبرية يحمل في طياته نوعاً من التشكيك الصارخ بالأسس التي قام عليها لبنان إذ كان في حده الأدنى تأكيداً لفشل الرهان على التعايش بين اليهود والفلسطينيين. منذ ذلك التاريخ سيشعر العالم العربي بطعنة في قلبه. واستناداً الى ما أحدثته هذه الطعنة التي تلتها طعنات ستسقط أنظمة وحكومات وتقوم أخرى وستكون قضية فلسطين الشعار الذي سيستخدمه الحاكم دائماً ليبرر ما يصعب تبريره، وستستخدمه المعارضة للقفز الى السلطة. واستناداً الى مشاعر الهزيمة والإحباط سيخرج العسكريون من الثكن الى وزارة الإعلام ومنها الى القصر الجمهوري. زمن الانقلابات والأحلام والخيبات. زمن الرفاق الذين يجتمعون ليأكلوا القرار ثم ليأكلوا بعضهم بعضاً في انتظار الانقلاب على الانقلاب.

منذ تلك الأيام بدأت قصة الإبعاد والمبعدين والمصير المعلق على خط النزاع العربي ـ الإسرائيلي، وفي عهد بشارة الخوري كان على لبنان أن يستقبل الفلسطينيين اللاجئين في خطوة لم يدرك يومها أنها ستحكم ربط مصيره بالمصير الفلسطيني وترسّخ إقامته على خط الزلازل. كانت الدولة طرية العود ولم تكن فكرة الدولة هاجس أهل القرار.

عندما جاء كميل شمعون الى رئاسة الجمهورية في ١٩٥٢ كانت المنطقة على أبواب العاصفة. ولادة نظام جمال عبدالناصر في

مصر وحرب ١٩٥٦ ثم هدير الناصرية. وشمعون الذي كان قد استحق لقب «فتى العروبة الأغّر» ذهب بعيداً في السباحة ضد التيار والى أبعد مما تستطيع التركيبة اللبنانية احتماله. وكان صعباً على عبدالناصر أن يقبل باستمرار غربة «الإقليم اللبناني» خصوصاً أن مواقفه لقيت صدى واسعاً داخل هذا الإقليم.

هذه التطورات الخارجية ومعها أخطاء شمعون في الداخل وقيامه بإسقاط رموز ذات صفة تمثيلية واسعة في طوائفها وصمته حول نواياه في تجديد ولايته فجّرت شرارة ثورة عام ١٩٥٨. يومها أصيبت المعادلة اللبنانية بأول عطب علني أظهر صعوبة الرهانات التي أخفاها كل فريق عشية إعلان الاستقلال. ومع خروج شمعون من القصر الجمهوري سيبدأ لبنان رحلته مع الشهابية وهو سيشهد في الستينيات أول محاولة جدية لتحصين الوحدة الوطنية بدولة مؤسسات وأول محاولة لتحديث الدولة وإدخال فكرة التخطيط والإنماء والعدالة الاجتماعية. وسيقول وزير الخارجية السابق فؤاد بطرس إن الشهابية محاولة لجعل الدولة هي المرجع.

جاء فؤاد شهاب الى الرئاسة في عام ١٩٥٨. خلع اللواء بزته العسكرية ودخل قصر الرئاسة. بدا غريباً في ثيابه المدنية وظل الجنرال حاضراً تحتها. لم يدخل القصر على دبابة ليسود زمن العسكر صراحة. لكنه وفي غياب الحزب والجماهير لم يجد أفضل من الجيش أداة يتكئ عليها، ولم يُضع العسكر الفرصة.

وتحت عباءة الدستور سال لعابهم وراحوا يستجمعون الأوراق في ذلك العهد ويصادرونها في العهد الذي تلاه.

حين جاء فؤاد شهاب كانت البلاد مريضة ومصابة بالولاءات التي تمزق، وسرعان ما أدرك أن ما يحتاج إليه لبنان يتخطى الهدنة وفرض الأمن، إنه يحتاج الى دولة.

لم يترك فؤاد شهاب أوراقاً تكشف أو تفضح أو تصحح. انتصر الجنرال في نفسه على الرئيس، وربما لم يكتب لشعوره بأنه أدّى واجبه وفعل كل ما بمقدوره. وربما لشعوره بأن بعض صفحات لن تغير رأي الناس وحكمهم. وقد يكون شعر باليأس من اللبنانيين خصوصاً حين سارعوا الى الانقسام في عهد خلفه وهزوا دعائم الدولة التي حاول أن يبنيها.

قامت بين فؤاد شهاب واللبنانيين علاقة تكاد تشبه تلك التي قامت بين شارل ديغول والفرنسيين. طبعاً مع الفارق في المكان وغيره. كان ديغول يخاطب فرنسا من فوق رؤوس الفرنسيين. وكان يتساءل كيف يمكن حكم شعب لديه أكثر من مئتي صنف من الجبنة وثلاثمئة صنف من النبيذ. وكان فؤاد شهاب يتطلع الى الدولة اللبنانية من فوق رؤوس اللبنانيين. ولعلهما تشابها في المرارة أيضاً، فمن قصر الإليزيه حدق ديغول فرأى شبان فرنسا التي أحب يحرقون في مايو/ أيار عام ١٩٦٨ دمية تمثله ويجذبهم شاب غريب اسمه كوهين بنديت، ولم يكن أمام الجنرال المديد القامة غير افتعال سبب للخروج. وشهاب لم

تنقصه المرارة أيضاً. فبعد أربعة أعوام من خروجه من قصر الرئاسة رأى أبناء معقله في كسروان يخذلون المرشحين الشهابيين ورأى الفريق الذي ينتمي إليه يسقط مجدداً في يد ساحر يجمع البراعة والخطورة واسمه كميل شمعون.

افتعل ديغول استفتاءً وربط مصير رئاسته به. وحين أرسل الفرنسيون إشارة تعب غادر الاليزيه الى كولومبيه لودو زيغليز قائلاً: انتهى وقت صناعة التاريخ وجاء وقت كتابته، وانكفأ الى المذكرات. ورفض فؤاد شهاب التجديد تمسكاً بصورة النزيه الذي لا يشتهي شيئاً بما في ذلك كرسي الرئاسة. توقف عن صناعة التاريخ ولم تراوده رغبة التسجيل أو التفسير أو التبرير.

ترك ديغول الإليزيه للديغوليين وترك شهاب قصر الرئاسة للشهابيين. وستكتشف فرنسا لاحقاً أن ديغول شيء والديغوليين شيء آخر. وسيكتشف لبنان أيضاً أن شهاب شيء والشهابيين شيء آخر. ويرى منح الصلح أن ألف نصف فيلسوف لا يساوون فيلسوفاً.

حالف الحظ شارل حلو حين تبلبلت حسابات الشهابيين فكان رجل التسوية وانتخب رئيساً للجمهورية، وبعد الانتخاب سيترك الحظ الرئيس ليقلّع شوكه بيديه أو ليحاول. في ولادة ذلك العهد التباسات. كان خيار الشهابيين الاول التجديد لفؤاد شهاب أو التمديد. لكن الأمير اللواء لم يقبل بارتكاب غلطة بشارة الخوري ولا بالتزام صمت الراغب كما فعل كميل

شمعون. لم يوافق شهاب على الأقل على كشف لعابه وتباخل على الماكينة الشهابية بكلمة «نعم»، فارتبكت اللعبة بين المراهنين على اللحظة الأخيرة والحالمين بالانقضاض على التركة.

وسيتضح أن فؤاد بطرس وفيليب تقلا لعبا دوراً في «تسويق» شارل حلو مرشحاً للرئاسة. وثمة من يقول إن العسكر الشهابي لم يجد أفضل من شارل حلول لعهد يكون مجرد امتداد للعهد الذي سبقه أي للحكم من خلاله. وبين شارل حلو وفؤاد شهاب مسافة. جاء الأول من الصحافة وجاء الثاني من الثكنة. الأول عاشق كلام وخطب ومنابر، والثاني يفضل الصمت ومجانبة الضوء. حين جاء شهاب كان حزبه جاهزاً وهو الجيش الذي قاده ورباه. وحين جاء شارل حلو كان عليه أن يتكئ على حزب غيره أي على حزب شهاب إذا كان يريد أن يحكم. لكنهم جاؤوا به لتبقى المفاتيح في أيديهم وهو سيحاول لاحقاً أن يستعين بالشهابيين لخفض مطالب خصومهم وأن يستعين بخصومهم لخفض وطأتهم عليه. لم تكن لحلو لدى الشهابيين شرعية شبيهة بتلك التي كانت لالياس سركيس، ولم تكن له بالتالي سلطة شهابية صريحة على الشهابيين من مدنيين وعسكريين. لا بل إن هذه السلطة كانت تتأكد بمقدار ما يتطابق الرئيس مع خيار الشهابيين لا العكس.

لا تنقص شارل حلو البراعة الديبلوماسية ولا يعوزه الدهاء.

لكنه لم يكن يوماً من أولئك الذين يجتذبون الانسان العادي الذي ينجذب الى الأقوياء والزعماء وإلى الرؤساء حين يشبهونهم. شارك شارل حلو في تأسيس حزب الكتائب لكنه بكّر في مغادرة لعبة قاسية ومكلفة كانت تستلزم رجلاً بصلابة بيار الجميل. ولم تكن لحلو جاذبية كميل شمعون في معسكره ولا خصوماته في المعسكر الآخر. والزعامة اللبنانية تُبنى بشدة الولاء داخل المعسكر وشدة العداوات خارجه، كما كانت حال كمال جنبلاط وكميل شمعون وبيار الجميل وغيرهم.

كان شارل حلو مدنياً من الوريد الى الوريد، وبدا خارجاً من صفحات ثقافة إنسانية جذبه إليها حبه العميق للفرنسية وتضلعه بها. لم يكن يحتمل التوقيع على عقوبة إعدام أو التخطيط لإلغاء خصم ولم تراوده رغبة الانتصارات المبللة بالدم.

وفي النهاية كان شارل حلو غريباً في منطقة يرتدي حكامها البزات الخضر وإن خلعوها، وتطبخ فيها مانشيتات الصحف في دوائر الحزب أو وزارة الإعلام والويل لمن يخطئ بفاصلة أو حرف. كان الوحيد الذي يستيقظ فيرى مانشيت الصحيفة ضده. إنه شارل حلو المثقف المتأثر بميشال شيحا.

لا بد أولاً من الالتفات الى أن التجربة الشهابية في الحكم والتي بدأت في عام ١٩٥٨ قطعها عهد الرئيس سليمان فرنجية ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ وهو كان نقيضها ومفكك أجهزتها. ثم إن شهابية الياس سركيس هي شهابية معدلة تأخذ في الاعتبار

المستجدات. فحين جاء سركيس كان النسيج اللبناني قد تمزق والجيش الذي اعتبر الأداة الشهابية المضمونة قد تشرذم. كان على فؤاد شهاب أن يتعامل مع جمال عبدالناصر لضمان الاستقرار في إقليم لبنان، وكان على الياس سركيس أن يتعامل مع الرئيس السوري حافظ الأسد من دون أن يتناسى أن رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير يتخذ من بعض أحياء بيروت مقراً موقتاً لعاصمة دولة فلسطين.

تختلط قصص الرؤساء وتتشابك. ذات يوم اتصل فؤاد شهاب بمنزل رئيس حزب الكتائب بيار الجميل طالباً منه المشاركة في الحكومة الرباعية. وردّ على الاتصال شاب في السادسة عشرة من عمره اسمه أمين الجميل سيتولى الرئاسة بعد ٢٣ عاماً. وذات يوم كان قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب يسلّم السيوف للضباط المتخرجين ولم يدر بخلده آنذاك أن واحداً منهم اسمه ميشال عون سيحاول بعد أكثر من ثلاثة عقود «إنقاذ البلاد بمدافع الجيش» فتدوّي كل أنواع المدافع.

وذات يوم جاء الياس سركيس الى رئاسة الجمهورية (١٩٧٦) فلم يجد أفضل من الذين اختارهم فؤاد شهاب ليرتاح إليهم. أوكل هندسة السياسة الخارجية الى فؤاد بطرس وأشركه في هندسة سياسة الداخل أيضاً وارتاح مع اللواء سامي الخطيب واللواء أحمد الحاج ورينيه معوض وميشال إده وميشال المر.

وحين انتخب سركيس كان شديد الانزعاج من شاب «أزعر»،

على حد قول كريم بقرادوني، يدور على المتاريس في الأشرفية والأسواق ويوزع الأوامر والبنادق والأوهام. وقبل مغادرة القصر سيسلم سركيس أو سيقتنع، بفعل التطورات وموازين القوى، أن ذلك الشاب هو الوحيد الذي «يستطيع أن ينقذ وحدة البلد وأن وجوده خارج قصر الرئاسة سيُفشل أي رئيس». ولم يكن ذلك الشاب سوى بشير الجميل الرجل الذي جاءت به العاصفة فانتزع الرئاسة والقصر ولم تتردد العاصفة في التهامه على شفير القصر والأختام.

لم يترك الياس سركيس أوراقاً تؤكد أو تنفي. اختار هو الآخر ترك التاريخ للتاريخ ومن دون تقديم مرافعته أو محاولة تلميع دوره.

ثمة رجل كان فؤاد شهاب يحبه ويرتاح إليه. امتنعت عليه الرئاسة في الجمهورية الأولى وحين جاءته في الثانية انفجرت به فتطاير جسده مع الاستقلال. إنه رينيه معوض الرجل الذي لم ينس في جنون الحرب كيمياء المعادلة اللبنانية. كادت الشهابية تنتقل عبره الى الجمهورية الثانية. شهابية معدّلة بشراكة جديدة في الداخل والخارج. وسيتكشف أن رينيه معوض ذهب الى لقاء البرلمانيين اللبنانيين في الطائف، وهو واثق أو شبه واثق أنه سيرجع رئيساً انطلاقاً من برنامج وفاقي يشبهه، فقد حصل قبل الذهاب على تأييد كبار الناخبين ولم يبق غير مجلس النواب، وهو غالباً ما يصدّق على خيار كبار الناخبين إقليمياً ودولياً.

اللبنانيون الذين ولدوا في عهد فؤاد شهاب أو قبله بقليل في عهد كميل شمعون لم تتيسر لهم معايشة المحاولة الوحيدة لإدخال مفهوم التخطيط، ولم يتيسر لهم التعرف على أول محاولة جدية لبناء الدولة والمؤسسات.

أكتب هذا لإحساسي أن جيلنا وقع في خطأ اختصار الشهابية الى حد جعلها مطابقة لتجاوزات «المكتب الثاني» أي استخبارات الجيش.

لا شك في أن ممارسات «المكتب الثاني» ساهمت في اغتيال الشهابية أو سهّلت على الأقل اغتيالها والانقضاض عليها. وواضح أن هذه التجاوزات شكلت انتهاكاً فاضحاً للدستور ولحرية المواطن ولجوهر النظام الديموقراطي. لكن الذين رفعوا الصوت أو فتحوا الحنفية لإسقاط دولة «المكتب الثاني» ساهموا ومن دون قصد منهم في إسقاط دفاعات الدولة اللبنانية أيضاً. والطريقة التي أُسقطت بها الشهابية، خصوصاً على يد «الحلف الثلاثي»، ساهمت في توفير المقدمات لانفجار التركيبة اللبنانية، كما يقول فؤاد بطرس.

لا نقصد التقليل أبداً من أهمية معركة الدفاع عن الحرية والديموقراطية التي اندلعت في مواجهة «العسكريتاريا»، لكننا نريد أن نسجل في الوقت نفسه أن أبطال هذه المعركة، وبينهم كثيرون ممن نقدّر أو نحب، لم يستطيعوا أن يقرنوا استئصالهم لـ «المكتب الثاني» بما يعزز بقاء الدولة وهيبتها. لا بل إن

بعض هؤلاء لم يمتلكوا الجرأة نفسها في مقارعة سطوة الميليشيات و«المكاتب الثانية» التي توزعت على المناطق والأحياء.

في العقود الثلاثة الماضية بنيت أمجاد على معارضة الشهابية. وفي التسعينيات، وبعد التجارب والتجاريب، نسمع من ألد خصوم الشهابية شهادات في رؤسائها تتحدث عن النظافة والنزاهة وروح الاعتدال، طبعاً من دون تناسي «تجاوزات المكتب الثاني». وأكثر من أي يوم مضى يتأكد أن الحقبة الشهابية تستحق وقفة تأمل خصوصاً بعدما بردت التصريحات النارية وبات يمكن قراءة المقالات اللاسعة بعينين هادئتين.

ومنذ أكثر من ربع قرن عثر معارضو الشهابية على منابر لمواقفهم وحملاتهم. ولم تفتقر الأجهزة الشهابية الى وسائل الرد، وقصة «الدكتيلو» شهيرة. قال معارضو الشهابية رأيهم وكانوا محقين في الانتصار للحرية وجانبهم الحق في تجاهل الوجه الآخر للتجربة. أما الشهابيون فقصتهم أخرى. يركزون على الفاعلية خلال وجودهم في الدولة ويفضلون الصمت حين يقيمون خارجها.

لماذا الحديث عن الشهابية؟

ثمة ظاهرة لافتة في لبنان وهي أن الحديث في شؤون السياسة وشجونها ينطلق وكأن لبنان بدأ تقريباً مع اندلاع الحرب فيه في

عام ١٩٧٥ مع تناس غير مبرر للبنان الذي قام منذ استقلاله في عام ١٩٤٣ وحتى اندلاع شرارة الحرب التي تحولت جملة حروب في آن واحد وبديهي أن تستولي الحرب على مشاعر الناس وأن تبقى نوعاً من نقطة القياس. ثم إن كثيرين ممن يتولون الآن مناصب في قطاعات مختلفة تخرجوا من الجامعات إبان الحرب أو عبر مناخاتها وهي شاعت قبل انطلاق الرصاصة الأولى.

لا نقصد أن المطلوب عدم التوقف طويلاً عند الحرب. فربما كان ما نريده هو العكس تماماً، أي قراءة الحرب وأسبابها واستخلاص الدروس لنستحق سلاماً لا يكون مجرد استراحة بين حربين. ولسنا بالتأكيد من دعاة رش مراهم النسيان على حرب لا يمكن بناء السلام من دون فهم أسباب الانزلاق إليها ومن دون قراءة ناقدة للمواقف فيها مقدمة للخروج من منطق الحرب الى منطق السلام. والطب القائم على عقاقير النسيان هو في النهاية طب عتيق، في السياسة كما في الصحافة، ويشبه نظرية تبويس اللحى فوق المذابح بدلاً من البحث عن ضمانات عدم تكرارها.

إن الحديث عن الحرب لا يرمي بالتأكيد إلى ايقاظ الغرائز أو العصبيات أو الثارات إنه يرمي إلى العكس تماماً، إلى إخراج المخاوف إلى الضوء ليتعرف اللبنانيون أكثر على آلامهم كشعب ومخاوفهم كمجموعات.

والسبب الثاني هو أن المصير اللبناني انتقل على الأقل في الجانب المتعلق باللبنانيين وقدرتهم على التأثير فيه إلى الجيل الذي ولد بعد الاستقلال. فجيل الاستقلال غائب عن المجلس النيابي وغائب عن الحكومة وعن مواقع القيادة الحزبية أيضاً. وإذا كان ثمة من يرى أن الجيل الحالي دفع ثمن ممارسات جيل الاستقلال وعجزه عن بناء دولة تستحق التسمية فإن ثمة من يرى أيضاً أن الجيل الجديد لم يقرأ بتأنّ سبب تعثر محاولة الجيل الذي سبقه.

«الحلف الثلاثي» هو الجد البعيد لأحداث ١٩٧٥

«أخاف أن يبكي اللبنانيون دماً على الشهابية وهم يبكون دائماً متأخرين ويتذكرون متأخرين». لم أشاطر يومها الرئيس الراحل رينيه معوض خوفه الذي تصاعد بعد انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل في ٢٢ ـ ٢٣ سبتمبر/أيلول ١٩٨٨ دون انتخاب خلف له. وكالعادة لم يكن كلام معوض للنشر. وأغلب الظن أنّه كان يقصد أنّ الحل هو بالعودة إلى الذين يعرفون سر لبنان. ولم يكن سراً أن هذا الشهابي الهادئ كان يحلم أن يكون رئيس العودة إلى لغة منتصف الطريق.

ربما لم يبك اللبنانيون على الشهابية وبينهم من جرحها وجرحته. لكن لبنان الباحث عن دولة ترمم الأبنية والنفوس والمعادلة لا يستطيع إلا الاعتراف بأن الشهابية شكلت أول محاولة جدية لبناء الدولة.

لم يكن الرئيس اللواء فؤاد شهاب (١٩٥٨ ـ ١٩٦٤) خطيباً

وأديباً كبشارة الخوري أول رؤساء لبنان المستقل. ولم يمتلك جاذبية سلفه كميل شمعون وبراعته في المناورة وانقسام اللبنانيين حول شخصه مؤيدين ومناهضين. ولم يسقط في جاذبية الخطابة والكلام كما حصل مع خلفه شارل حلو. كان فؤاد شهاب من نسيج خاص. لا يشبه الآخرين ولا يطابق الشهابيين الذين انتسبوا اليه.

كان الأمير الوافد إلى الرئاسة من الثكنة مزيجاً من البساطة والتواضع والكبرياء والزهد والأنفة والرغبة في إمساك الخيوط. جاءته الرئاسة فحرص دائماً على التصرف وكأنه قبِلها مضطراً. وأمام جوع الآخرين إلى السلطة كان يشهر زهده ويتحدث بسخرية موروثة عن «أكلة الجبنة».

غريبة قصة فؤاد شهاب. جاء إلى قصر الرئاسة من صندوقة اقتراع نيابية في زمن كان العسكريون المنقذون يأتون فيه على ظهر دبابة ويقتحمون الإذاعة قبل الاستيلاء على القصر. ولم يكن يعتقد، كما يكشف الوزير السابق فؤاد بطرس، بأن المصفحات هي الدواء السحري لعلاج المشكلات.

أول ما في شخصه هاجس النزاهة. فهذا العسكري الذي رعى الجيش منذ الاستقلال كان يحفظ في ذاكرته، أو في دفتر صغير، أسماء الموظفين الذين يقدمون ولاءهم للقانون على كل ولاء. وكأنه كان يحدس أن وقته سيجيء. وحين جاء لم يتردد في استدعاء الياس سركيس وفؤاد بطرس وآخرين. ليس بسيطاً

في لبنان أن يكون الرئيس زاهداً وألاّ يصطحب معه إلى القصر حاشية من المتنفعين.

ولعل الميزة الأهم في هذا العسكري، الذي لم يسلُ لعابه الرئاسي في ١٩٥٢ حين أُسندت إليه رئاسة حكومة انتقالية فأعاد تسليم السلطة سريعاً إلى المدنيين، هو شعوره بضرورة تحصين الوطن في دولة. من مكتبه في قيادة الجيش كان فؤاد شهاب يراقب تهافت السياسيين على الحصص واستعدادهم للعزف على كل الأوتار للفوز بقطعة أكبر من القالب. وبسبب تلك المشاهد وتربيته العسكرية التي بدأت في عهدة الفرنسيين لن يثق شهاب أبداً بالسياسيين والنواب. لن يحاول شطبهم من المعادلة لكنه سيسعى إلى إلغاء دور الوسيط بين الدولة والمواطن وسيأتي بهم إلى الحكم مع السعي دائماً إلى تقليص قدرتهم على الترويج لمنطق المزرعة.

جاء فؤاد شهاب إلى الرئاسة بعد «ثورة ١٩٥٨» التي شهدت خروجاً متبادلاً على الميثاق الوطني: **الأول** حين انحاز شمعون إلى أحلاف يعارضها نصف اللبنانيين، **والثاني** حين حاول خصومه توظيف التحولات في الخارج لفرض تغيير في الداخل. رفض قائد الجيش يومها قمع الثورة في معاقلها ورفض في الوقت نفسه السماح لها بإسقاط مواقع الدولة.

وجاء رئيساً بتسوية أميركية ـ ناصرية يقول فؤاد بطرس إنها حصيلة انتهاء المباراة بالتعادل السلبي.

حيال هذه الصورة هندس فؤاد شهاب سياسة خارجية وداخلية هي نتاج إدراكه لموازين القوى في الخارج وحساسية التركيبة في الداخل. أدرك ضرورة مسايرة الطرف العربي الأقوى آنذاك، أي جمال عبدالناصر، ومن دون أن يعطي ذلك الطرف حق إدارة الداخل، لا بل إنه تقاضى مقابل تلك المسايرة نوعاً من إطلاق اليد في الشأن الداخلي. وللقاء شهاب مع عبدالناصر في خيمة على الحدود اللبنانية ـ السورية دلالات كثيرة. تعايش إيجابي مع الطرف العربي القادر على التأثير على لبنان وفيه وسعي إلى ترميم التعايش الداخلي عبر جعل الدولة هي المرجع ومؤسساتها مكان اللقاء والانصهار.

وأدرك فؤاد شهاب ضرورة تحصين الميثاق الوطني بميثاق اجتماعي، ووعى أهمية ذهاب الدولة إلى المناطق النائية مدركاً أن «لبننة» هذه المناطق، إذا جاز التعبير، وهو لغيرنا، تكون بالطرق والكهرباء والمدارس والتنمية وبعدها يأتي الشرطي وحكم القانون وهيبة الدولة.

في أول عملية تحديث وتخطيط يشهدها لبنان المستّقل، لم يجد شهاب ما يتكئ عليه غير «الحزب» الذي جاء منه، أي الجيش، ولشعوره بأنه المؤسسة التي تضم جميع أفراد العائلة اللبنانية والتي تستطيع صهر الوافدين إليها وتقديم عصبية الولاء للمؤسسة العسكرية والدولة على سائر العصبيات.

وكان بديهياً أن يستسيغ العسكريون فرصة التدخل وأن تبالغ

«الأجهزة» في محاولاتها لترتيب الأوضاع وضمان الإمساك بالأوراق. وكان بديهياً أن يرد السياسيون على محاولة ترسيخ الدولة على حساب مرجعياتهم باستغلال تجاوزات العسكر الشهابي.

عاش فؤاد بطرس عهد فؤاد شهاب كشهابي وكوزير للتربية والتصميم والعدل وكنائب للمرة الأولى وكنائب لرئيس مجلس النواب أيضاً.

لماذا فؤاد بطرس؟

ولفهم أدقّ لما جرى في ذلك العهد كان لا بد من طرح الأسئلة ومحاولة تقديم بعض الاجابات عبر من عايشوا المرحلة المعنية وكانوا شركاء في القرار أو في مواقع قريبة منه أو مناقضة. وهذه المقاربة لا تسعى إلى تأريخ مرحلة ولا تحمل هاجس إنصاف اللاعبين البارزين فيها. فالتأريخ متروك لأهله والإنصاف متروك للتاريخ.

ولدت الفكرة عندما كرر أحد الأصدقاء سؤالاً طرحه من قبل: هل تعتقد أن الارتكاز على شهادات المحاربين وقادة الطوائف تكفي؟ ولماذا لا يكون لفؤاد بطرس رأيه، ألم يحن الوقت بعد للعودة إلى الحكماء؟

وكنت قد ترددت في السابق لا لشيء إلا لشعوري بأن فؤاد بطرس من قماشة الذين لا يحبون تلميع أدوارهم ولا يحبون

اكتساب الأضواء بإفشاء الأسرار. لكنني حرصت على طرح الاسم أمام سياسيين ينتمون إلى معسكرات مختلفة، وكان الجواب، وبنوع من الإجماع، أنه «رجل دولة»، وإذا كان ليس بسيطاً أن يتفق اللبنانيون على شيء فليس بسيطاً أيضاً أن يتفق كثيرون من السياسيين في وصف أحدهم بأنه «رجل دولة». ولأننا نموت حنيناً إلى زمن الدولة التي تستحق التسمية ونشعر بافتقار أيامنا إلى القامات قررت محاورة فؤاد بطرس.

■ **حكي كثيراً عن الشهابية. كيف يفهم فؤاد بطرس الشهابية؟**

ـ عبارة الشهابية تستعمل بكثرة للتدليل أحياناً على مفهوم معيّن وأحياناً أخرى للتشكيك بمفهوم معين. فأصبحت بالنتيجة مثل اللسان عند الفيلسوف الإغريقي زوخ. يستعملونها كي يقولوا أفضل شيء ممكن ويستعملونها كي يشيروا إلى أسوأ شيء ممكن. والواقع أن الشهابية عبارة أُطلقت وأعتقد بأن أول من أطلقها هو جورج نقاش في محاضرة ألقاها في الندوة اللبنانية بعدما تسلّم فؤاد شهاب الحكم وأراد عن طريق هذا التعبير أن يعطي إشارة إلى أن فؤاد شهاب لديه بعض الثوابت في سياسته، وسيجرب أن يتقيد بها وأن يطبقها. والشهابية تعني **أولاً** تثبيت الدولة على أساس أنها المرجع السياسي طبعاً على حساب كل الإقطاعيات الموجودة وكل الزعامات الشخصية المناهضة للدولة إلى حد ما. ليست الغاية تهديم الزعامات إنما الغاية أن

تصبح الدولة هي المرجع وليس الزعامات، وأن يكونوا هم في خدمة الدولة وليست الدولة في خدمتهم. ثم إنشاء إدارة وأجهزة على أسس سليمة بشكل يستطيع به الحكم أن يستعمل آليات تمكّنه من الوصول إلى نتيجة باعتبار أن الإدارة كانت إلى حد بعيد ما تزال على النمط الذي كان سائداً أيام العثمانيين. حاول فؤاد شهاب أن يحدّث الإدارة وأن يوجد أجهزة تستطيع أن تراقب بعضها بشكل يضبط التجاوزات.

وثانياً الطبقة السياسية، طبعاً فؤاد شهاب لم تكن لديه الإمكانات أو لم يكن لديه الوهم بأنه قادر على تغيير عقلية الناخب اللبناني في أي محافظة، لكنه كان يرغب في أن يعطي ضميراً جديداً نوعاً ما للسياسة. وأن تدب روح جديدة في الطبقة السياسية ووعي أكبر، خصوصاً أن شهاب جاء بعد مأساة ١٩٥٨، وكنا في وقتها نعتبرها أكبر مأساة يمكن أن يُصاب بها لبنان وتبين بالنتيجة أنها كانت «مزحة» بالنسبة إلى الأحداث لاحقاً.

أراد فؤاد شهاب أن يعدّل قليلاً المعادلة التي كانت قائمة على أساس توزيع المناصب بين المسيحيين والمسلمين بجعلها ترتكز على قاعدة المناصفة وتأمين حق معيّن من المشاركة في الحكم وتعزيز هيبة الدولة واعتماد سياسة خارجية تقوم على نقطتين أو ثلاث نقاط أساسية. على الصعيد العربي عدم الدخول في محاور وفي صورة خاصة عدم الدخول في محور ضد الناصرية التي كانت في ذلك الوقت سائدة وشبه مسيطرة على العالم

العربي، في ما خلا ذلك الاحتفاظ بحرية تحرك واسعة على صعيد السياسة الخارجية وعدم التنكر لوجه لبنان بالنسبة إلى علاقاته مع الغرب، طبعاً مع اعتماد القضايا العربية الأساسية وفي الطليعة قضية فلسطين. والناحية الأمنية كانت لها أهمية لأنها تتعلق بهيبة الدولة واعتماد الاقتصاد الحر مع السعي بشكل مرن جداً وبدقة إلى الحيلولة دون الاحتكارات على أساس أنه يعتمد سياسة اجتماعية كانت نتيجة سياسته الداخلية. كان يعتبر أن هناك مناطق نائية وملحقات مهملة تماماً وصدف أن هذه المناطق يسكن أكثرها مواطنون من طوائف معينة وكانت مهملة وغير مجهزة لا على صعيد المدارس، ولا على صعيد الطبابة ولا على صعيد الخدمات. باشر بالمشروع المعروف اليوم باسم الضمان الاجتماعي. في السياسة الاجتماعية أوجد ضماناً اجتماعياً والتطبيب والاستشفاء للموظفين وللعمال وأوجد أموراً عدة كانت من دون شك قفزة نوعية بالنسبة إلى ما حصل قبله وبعده. إذاً نستطيع أن نقول إنه في أيام فؤاد شهاب حدثت محاولة جدية، وتحققت إلى حد ما، لنقل لبنان إلى العالم المتطور على الصعيد الاجتماعي وعلى صعيد الحكم والإدارة بصورة خاصة.

هذا الشيء كانت له انعكاسات. المأخذ **الأول** على فؤاد شهاب هو أنه لم يعتمد القواعد الكلاسيكية المألوفة بالنسبة إلى تعامله مع السياسيين. كان لديه القليل من الحذر من السياسيين التقليديين لأنه كان يعتبر أن أكثرهم تصرفوا بشكل لم يساعد

على ازدهار البلد وتقدمه على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والوطني. كان هناك نفور بينه وبين السياسيين التقليديين وهذا النفور تطور وغذاه استغلال بعضهم العلاقات الطيبة بينه وبين عبدالناصر، علماً أن هذه العلاقات لم تنعكس قط على تصرفات فؤاد شهاب الداخلية بالنسبة إلى الأطراف الأخرى ولا بالنسبة إلى سياسته الخارجية في ما يتعلق بانفتاحه على العالم. أذكر مثلاً أنه في الوقت الذي أرادت فيه جامعة الدولة العربية والدول العربية أن تقطع علاقات لبنان مع فرنسا بسبب الجزائر لم يقطع فؤاد شهاب علاقاته مع فرنسا، وأفهم عبدالناصر والعرب هذا الأمر فاضطروا إلى الاقتناع بأن ثمة تقليداً وتراثاً بعيداً وقديماً بين لبنان وفرنسا، وأنه لا يستطيع أن يقطع علاقاته معها.

كانت علاقاته مع عبدالناصر في الحقيقة عنصر قوة لرئاسة الجمهورية في داخل لبنان وفي الخارج بالطريقة التي مارسها، إذ حافظ تماماً على كرامة لبنان، فعندما اجتمع مع عبدالناصر نصبوا الخيمة على الحدود بين لبنان وسورية في أيام الوحدة السورية ـ المصرية. لم يخرج من لبنان. وضع خيمة على الحدود نصفها هنا ونصفها هناك واجتمعا فيها حتى يظهر تعلقه ببلده. وصاروا يتخذون حججاً، منها اعتماده على الجيش وهو كان معتاداً على الجيش كقائد له. كان صعباً عليه إنسانياً أن لا يعتمد على الجيش كأداة وفي الوقت ذاته ليس هناك جهاز في الدولة بل وفي العالم أجمع وفي أميركا لا تحدث فيه تجاوزات، مثل إيران غيت، ووتر غيت وغيرهما.

لا يمكن إلا أن يحدث شطط أو تجاوز. ربما حدث القليل من التجاوزات في مخابرات الجيش ضخموها ٥ آلاف مرة وجعلوا منها قضية طويلة عريضة ثم نادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور وأن فؤاد شهاب سيقضي على المسيحيين. وليس هناك أسخف من هذه التهمة لأن سياسة فؤاد شهاب لم تكن هكذا إطلاقاً بل كان حريصاً على المسيحيين بقدر ما كان حريصاً على المسلمين وعلى لبنان. وكان الخط الذي سار فيه الخط الوحيد الذي من الممكن إلى حد ما أن ينجّينا مما حصل بعد ذلك. ثم قام الحلف الثلاثي الشهير (كميل شمعون، بيار الجميل وريمون إده). بالنتيجة شئنا أم أبينا كانت فيه بذرة حوادث سنة ١٩٧٥. حلف ١٩٦٨ كان الجد البعيد لحوادث ١٩٧٥ وخلق أجواء معينة وبعدها حدثت تفاعلات، وأقول ١٩٦٨ وهي في الحقيقة تكملة لما حصل في ١٩٦٤.

ترك فؤاد شهاب الحكم سنة ١٩٦٤، والحلف أنجز عام ١٩٦٨ لكن ركائزه تعود إلى العهد الشهابي. كانت الغاية منه أن يقضي على كل شيء شهابي وأن نرجع إلى الوراء ١٠ أو ١٢ سنة.

في عهد الشهابية كان التعامل مع فؤاد شهاب واضحاً لأنه كان واضحاً بآرائه وتفكيره. وكان يفسح المجال أمام أي شخص كائناً من كان ليبدي آراءه بحرية. كان يحب التشاور والأخذ والعطاء. وطبعاً كان هناك أناس يهتم بهم أكثر من غيرهم سواء لأنه كان مقتنعاً بهم أكثر أو لأنه اعتاد أن يتعامل معهم.

وبصورة إجمالية كان منفتحاً في تفكيره والإغراءات التي كثيراً ما أثرت على مواقف بعض رؤساء الجمهورية قبله وبعده سواء كانت الحزبية الضيقة أو الحزبية العائلية أو الفائدة المادية أو الفائدة السياسية بمعناها الأناني كانت غريبة عنه. لم يكن لديه في العائلة شخص معيّن يتعاطى السياسة. ولم يكن لديه أولاد ولم يرد أن يستأثر بشيء له في سياسته، ولم تكن عنده عشيرة ولم يرد أن تكون عنده عشيرة، وطُلب منه مراراً أن يؤلف حزباً فلم يقبل بذلك. كان يدرك نقاط الضعف في لبنان ويعتبر أن معالجتها رهن بتربية، وبإعطاء أمثولة بأن يكون قدوة وبأنه إذا أردنا في الوقت ذاته أن ننتقل دفعة واحدة من حال إلى حال على الأقل يجب أن نحصّنها لأن القفز المفاجئ يمكن أن يؤدي إلى خضة كبيرة في البلد ويقضي على الحريات وعلى الديموقراطية. كان حريصاً على ذلك مع أنه كان متهماً بأنه كان صاحب نزعة ديكتاتورية. قال لي مراراً إن استعمال كتيبة مصفحات لحل معضلة معيّنة ربما يتبادر إلى ذهن البعض أنها طريقة يمكن أن تحل هذه المشكلة في ساعتها، لكن بعد ستة أشهر فإن استعمال المصفحات في معالجة شأن سياسي تكون له انعكاسات يمكن أن تسيء إلى البلد وإلى أبد الآبدين. كان مدركاً لهذا الشيء، ومشكلته هي أنه كان عنده نوع من التحفظ الشخصي ولم يكن يتكلم كثيراً أو يعطي الإعلام حقه. كان منكمشاً على نفسه وهذا خطأ، وهذا ما كان عليه الياس سركيس أيضاً. أخذ شيئاً منه فكان عنده نوع من التحفظ إلى

حد الحياء بالنسبة إلى الإعلام. شهاب كان عسكرياً وفي التربية الفرنسية يسمون الجيش الصامت الأكبر. تعوّد على الصمت لم يتكيف مع رئاسة الجمهورية بسهولة بل تدريجياً.

■ **متى تعرفت إلى فؤاد شهاب؟**

ـ إذا أخبرتك فلن تصدق. تعرفت إليه بعدما عينني وزيراً للتربية والتصميم في ٣٠ أيلول ١٩٥٩.

فؤاد شهاب كان قائد جيش وأنا كنت قاضياً مدة أربع سنوات ونصف سنة. سنة ١٩٤٦ كنت مستنطقاً عسكرياً. أول مستنطق في القضاء العسكري. وتسلمنا الجيش من الفرنسيين وكنت قاضياً في محكمة التجارة المختلطة وكلفوني إضافة إلى ذلك بالتحقيق العسكري. وعملت لمدة سنة محققاً عسكرياً ثم استقلت. وفي سنة ١٩٤٦ عندما كنت محققاً عسكرياً كانت المحكمة العسكرية مقابل وزارة الدفاع، وزارنا مرة في المحكمة العسكرية وزير الدفاع الأمير مجيد أرسلان، وقائد الجيش فؤاد شهاب وتفقدا القاعة. كان ذلك في عهد بشارة الخوري، وكان حاضراً المدعي العام للمحكمة العسكرية ورئيس المحكمة العسكرية وأنا المستنطق، فاستقبلناهم وجلْنا معهم في المحكمة. صدف وقتها أن وزير الدفاع قال إنه تحدُث أحياناً أشياء غير معقولة كأن يوقف شخص بريء من أي تهمة فماذا أستطيع أن أفعل أنا؟ وما هو دوري؟ رئيس المحكمة ضابط لا يعرف هذه القصص ويتصرف من رأسه. يمتثل لأوامر

وزيره والمدعي العام. كان أقل حماسة مني ربما لأنني كنت شاباً، فنظرت إليه وقلت له يا معالي الوزير لا تستطيع أن تفعل شيئاً. فسأل مستغرباً: كيف؟ فقلت له نعم هناك مبدأ فصل السلطات. أنت تستطيع مثلاً أن تتكلم مع المدعي العام، لكن بالنتيجة أنا أوقف الشخص أو أخلي سبيله وفقاً للملف. فقال لي: لا أستطيع أن أفعل شيئاً؟ فقلت له: لا. فاستغرب كثيراً، ولاحظت أن فؤاد شهاب ابتسم ولفتت نظره هذه العملية. وفي سنة ١٩٥٩ عندما تشكلت الحكومة كلفني بالوزارة على أساس أنه استقصى معلومات عني وكان يريد نوعيّة معيّنة من الأشخاص. ربما مواصفاتي تطابقت مع متطلباته. لم تكن بيننا معرفة شخصية ولم يكن هناك أي مزحة. كنت في مكتبي أعدّ اللوائح فجاؤوا وقالوا لي تفضل ستعيّن وزيراً. عندما دخلت إلى مكتبه كان رشيد كرامي، رحمه الله، عنده. كانت الحكومة رباعية وستتوسع لتصبح ثمانيّة، ورشيد كرامي كان يعرفني لأنه عمل في مكتب محاماة فؤاد رزق حيث عملت أنا سنتين أو ثلاثاً ثم فتحت مكتباً وحدي وعندها تعرف إلي، فقال له حضرته الأستاذ فؤاد فاختليت به. وقال لي: أنا قررت كذا... ومنذ ذلك الوقت بدأت علاقتي معه واستمرت.

في عام ١٩٦٠ ترشحت للانتخابات النيابية عن محافظة بيروت ثم انتخبت نائباً لرئيس المجلس، وبقيت سنة ثم عينت وزيراً للعدل أواخر ١٩٦١ في حكومة رشيد كرامي وبقيت حتى ١٩٦٤. وكان في تلك الحقبة أشخاص مثل: رينيه معوض

وفيليب بولس وبيار الجميل وكمال جنبلاط وعلي بزي ورفيق نجا وفيليب تقلا وغيرهم.

■ **ما هي أطرف حادثة بينك وبين فؤاد شهاب؟**

ـ حادثتان: **الأولى** عندما كان يبحث في قضية الإصلاح والتنظيمات والترتيبات. كان يعقد جلسات مصغرة مع اختصاصيين في الموضوع. وبما انني رجل قانون كنت أشترك في تلك الجلسات. وكان هناك إلى جانب فؤاد شهاب خبير فرنسي مشهور في لبنان هو الانتندان لاي. كان يثق جداً بكلام هذا الخبير. كنا مجتمعين ذات يوم بحضور مدير العدلية ورئيس دائرة القضايا وآخرين وعدد من الاختصاصيين. طلع الانتندان لاي بنظرية تتعلق بالتشريع. لم أقتنع وقلت رأيي، وعندما لم يقتنع قلت له: الحق ليس معك. انزعج فؤاد شهاب. كان ميالاً لأن يقتنع برأي الخبير الفرنسي لكني لم أقبل فجادلت ورُفعت الجلسة. كان الانتندان لاي رجلاً ذا تفكير ونهج، بعدها بيومين كنت في مكتبي فجاءني وقال لي: معالي الوزير الحق معك. وبعد يومين دعانا فؤاد شهاب إلى إجتماع. افتتح الجلسة. أنزل نظارتيه ونظر إلي، وقال: نريد ان نعتذر من الوزير بطرس لأنه كان على حق.

وفي حادثة **ثانية** كنت وزيراً جديداً للعدل. يوم الأحد كان كل شيء هادئاً. دق جرس الباب وجاءت الخادمة لتقول لي هناك سيدة تريد أن تتحدث معك. فخرجت لأقابلها، فقالت إنها آتية

من كسروان. ورمت نفسها على قدمي قائلة: «دخيلك زوجي مسجون موقوف متهم بشيء لم يفعله، أرجوك إرفع الظلم عنه».

سألتها عن قصتها فقالت: «زوجي من كسروان وهناك خلاف سياسي بينه وبين شخص يمت لرئيس الجمهورية بصلة وشكاه تشفياً، وهو موجود لدى التحري ويسيئون معاملته في التحقيق لأن المدعي له ظهر». وفي الواقع لم آخذ المسألة بجدية كثيراً لكنني قلت لأرى الموضوع عل أي حال، فسألتها عن اسم زوجها، وقلت لها إذهبي وارجعي بعد ٢٤ ساعة وسأحاول أن أستعلم لأعرف لماذا أوقفوا زوجك، وأنا لا أتدخل بذلك، ولكن بما أنه لم يحوّل إلى المحكمة ولا يزال لدى التحقيق الأولي فسأستطلع الأمر. وبعدما ذهبتْ لا أعرف لماذا ألهمني الله، وأنا لم أكن أتدخل بقضايا كهذه. اتصلت بالمدعي العام التمييزي وقلت له هناك «فلان» هل أنت على علم بقضيته؟ وليس مفروضاً أن يعلم المدعي العام إلا بقضية كبيرة، فأجاب: نعم. وبمجرد أن قال ذلك استغربت وقلت له: لماذا أنت على علم فأقصى حد هو ان يعلم المدعي العام في بيروت أو معاونه. فقال لي لأن الأمر أخذ طابعاً سياسياً لكن الجوهر لم يكن سياسياً وكانت مسألة تافهة. وأضاف: تعرف معالي الوزير هناك جماعة عندهم شوية مكانة. فقلت له هل راجعوك فيها، فقال نعم. فقلت له استفهم من التحري إذا لم تكن على الرجل أدلة جدية. فقال لي: لكن هؤلاء لهم صداقات مع

مراجع كبيرة. فقلت له: هل تدخلت المراجع الكبيرة بالموضوع؟ فأجاب: كلا لكن هناك نفس، فقلت: موضوع المراجع الكبيرة أنا مسؤول عنه، لكن أنت أطلق سراح الرجل إذا لم تكن عليه أدلة جدية.

في المساء جاءت زوجته وشكرتني، وعلمتُ في ما بعد أنه كانت هناك جماعة في محيط رئيس الجمهورية لها يد في هذه العملية، فهم حاولوا أن يبيّضوا وجههم ومن المؤكد أنهم راجعوا الرئيس فيها. كبر في عيني أن فؤاد شهاب لم يفتح لي سيرة هذا الموضوع لا هو ولا أحد من معاونيه المباشرين. أحدهم قال لي كلمة على الهامش فأجبت بأن، وبحسب ما أعرفه، على فؤاد شهاب أن يشكرني لأن أصحابه كان من الممكن أن يورطوه في عملية سيئة لصورته، والحق أن شهاب لم يتفوه بكلمة، ولم يكن يحب أن «يستزلم» أحد له. كان يحب التعاطي مع الناس على قدم المساواة، والذين يعتبرهم غير جديرين بأن يتعاطى معهم كان يهملهم، لكن ومن دون شك كان نموذجاً في الأخلاق. وبقيت علاقتي معه حتى رحيله. وصدف أن اليوم الذي توفي فيه كنت أزوره وتركته في الساعة الواحدة والنصف.. وفي الساعة الثالثة أو الرابعة قالوا لي إنه توفي إثر نوبة قلبية. ولم أصدق.

■ **وهل كنت تختلف مع فؤاد شهاب؟**

ـ في الواقع لم نكن نختلف. كانت تظهر وجهات نظر مختلفة

بالنسبة إلى بعض الأشخاص وبالنسبة إلى بعض الإجراءات. ولكن كنتُ دائماً أشعر بأن نيته طيبة. مثلاً أحياناً أعود وأقول له «تبين لي الحق معك». وأحياناً يقول لي «في هذه العملية الحق معك» لم يكن ينطلق من أفكار مسبقة ويتصرف على أساس أنه يريد الإثبات بأن الحق معه خلافاً لكل شيء. كان واقعياً ويمعن التفكير في الأحداث ويحترم الحقيقة ويقرّ بها حتى ولو حصل تباين في الرأي بينه وبين الآخرين. وهذا دليل استقامة وكبر أخلاق وحسن نية وانفتاح.

■ **من كان الفريق المقرب إلى فؤاد شهاب، أي من كان يفكر للرئيس؟**

ـ كان هناك عدد من الأشخاص حول فؤاد شهاب. على أساس التنفيذ، كان إلى جانبه الياس سركيس. وفي قضايا معينة لا شك كان هناك شفيق محرم. وكان هناك إلى حد معيّن أيضاً فيليب تقلا وأحمد الحاج وأنا، وفي بعض النقاط توفيق جلبوط.

■ **ماذا كان موقع سركيس؟**

ـ المدير العام لرئاسة الجمهورية، وكثيراً ما عقدنا اجتماعات كان ينضم إلينا فيها عن الجيش غابي لحود إذا كان الموضوع يتعلق بقضايا أمنية. وفي أول سنة في عهد شهاب كان لحود في أوروبا يتخصص ولاحقاً كان يأتي عندما يكون للقضية طابع

معيّن فنجتمع ونتناقش ونحاول دائماً أن نصل إلى قاسم مشترك بيننا. وإن لم نتفق كان فؤاد شهاب يستمع إلى وجهات النظر ويحاول أن يجد الخيار الأفضل.

■ هل كان فؤاد شهاب حقوداً؟

ـ اتهموه بأنه حقود. وفي الحقيقة أعتقد أنه ليس هناك أحد لا يحقد في وقت من الأوقات. وإنما فؤاد شهاب كان حقوداً تجاه الجماعة التي يعتبرها حقودة وتريد الإساءة إليه. وإذا ارتكب أحدهم هفوة غير مقصودة أو أنه لم يتعمد الإساءة فهناك مجال ليسامحه، ولكنه كان يحقد على الجماعة التي يعلم أنها تبيّت له شراً أو ضرراً.

■ هل كان ساخراً في أسلوبه؟

ـ لديه ناحية في طباعه أخذها من مشايخ آل حبيش، في كسروان، أهل أمّه. كان لديهم نوع من الظرف لا نستطيع تسميته سخرية بل ظرفاً أو نكتة. فكان يستعمل النكتة أحياناً في الاجتماعات. في اللقاءات كان يشارك أيضاً وزراء إذا كان للقضية طابع سياسي مهمّ وكنا نجتمع بمعية الرئيس كرامي.

■ كيف كانت علاقة فؤاد شهاب مع رشيد كرامي؟

ـ إذا أردت أن تقيس مزاج فؤاد شهاب ومزاج رشيد كرامي أيضاً ونفسيتيهما تجد أن فروقات كثيرة موجودة بين الإثنين، ولكنهما

كانا يلتقيان عند بعض الأشياء وكان لدى الإثنين نوع من التحفظ فلا يكثران الكلام ولا يحبان الشيء الذي يسمونه العنجهية والبهورة. كانا يؤمنان بالتفكير والعمل الصامت، وكان رشيد كرامي من أكثر الأشخاص الذين يستطيعون الانسجام مع فؤاد شهاب من بين الفريق الذي كان يخرج منه رؤساء الحكومات في ذلك الوقت بالنظر إلى مزايا عدة. وربما هناك أشياء لست مطلعاً عليها كفاية، لكن قبل أن يتسلم رئاسة الجمهورية مرت مناسبات أو ظروف جعلت فؤاد شهاب يقترب من البعض أو يبتعد عن البعض الآخر وكان لها آثارها عندما أصبح رئيساً للجمهورية. كان متواضعاً في تعامله مع الناس، والذي يتعاطى معه يكون مرتاحاً جداً في هذه الناحية. لأنه كان متواضعاً ومهذباً فإن كل موقف من الغير ينم عن غير تواضع يجعله ينزعج ويمتعض. ومن هذه الناحية كان يلتقي مع رشيد كرامي.

■ كيف كانت علاقة فؤاد شهاب بالياس سركيس عندما كان فؤاد شهاب رئيساً؟

ـ فؤاد شهاب جاء بالياس سركيس إلى المديرية العامة في رئاسة الجمهورية ليس لأنه كان من رجاله أو يعرفه أو من أقاربه، إنما أتى به على أساس مقاييس معينة. كان سركيس قاضياً في ديوان المحاسبة وتأتي معاملات للجيش ولم يكن هناك أحد يستطيع أن يقول لا للجيش في أيام عزه. الياس سركيس قال لا مرتين أو ثلاثاً ونُقل الأمر إلى شهاب فقال: من

هو، أريد أن أراه. وعندما قابله فوجئ بالياس سركيس يقول له: الحق ليس معك يا حضرة اللواء وهذه العملية غير صحيحة. وفسرها له مرتين وثلاثاً فاحترمه لأنه كان يطبق القانون ولم يكن خائفاً من أحد، فوضع الاسم في رأسه وعندما أصبح رئيساً للجمهورية طلب هذا الرجل الذي كان يقول له لا، عندما يكون على خطأ.

■ **هل كان فؤاد شهاب تسوية بين الأميركيين وجمال عبدالناصر؟**

ـ من دون شك فؤاد شهاب أصبح في ذلك الوقت رئيساً للجمهورية لأن الوضع الدولي كان يهتم بلبنان أكثر مما يهتم به الآن، إذ أنه الآن يهتم بنا في الظاهر بينما في الواقع لا يهتم بنا. كان لبنان على خريطة الشرق الأوسط والمعاملات الدولية ويستطيع أن يلعب فيها دوراً أكبر وكان له مركز أهم، وتأثير في الحرب الباردة وتأثير استراتيجي سنة ١٩٥٨ في عهد الرئيس الأميركي أيزنهاور. ومن دون شك كان فؤاد شهاب تسوية على أساس أنه حل التعادل السلبي. ففي المباراة لم ينتصر أحد لأن فؤاد شهاب لم يكن أميركياً ولم يكن ناصرياً ولكنه كان يراعي هذا وذاك باعتبار أن كل واحد كان يقبل به ليس على أساس أنه له بل على أساس أنه ليس ضده، وهكذا تحصل التسوية.

■ **فؤاد شهاب استقال ورجع عن استقالته، ولهذا الحدث تفسيرات كثيرة وأنت رافقته، فماذا حصل فعلاً؟**

ـ عندما حصل هذا الأمر كنت نائباً جديداً بعد انتخابات سنة ١٩٦٠. فؤاد شهاب كان يعيش تجاذباً طوال مدة رئاسته بينه وبين نفسه. ومراراً عندما كنت أخرج من مجلس الوزراء كان يركض ورائي مرافقه ويقول لي: فخامة الرئيس يريد أن يتكلم معك. وكان يحدثني وينسجم تفكيري مع تفكيره.

أحياناً كان يقول لي: «أنا شو عمبعمل هون، مزاجي مش هيك، والذي يحكم يضطر أن يتساهل ويساوم وأنا لست كذلك وعقليتي مختلفة فماذا أفعل هنا ولماذا أقبل بالبقاء. لا يجوز». كان يطرح السؤال علي حتى أجادله.

في مكتبه الصغير في صربا كان فؤاد شهاب يعيش دائماً هذا التجاذب بين ما يريده وبين ما يحتمه الواقع. وكعسكري كان يكره فكرة المساومة. وبعد انتخابات ١٩٦٠ كان يأمل أن تكون جغرافية المجلس النيابي الجديد مختلفة بمعنى أن يصل ١٠ أو ١٢ وجهاً جديداً يمكنونه من أن يتصرف بحرية أكثر، وقال لي ذلك قبل الانتخابات وبعدها. لكن الأمور لم تكن كما أراد، ما جعله يبدأ في المساومات المعتادة. وأعتقد انه مر بمرحلة تغلبت فيها النزعة الرفضية عنده على نزعة المساومة ولم يستطع التغلب عليها. في الوقت الذي رأى فيه نوعاً من الإجماع وحركة. لم يرض أن يذهب أبعد ويخربط الأمور. قال ربما هذه العملية أو الهزة تساعدني أكثر لأحكم. ولكن هذه هي الأشياء التي كانت تزعجه. وحدثت في مجلس الوزراء ذات

مرة مناوشات خفيفة. وكان فؤاد شهاب عندما يتكلم لا يجرؤ أحد على الاعتراض، لكنه كان يفسح المجال للجميع ليعبروا عن وجهة نظرهم ولا يتدخل إلا في النهاية عندما يرى أنه يجب أن يحصل ذلك.

■ هل كانت لديه سلطة معنوية راسخة؟

ـ من دون شك جلسات مجلس الوزراء في أيامه كانت روعة من حيث المستوى ومن حيث الجو. فإذا رميت الإبرة كنت تسمع رنّتها. كان يحدث أحياناً جدال، كان يتجادل بيار الجميل مع كمال جنبلاط ولكن لم تكن هناك أهمية لذلك. وكنت أتجادل مع كمال جنبلاط ولكن دائماً على مستوى معين، وبعد أن يترك فؤاد شهاب المجال لكل جدال أو عمل كان يتكلم ويستنتج. فكنت تشعر كأنما «تكلم الصديق أو الحكم». ذات يوم قال لي بعد جلسة مجلس الوزراء: أريد أن أتكلم معك. فمررت على مكتبه، وقال: لماذا عليّ أن أتحمل السياسيين اللبنانيين؟ ماذا يجبرني على ذلك؟

■ من كان الوزير المشاكس في عهده؟

ـ شاركت في وزارتين في عهده، وفي المرتين كان يرأسهما رشيد كرامي. الوزارة الأولى حين توسعت الحكومة وباتت تضم ثمانية وزراء. الرباعية كان فيها رشيد كرامي وحسين العويني وبيار الجميل وريمون إده، وهي تألفت بعد ١٩٥٨ أي

من وزيرين سنيين ووزيرين مارونيَين. لم تكن هناك مشاكسة بالمعنى الذي تقصده.

■ كيف كانت علاقة فؤاد شهاب بكمال جنبلاط؟

ـ مثل ما يمكن أن تكون علاقة كمال جنبلاط الذي هو زعيم درزي وعنده انتماء قومي ونظرة إلى الأمور منبثقة من وضعه في الشوف ومن تاريخه مع شهاب رئيس الجمهورية. ولكن لم يكن يحدث تصادم بينهما، وإنما في بعض المناسبات لم يكن يقتنع كمال جنبلاط من فؤاد شهاب والعكس صحيح. ولكن الأمور كانت تظل دائماً ضمن إطار الكياسة.

■ كيف كانت علاقة بيار الجميّل وكمال جنبلاط آنذاك؟

ـ كانا يداريان بعضهما بعضاً إلى حد معيّن، وأكيد تعود الأمور وتتخربط، وعندها تنفجر مرة واحدة كل الرواسب التي بلعاها، ثم تبدأ الدورة من جديد.

■ هل كانا يهددان بعضهما بعضاً؟

ـ لا، بالنتيجة بين ١٩٥٨ و١٩٦٤ كانت الأجواء تفرض على السياسيين أن يتعقلوا وكانوا يتعقلون.

■ هل لديك نوع من الأسف لغياب هذا الطقم من المتعقلين؟

ـ من دون شك، وربما أدى ذلك إلى رفض نفسي للتكيف مع

الجيل الجديد، ولا يعني ذلك أنني على حق. ولكن في طبيعة الحال الانسان مع مرور الوقت يحن إلى الماضي، ربما لأنه كان شاباً أكثر، وثانياً لأنه رغم تصادم مغريات عدة كانت هناك اعتبارات تجمع بيننا وبينهم... خبز وملح وسياسة وتعاط، ولا يعني ذلك أنهم ذهبوا ولا يوجد أحد ليحل مكانهم. إن الحياة لا تستمر إلا بالتجديد، وقد تعاطيت مع غيرهم في عهود ثانية ولكل جيل ميزاته من حسنات وسيئات وليس هناك جيل يحتكر الحسنات أو يحتكر السيئات. لكن الأجواء التي كانت تخيم على البلد وفي المنطقة كانت تساعد أكثر إذا أردنا أن نكون منصفين على أن يكون هناك شيء اسمه جو دولة. جو على مستوى معيّن. كانت هناك صعوبات كثيرة لكن الأمور كانت سهلة أكثر من الآن، وبصورة خاصة، فكل من الموجودين يشعر بحرية أكثر وإذا أصاب يشعر بأنه أصاب على حسابه، وإذا أخطأ يشعر بأنه أخطأ على حسابه، وفي بعض الحالات هذا ليس متوافراً فقد يصيب أحدهم أو يخطئ لحساب غيره.

خسر شارل حلو الشهابيين ولم يربح خصومهم

ضاع عهد الرئيس شارل حلو (١٩٦٤ ـ ١٩٧٠) بين حدثين: **الأول** هو انتخابه من دون منحه تفويضاً بأن يكون صاحب العهد، **والثاني** اندلاع حرب ٥ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ والتي كانت نكسة على الجبهات المحاربة وكارثة على الجبهة التي لم تحارب. لا مجال للتشكيك في ذكاء شارل حلو ولا في ثقافته وديبلوماسيته وامتلاكه معظم مواصفات رجل الدولة، إذا استثنينا القدرة على الحزم والحسم. لكن المشكلة تكمن في أن حلو لم ينتزع الرئاسة انتزاعاً. فهو جاء إليها بعدما أغلق سلفه فؤاد شهاب الباب أمام محاولات التجديد والتمديد. جاء لأن شهاب لم يبق. وجاء لأن ساعة الياس سركيس لم تحن بعد. ولأنه اعتُبر الأقل خطورة بين الطامحين وربما الأكثر طواعية بينهم. لا بل إن ثمة من يقول إنهم جاؤوا بشارل حلو كي لا يكون هناك عهد يخص الرئيس أو ليكون عهده مجرد استمرار للعهد

السابق وبانتظار عودة شهاب نفسه. أي أنهم جاؤوا به ليحرس الكرسي بانتظار إعادة تسليمه وعلى أن يبني عهده بحجارة العهد السابق.

كانت الأكثرية النيابية شهابية أيضاً. لم يكن شارل حلو زعيماً شعبياً فهو أمضى بين الكتب أكثر مما أمضى بين الناس. ولم يكن سيف طائفته ولا ترسها ليجيء الناس إليه إذا دعاهم. لم يأت من الثكنة ليستدعي رفاقه فيها إلى عهده. ولم يكن يمتلك معقلاً مضموناً كخلفه سليمان فرنجية. وبعبدا ليست المكان المناسب لبناء زعامة متشددة. مروره في تأسيس حزب الكتائب كان عابراً فشارل حلو ليس من أنصار التشدد وليس مغرماً بمجابهة الشدائد. وقبل ذلك كله لم تكن له تلك الشرعية الشهابية التي امتلكها الياس سركيس ليعثر فوراً على مناصرين بين المدنيين والعسكريين.

كان شارل حلو وحيداً تقريباً. رئيس للجمهورية والغالبية تعتقد أن الرئيس الفعلي يسكن في مكان آخر. صنع شهاب صورته ولمّعها أنصاره، وكانت لـ «النزاهة والقداسة» سطوة على الشهابيين لم تتقلص مع خروج اللواء من القصر. ولم يتأخر حلو في اكتشاف أنهم جاؤوا به ليحكموا عبره. ولم يكن لديه في معركته غير سلاح الكلمة وهو لم يبخل باستخدامه. أحب الكلام وعشق الخطب لكن ذلك لم يكف.

لم يستسلم شارل حلو. وقاوم على طريقته. ساير وتململ.

قبل وشكك. في مواجهة خصوم الشهابية كان يتذرع بثقل الشهابيين لتبرير سياسته. وفي مواجهة مطالبة الشهابيين له بالتطابق الكامل مع «المعلم» كان يستخدم وجود أخصامهم ليميز سياسته. لم يكن من أنصار المواجهة وكسر العظم. وقناعاته لم تسمح له بالتآمر لشطب خصم أو إلغائه أو بالتوقيع على عقوبة إعدام. لكن ثمة من يقول إنه ثأر من الشهابيين وأطلق عليهم رصاصة قاتلة حين شجع ضمناً أو تواطأ سراً لقيام «الحلف الثلاثي» بين كميل شمعون وبيار الجميل وريمون إده والذي اكتسح انتخابات ١٩٦٨ النيابية مستفيداً من افتقار الشهابية إلى الشعبية في الشارع المسيحي ومن الأجواء الاقليمية التي ولّدتها حرب ١٩٦٧.

من السهل معاتبة الحاكم لاحقاً. ولكن هناك من يقول إن شارل حلو افتقر إلى القدر الضروري من الحكمة المؤذية والجنون المفيد، وإنه كان عليه أن يدفع البلاد إلى الحرب على خط التماس العربي ـ الإسرائيلي كي لا تولد خطوط التماس لاحقاً في شوارع بيروت. فضّل حلو آنذاك سلامة جزءٍ من الأرض على الحصول على «شهادة وطنية» تحصّن الجزء الباقي ولأن النظام اللبناني لم يخسر يومها فلن يربح لاحقاً، فقد كان إطلاق النار على إسرائيل «ضرورياً لامتلاك حق ردع تجاوزات المقاومة الفلسطينية».

في ٥ حزيران ١٩٦٧ وقف دكتور في الاقتصاد اسمه سليم

الحص ليؤدي اليمين أمام شارل حلو لتولي مسؤولية جديدة في عالم الاقتصاد وكان الياس سركيس حاضراً. وسمع الحص من الرئيس الذي بدا مهموماً أن الحرب التي اندلعت ستؤثر على مستقبل لبنان.

هكذا انقضى عهد شارل حلو كئيباً ومريراً بعد النكسة. ففي عام ١٩٦٨ ستقصف الطائرات الإسرائيلية مطار بيروت وسيذهب رئيس الجمهورية مع رئيس حكومته لتنشق رائحة الطائرات المحروقة. ومع وصول الفدائيين إلى لبنان وتحول المخيمات فيه إلى معسكرات وتحول المقاومة عنصراً صعباً في المعادلة الداخلية ازدادت قناعة حلو باستحالة مصالحة منطق الدولة مع منطق الثورة. هكذا توافرت ظروف المواجهة بين المقاومة الفلسطينية والجيش اللبناني وبين المقاومة وجزء من اللبنانيين. وبعد اشتباكات نيسان ١٩٦٩ بين المقاومة والجيش سيستقيل رئيس الحكومة رشيد كرامي وستندلع أزمة حكومية من الأطول في تاريخ لبنان، وعبثاً سيحاول شارل حلو «رفض الأمر الواقع». وفي النهاية كان «اتفاق القاهرة» برعاية جمال عبدالناصر وفيه تنازلت الدولة اللبنانية عن جزء من سيادتها، وهو سيلغى في النصف الثاني من الثمانينيات وبتأييد ممن كانوا متحمسين له. أُلغي الاتفاق ولكن بعد خراب البصرة.

في نهاية العهد في ١٩٧٠ حاول الشهابيون الاحتفاظ بالقصر أو استرجاعه لكن مرشحهم الياس سركيس خسر بفارق صوت

واحد أمام سليمان فرنجية الذي سيقطع عهده مسار الشهابية وسيكون نقيضها. في اليوم التالي كتب غسان تويني، الذي تم اختيار سليمان فرنجية مرشحاً في مكتبه، افتتاحية بعنوان «الصوت الواحد، صوت الشعب» والمقالات الكبيرة كما الأحداث الكبيرة تواريخ متروكة لحكم التاريخ القادر وحده على الفصل في مسألة تطابق العناوين مع الحقائق. عايش فؤاد بطرس عهد شارل حلو من موقعه نائباً ثم نائباً لرئيس الوزراء وزيراً للتربية والدفاع ثم وزيراً للخارجية وها هو يتحدث عن العهد وصاحبه وبعض رجالاته:

■ لماذا جاء شارل حلو رئيساً في ١٩٦٤؟

ـ هذا السؤال محرج فعلاً ولسببين: **أولاً** لا أعرف إذا كنت أملك كل الأسباب التي تفسر مجيء شارل حلو، **وثانياً** حتى لو كنت أمتلك بعضها فإن بعض ذلك يجب أن نتركه لذمة التاريخ، إذ لا يزال مبكراً الغوص في هذا الموضوع. كان شارل حلو أيضاً نوعاً من التسوية بين تيارات مختلفة وكانت هناك فكرة لترشيح فؤاد عمون وعبدالعزيز شهاب وأسماء أخرى غيرهما. لم يكن إطار الخيار واسعاً في عام ١٩٦٤ بل كان شبه محدود، وربما بالنظر إلى الوضع في تلك السنة كان المطلوب رئيساً للجمهورية لا يشكل تحدياً ولا يعتبر مجيئه معاكساً لاتجاه الشهابية أو مناقضاً لها باعتبار أن الظروف الداخلية والإقليمية والدولية كانت لا تزال في الاتجاه نفسه. وربما أحد

الأسباب التي جعلت حظ شارل حلو أكبر من غيره هو أنه كان من المفروض عليه أن يستمر إلى حد ما بالتيار الذي كان سائداً آنذاك.

شاركتُ في الحكم في عهد شارل حلو وكنت واحداً من اثنين أدركا أن شارل حلو صاحب الحظ القوي. وكان لي دور في العملية حتى أسوّق موضوع شارل حلو في صفوف نواب النهج الذين كانوا في بلبلة إلى حد ما. شارل حلو يكبرني بعض الشيء في السن وبعد انتخابه عرض علي أن أكون وزيراً وألح.

لم يكن عهد شارل حلو سهلاً. ففي ذلك العهد تسارعت التطورات. يجب ألا ننسى حرب ١٩٦٧ وما أحدثته في المنطقة، وظهور العمل الفلسطيني المسلح، والخيبة التي سببها انحدار الجيوش العربية. طبعاً في تلك الأيام كانت مؤسسات الدولة اللبنانية موجودة وغير مشرذمة. لكن المنطقة كانت تغلي. وكانت لحال الغليان هذه أصداء في الخارج والداخل. وأعتقد أن سياسة شارل حلو هدفت إلى الحد من الخسائر. أعرف أنك تريد أن تسأل عن «اتفاق القاهرة». هذا الموضوع شائك. عندما كنت وزيراً للخارجية في عهد الرئيس الياس سركيس كان ممنوعاً على الحكم أن يمس هذا الاتفاق. لم تكن الظروف الداخلية مهيأة ولا الظروف العربية مساعدة. لم تتردد الدولة اللبنانية في لفت النظر والتحذير والتنبيه، لكن المس بالاتفاق كان ممنوعاً. إلى أن تغيرت الظروف وصار

إلغاء اتفاق القاهرة مطلباً وطنياً. وحصل الإلغاء، لكن بعد ماذا؟ بعدما سبق السيف العذل وأصبح بطبيعة الحال ساقطاً. أي كمن ينجز وثيقة وفاة لشخص توفي قبل ثلاث أو أربع سنوات وربما أكثر.

■ ما هي أهم مشكلة واجهتك وزيراً للخارجية في عهد شارل حلو؟

ـ بدأت الأمور تتخربط في أيام شارل حلو. مناوشات واعتداءات، وبدأت المقاومة تتمركز في جنوب لبنان بعد حرب ١٩٦٧. هذا الظرف عشته أنا كوزير خارجية وأقلقنا، فجلت على عواصم الدول الأعضاء في مجلس الأمن بهدف معالجة هذا الموضوع، ذهبت إلى الاتحاد السوفياتي والتقيت الرئيس بودغورني ووزير الخارجية أندريه غروميكو. ذهبت إلى الولايات المتحدة واجتمعت مع دين راسك. وفي فرنسا كان ميشال دوبريه موجوداً خارج البلاد واستقبلني الجنرال ديغول. ثم زرت انكلترا والتقيت وزير الخارجية. وذهبت إلى الفاتيكان والتقيت البابا.

■ ألم تذهب إلى سورية؟

ـ في ذلك الوقت كانت هناك قطيعة وخلاف شديد دام ستة أشهر. صالحونا في الجامعة العربية. محمود رياض كان وزير خارجية مصر واجتمعنا وتناقشنا طويلاً حتى مشى الحال، كانت

القطيعة بسبب لاجئين سياسيين طالبت سورية بتسلمهم فلم نعطها إياهم فأقفلت الحدود. وبعثت ببرقية احتجاج شديدة اللهجة إلى وزارة الخارجية السورية كانت الأولى من نوعها. بعد ذلك صالحنا محمود رياض.

■ **ما هو أسلوب شارل حلو؟**

ـ شارل حلو في ذلك الظرف لم تكن عنده القوة التي تمتع بها فؤاد شهاب الذي لا بد من الالتفات إلى ظروفه وماضيه والمونة التي كانت له على الجيش. شارل حلو كان من أسلوب مختلف.

■ **والحادثة الطريفة مع شارل حلو؟**

ـ مرت ظروف دقيقة مع شارل حلو بمناسبة أزمة إنترا ثم في شأن المقاومة.

■ **هل حدث صراع حاد داخل الحكومة؟**

ـ لا. صراع حاد لم يحدث. رغم أنه وجد في بعض الأوقات بين كمال جنبلاط وبيار الجميل. كانت الأمور تسوّى. كانت ظروف شارل حلو دقيقة. وجّه نداء لمشاركة العرب في الحرب في ١٩٦٧. كان الظرف دقيقاً وكنت من الذين استشيروا. في انتخابات ١٩٦٨ كان هناك نوع من التباين بينه وبين ممثلي التيار الشهابي. حاول تطهير الإدارة. قضية انترا.

■ **من هو السياسي الذي أتعب شارل حلو؟ رشيد كرامي مثلاً؟**

ـ القصة مع شارل حلو أنه حين تعقّد الوضع وساءت علاقاته مع التيار الشهابي صارت علاقاته مع رشيد كرامي صعبة. ولهذا السبب لجأ مرتين إلى عبدالله اليافي. كان يرتاح أكثر معه لأن اليافي كان حيادياً أكثر.

■ **والاستقالة الشهيرة لحلو؟**

ـ الواقع أنه حين قدم شارل حلو استقالته ألّف حكومة وعيّن فيها علي عرب وزيراً للخارجية وكنت عائداً من الأمم المتحدة. استقالت الحكومة وأنا في فرنسا، وهذا صار بعد ١٩٦٨، وكانت القلوب ملآنة إثر الانتخابات ونتائجها وملفات أخرى.

■ **حكيت عن خطورة انتخابات ١٩٦٨ فأين هي الخطورة؟ هل هي انتصار الحلف الثلاثي؟**

ـ اتهم شارل حلو بأنه كان شريكاً ضمنياً أو صامتاً فيه باعتبار أنه لم يحاول أن يحول دونه أو لم يحاول أن يغيّر فيه أو شجعه ضمناً بموقفه الصامت. لا يزال من المبكر أن يستخلص المرء النتائج. على كل حال كان شارل حلو عرضة لضغوط كبيرة من التيار الشهابي ومن أخصام الشهابية، وهناك بعض الدول الأجنبية التي ساعدت، خصوصاً أنه في ١٩٦٨ كنا بعد ١٩٦٧ والهزيمة. وتراجع نفوذ عبدالناصر الذي خفّت شوكته.

■ هل الحلف الثلاثي غلطة مارونية كبيرة في رأيك؟

ـ لو كنت مارونياً لأعطيتك رأيي بصراحة أكبر، ولأنني لست مارونياً أفضّل ألا أعطي رأياً أو حكماً، لكنني أستطيع أن أقول إنه بفعل سلسلة أخطاء من الفريق الماروني بالتحديد والفريق المسيحي إجمالاً بين ١٩٦٥ و١٩٧٥ لا أستطيع كي أكون منصفاً أن أقول إنها السبب في الأحداث ولكن سهّلت حصول الأحداث. أنا أرفض من حيث الإنصاف تحميل فريق واحد مسؤولية الأحداث. الفريق الماروني يتحمل مسؤولية والفريق المسيحي يتحمل، لكن الأطراف الاخرى تتحمل أيضاً. الفريق السنّي يتحمل والفلسطيني يتحمل والدول العربية أيضاً. وطبعاً لن أتكلم عن إسرائيل فهي العدو وبطبيعة الحال من واجبها أن تزعزع استقرارنا.

■ في عام ١٩٦٧ اندلعت الحرب العربية ـ الإسرائيلية، كيف تعامل العهد مع الموضوع؟

ـ عندما اندلعت الحرب عام ١٩٦٧ بين إسرائيل والدول العربية لم أكن وزيراً في الحكومة، بل كنت نائباً في المجلس النيابي، الحرب كانت صدمة خصوصاً أنه نتيجة المعلومات التي وصلتنا خلال ٤٨ ساعة بعد بدء الحرب، كانت الأمور تجري بشكل غير مؤات للعرب، وما أذكره أن الحكومة واجهت صعوبات آنذاك لأن الرئيس المصري جمال عبدالناصر وجّه نداءً إلى حكومات عربية عدة طلب منها فيه الدخول في الحرب وتقديم

المساعدة. وكما أذكر وقبل أن يتيسر للبنان أن يعطي جوابه على هذا النداء، وبعد الاستشارات التي أجراها رئيس الجمهورية مع بعض السياسيين والنواب، انتهى الأمر بالنسبة إلى الحرب وحسمت الأمور بكل أسف، وكان لهذا الحدث وقعه العميق والشامل في ذهن الناس وعانينا من انعكاساته ونتائجه نحن وغيرنا من العرب على سنوات، وما من شك في أن الصعوبات التي واجهها لبنان سنة ١٩٦٩ بالنسبة إلى المقاومة الفلسطينية خلال عهد الرئيس شارل حلو مصدرها الأساسي مشكلة حرب ١٩٦٧ وهزيمة العرب.

■ من هي الأطراف التي ضغطت لتوقيع «اتفاق القاهرة»؟

ـ العامل الأساسي الضاغط لتوقيع اتفاق القاهرة كان الأحداث والاضطرابات التي وقعت والانشقاق الذي حصل بين رئيس الحكومة (رشيد كرامي) ورئيس الجمهورية، وبين أعضاء الحكم بالنسبة للمقاومة الفلسطينية، فكل هذه الأحداث كانت تشكل قوة ضاغطة مهمة لأنها كانت تعرّض الأمن والاستقرار والوحدة الوطنية للخطر، الأمر الذي حمل الرئيس جمال عبدالناصر على التدخل كي لا تتطور الأمور إلى الأسوأ، وحاول إيجاد قاسم مشترك بين اللبنانيين والفلسطينيين. وفي ذلك الوقت لم أكن وزيراً، وكما أذكر أوفد الرئيس شارل حلو بعض الموفدين إلى القاهرة لمفاوضة الفلسطينيين على وضع اتفاق، واعتبر الرئيس حلو الاتفاق أفضل من اللااتفاق للأسباب

الآتية: **أولاً** لأن الاتفاق يحول دون الخلاف الداخلي وربما يمنع اندلاع حرب لبنانية ـ لبنانية، ويوفر ولو إلى حد ما الوحدة الوطنية، **وثانياً** يجعل العرب مسؤولين تجاه لبنان عن تنفيذ الاتفاق من قبل الفلسطينيين، **وثالثاً** يحاول عبر الاتفاق وضع ضوابط للعمل الفلسطيني. وبالواقع أن الاتفاق الذي حصل كانت تشوبه بعض العيوب، وأعتقد أن الذين فاوضوا في هذا الاتفاق ولاعتبارات أجهلها، تجاوزوا إطار التعليمات والتوجيهات المعطاة لهم من السلطات اللبنانية، وربما كانت الظروف تفسر ذلك إن لم تكن تبرره، وفي النتيجة وافق مجلس الوزراء على الاتفاق وطلب من المجلس النيابي الموافقة من دون الاطلاع على الاتفاق، وهذه كانت عملية غريبة في حينها، وكما أذكر فإن النائب الوحيد الذي لم يرض بهذا الموضوع هو ريمون إده، وأتصور أنه كان على حق في عدم موافقته على اتفاق من دون أن يعلم ما هو مضمونه، فهذا الأمر لا يتفق كثيراً مع الديموقراطية ودور المجلس، وإنما الظروف الاستثنائية أدت إلى هذا الأمر. بعد ذلك حمّلوا اتفاق القاهرة كل المساوئ التي حصلت والتجاوزات التي جرت، وفي الواقع هذه التجاوزات كانت ستحصل سواء أكان الاتفاق موجوداً أم لا. هذا الاتفاق كان نتيجة تسليم من السلطة اللبنانية بنوع من عجز عن معالجة الأمور بطرقها الخاصة، فالمشكلة لم تكن في نص الاتفاق بقدر ما كانت في المعادلات والظروف والأجواء التي أدت إليه.

■ **خلال الأيام الأخيرة من عام ١٩٦٨ قصف سلاح الطيران الإسرائيلي مطار بيروت وبدا وكأن لبنان الذي حاول الهرب من الحرب بات طرفاً فيها...**

ـ حين أغار سلاح الطيران الإسرائيلي على مطار بيروت، لم أكن وزيراً في الحكومة لكن مجلس الوزراء طلب مني أن أترأس وفداً إلى مجلس الأمن لتقديم شكوى والدفاع عن لبنان، فقبلت المهمة وترأست الوفد الذي كان من بين أعضائه الأستاذ بيار إده (نائباً للرئيس) وسفير لبنان لدى الأمم المتحدة الذي أعتقد أنه كان إدوار غرة، وشخص آخر لم أعد أذكره تماماً. سافرت مع الوفد على عجل إلى نيويورك وقدمت الشكوى باسم لبنان، وعقد مجلس الأمن جلستين أو ثلاثاً ليلة رأس السنة استمرت حتى الثانية فجراً ودافعت عن لبنان ورددت على مندوب إسرائيل حين حاول التبرير. والتأم مجلس الأمن وقرر في النتيجة إدانة إسرائيل من دون تحفظ، وتهديدها لأول مرة بتطبيق الفصل المتعلق بالعقوبات عليها إذا كررت أعمالاً كهذه، كما أنه حفظ حق لبنان بالمطالبة بالتعويضات.

■ **في عام ١٩٦٩ حصلت الاشتباكات مع الفلسطينيين واعتكف رئيس الحكومة رشيد كرامي، كيف تفسر هذه المقاطعة خصوصاً أنها عادت وتكررت مرات عدة؟**

ـ في كل مرة كان يتعرض البلد لأزمة حادة تؤدي إلى تباين في

وجهات النظر في الأساس بين فريق وفريق، وبصورة خاصة تباين وجهات النظر بين الفريق الذي ينتمي إليه رئيس الجمهورية والفريق الذي ينتمي إليه رئيس الحكومة، درجت العادة على المقاطعة بدءاً من العام ١٩٦٩، لأن المقاطعة هي تعبير عن خلاف في العمق بين الفريق الماروني والفريق السنّي، وهذا الأمر مؤسف جداً، وتكرر بعدئذ في مناسبات أخرى وتفاقم. وكان هذا وجهاً من جوه زعزعة الوفاق الوطني وعدم رسوخه على أسس متينة ثابتة، ومن وجوه العاصفة السياسية والنفسية التي خلّفها الوجود الفلسطيني على أرض لبنان والعمل الفلسطيني الهادف إلى المقاومة بقوة السلاح من دون التنسيق مع السلطة اللبنانية ومن دون الأخذ في الاعتبار هذه السلطة، هذه الأمور تراكمت عندما اقترنت بأسباب ودوافع أخرى أدت في النتيجة إلى أحداث ١٩٧٦.

■ كيف تقوّم تجربتك مع الرئيس عبدالله اليافي؟

ـ عُيّنت نائباً لرئيس الحكومة في حكومة يرأسها الرئيس عبدالله اليافي رحمه الله، مرتين خلال عامي ١٩٦٦ و١٩٦٨. ففي العام ١٩٦٦ عيّنت وزيراً للدفاع وللتربية، أما في العام ١٩٦٨ فعيّنت وزيراً للخارجية. ذكرياتي مع الرئيس عبدالله اليافي إيجابية وجميلة، فهو رجل بمنتهى الكياسة والوعي والتحسس بالأمور الوطنية، وهو يدرك ما يمكن أن يدور في ذهن غيره وظروفه ويسعى دائماً من منطلق وطني سليم إلى الوصول إلى

حلول مقبولة بعيدة عن التشنج والمزايدات. لقد كان محور التعاون معه مثمراً وجيداً.

■ هل من حادثة تذكرها حصلت مع الرئيس عبدالله اليافي؟

ـ عندما ذهبت إلى نيويورك للدفاع عن لبنان بعد الهجوم الإسرائيلي على مطار بيروت قامت تظاهرة قرب السراي الحكومي، وألقى الرئيس عبدالله اليافي خطاباً أشاد فيه بالمقاومة، وأعتقد أنه ذهب أكثر من الاشادة بحيث أخذ موقفاً فيه نوع من الالتزام، ثم اتصل بي في نيويورك في اليوم التالي للاطلاع على مجريات أعمال مجلس الأمن فلفّت نظره وقلت له: يا دولة الرئيس نحن نقول إن لبنان غريب عن كل موضوع التصعيد وغير مسؤول عنه، فأرجوك خلال إلقائك الخطابات الحماسية عليك عدم إحراجي لأني هنا أريد أن أدافع ضد الحجج التي يواجهونني بها سواء الواهي منها أو الواقعي. فضحك الرئيس اليافي وتفهم موقفي. التعامل معه كان جيداً وممتعاً.

■ والعلاقات بين شارل حلو وعبدالله اليافي؟

ـ كانت العلاقة بينهما جيدة، وفي أيار أو حزيران عام ١٩٦٨ لم أنجح في الانتخابات النيابية، فقدمت استقالتي فوراً من الحكومة، لكن اجتمع الرئيس حلو والرئيس اليافي فرفضاها،

واتصلا بي طالبين مني الرجوع عن الاستقالة، فقلت لهم إنني أعتبر أن من واجبي أن أترك وأستقيل لأنني عينت نائباً، إثر ذلك تم إصدار بيان أذاعته رئاسة الجمهورية رفضت فيه استقالتي مع تسجيل الجهود والنتائج التي توصلتُ إليها بفعل عملي في وزارة الخارجية، وطلب مني الاستمرار في تحمل المسؤوليات، وهكذا حصل لأن الوزارة بقيت حتى أواخر تشرين، أي أواخر عام ١٩٦٨.

■ وأزمة إنترا خلال عهد شارل حلو؟

ـ أزمة إنترا حصلت عام ١٩٦٦ وكنت وزيراً آنذاك، وهي أدت إلى هزة كبيرة على الصعيدين المصرفي والاقتصادي، ولو لم تتصرف الحكومة بحكمة وبعد نظر وتحافظ على أعصابها، لكان يمكن لهذه الخضة أن تؤثر كثيراً على الأوضاع في لبنان الذي تجاوزها والحمد لله، وقد قدمت الحكومة وقتها مشاريع قوانين جديدة تعالج هذا النوع من الأزمات، وتمكن من وضع اليد على المصارف المتعثرة، وكان هناك تعاون وثيق بين البنك المركزي والحكومة، وفي ذلك الوقت كنت نائباً لرئيس الحكومة ووزيراً للدفاع والتربية ولم يكن لي علاقة كوزير بشكل مباشر بقضايا المصارف، ولكن بصفتي كمحام ومطّلع على هذا الموضوع كنت ألعب دوراً مهماً في مجلس الوزراء وأُستشار بصورة شخصية. وبالنتيجة أعتقد بأن المجهود الذي بذل في ذاك الوقت وطريقة معالجة الأمور تبين أنه كان أفضل

ما يمكن أن يحصل، خصوصاً أنه كان من الصعب على الحكم وعلى البنك المركزي نفسه أن يعرف ما هو وضع بنك انترا تماماً نظراً إلى وجود توظيفات ومصالح في الخارج.

■ ما هي أهمية شارل حلو كشخص ونقاط الضعف خلال عهده؟

ـ نقاط الضعف الأساسية في عهد شارل حلو هي الآتية: ولأسباب لا يمكنني أن أذكرها هنا وأن أحدد المسؤولين عنها، فعندما حصلت برودة بينه وبين الشهابية، أصبح في النتيجة غير قادر على التعويل على شيء ليحكم لأنه فقد إلى حد ما الشهابية، أو هو أراد أن يبتعد عنها، ومن جهة ثانية لم تكن الجهات الاخرى التي يمكنها أن تساعده تقدم له هذه المساعدة، بل كانت تستخدمه لمحاربة الشهابية، فالرئيس حلو وجد نفسه في وقت من الأوقات في ظرف لا يحسد عليه لأنه لم يستفد من أي جهة، وهذه بنظري أهم نقطة ضعف خلال عهده.

■ هل تعتبر أن الشهابية نجحت في المحافظة على الوحدة الوطنية والتعايش؟ والى أي حد؟

ـ أريد أن أقول شيئاً، وبصراحة، أنه إذا كان هناك من عهد في لبنان، مع التسمية المعهودة لكلمة عهد، حافظ على الوحدة الوطنية والتعايش إلى أقصى حد أعتقد أنها كانت الشهابية.

■ **ما أهمية شارل حلو كشخص؟**

ـ شارل حلو كإنسان تتمثل فيه قيم إنسانية وثقافية على مستوى عالٍ، وبصورة إجمالية وفي العالم الشرقي ولبنان قليلاً ما يعهد بمراكز سياسية على مستوى القمة إلى أناس مزاجهم كمزاج الرئيس حلو على صعيد النظرة الفلسفية والثقافية. إنه أحد القلائل الذين تولوا مراكز كهذه. طبعاً هذا الأمر له وجهان في الحكم إيجابي وسلبي، من هنا كان لبعض الأشخاص أو الأطراف بعض المآخذ على الرئيس حلو حول ما يسمى التردد. وفي الحقيقة تردده ناتج من نوع من «طعجة» فلسفية اتخذها في الحياة بأن رجل السياسة لا يمكن أن يدرك كل الأمور، وعليه اتخاذ قرارات عاجلة قبل أن تكتمل الصورة عنده، فإذا رغب الابتعاد قدر الإمكان عن الخطأ فكان لا بد أن يكون متردداً، فناحية رجل الفكر والتحليل راجحة أكثر عند الرئيس حلو من رجل الإقدام والعمل، هذا هو الأمر الوحيد الذي يمكن أن يقال، ولكن هذا الأمر يدل على قيمته الذاتية من حيث طاقته على التحليل والتفكير.

■ **هل هناك من شبه بين الرئيسين حلو وسركيس في موضوع التردد؟**

ـ كلا، فما يسمى تردداً عند الرئيس سركيس لم يكن كذلك. فالناس كانوا يعتبرونه متردداً لأنه لم يكن حاسماً، ولكن الرئيس سركيس كان يتعمد عدم الحسم، وأنا كنت من هذا الرأي وقلت

هذا الأمر وأؤكده، فأنا أعتبر أن السياسة العملية والايجابية والصحيحة كانت في ذلك الوقت وفي بعض النواحي والأمور تقضي بعدم الحسم لأن هذا كان أفضل حل في ذلك الوقت.

■ **لماذا لم يكن هناك مجال للحسم؟**

ـ لأن الخيار كان بين عدم الحسم والحسم بشكل سيئ، فعدم الحسم لم يكن نتيجة تردد ولا نتيجة عجز غير مقصود، بل كان نتيجة مخطط وعلى أساس تقويم صحيح للأمور، وأي ذهاب إلى أبعد حد معين هو قفزة إلى الأسوأ، وهذا الأمر نحن بغنى عنه والظرف لا يسمح بالقفز، فيجب علينا أن ننتظر ونعالج قدر الإمكان لعلنا في ذلك نتمكن من الوصول إلى نتائج أفضل، فالرئيس سركيس كانت هذه سياسته، أما الرئيس حلو فلم تكن ظروفه مماثلة لأنها كنت طبيعية ولا تقارن مع ظروف الرئيس سركيس.

■ **مع أي من الرئيسين كان التعامل أفضل؟**

ـ التعاون مع الرئيسين حلو وسركيس كان ممتعاً ومفيداً، الظروف مع الرئيس حلو كانت مريحة أكثر فالأمور كانت سائرة بشكل جيد «مثل المي بالنزول». أما أيام الرئيس سركيس فكان علينا إصعاد المياه ولا توجد مضخة.

■ **هل كنت تنزعج من الحملات الصحافية التي تستهدفك؟**

ـ كلا، فأنا أعتبر أنه في النظام الديموقراطي، خصوصاً في الظروف التي نعيشها والتي من غير الممكن أن يدرك شموليتها وأبعادها الطبيعية حتى بعض أعضاء الحكومة والسياسيين أن لا تكون الصحافة مستوعبة أيضاً لكل الأمور عن حسن نية، أو رغبة في المعارضة، والشعب أيضاً، فالانتقادات كان لها وجه مفيد في بعض النواحي لأنها كانت تفرض على الانسان إذا كان يريد أن يحافظ على كرامته أن يحاول القيام بأقصى جهده ليتمكن من أن يكون بمنأى عن الانتقاد، وإنما الصحافة من واجبها أن تطلب دائماً الحد الأقصى، والشعب من حقه المطالبة بكل شيء، وإنما العبرة هي في معرفة الامكانات المتوافرة في ذلك الوقت، وأعتقد بأننا استثمرنا الإمكانات إلى أبعد حد ممكن، أي لم يكن بإمكاننا أن نعطي أكثر مما أعطينا، طبعاً لم نعطِ كل شيء كنا نرغب ان نعطيه ولم نعط كل شيء كان يرغب به الشعب ويطلبه ويحتاج إليه، ولكن أعتقد ضميرياً بأن أي فريق آخر كان سيواجه صعوبات في إعطاء أكثر مما أعطينا.

زيارة السادات للقدس فرضت اسلوب إدارة الأزمة

حين استرجع الشهابيون قصر الرئاسة في ١٩٧٦ عبر انتخاب الياس سركيس رئيساً للجمهورية خلفاً لسليمان فرنجية كان الزمان قد تغير فعلاً. لا بل أن الياس سركيس، كاتم أسرار فؤاد شهاب وأقرب الناس إليه، لم يعد بواسطة الماكينة الشهابية. فهذه الماكينة تعرضت للتفكيك في مطلع عهد فرنجية وتشرّد ضباط «المكتب الثاني» وكانت محاكمات واتهامات.

كان الزمان قد تغير فعلاً. الحرب مزّقت النسيج اللبناني وتشرذمت تلك الدولة التي حاول فؤاد شهاب جعلها المرجع، وسعى شارل حلو إلى تأجيل موعد سقوطها. جاء فؤاد شهاب في أعقاب ثورة كانت قد انتهت. وجاء الياس سركيس في أعقاب حرب ظن أنها انتهت. دخل فؤاد شهاب القصر بتسوية بين أميركا وجمال عبدالناصر. ودخل سركيس القصر بتفاهم سوري ـ أميركي. وجد شهاب في انتظاره جيشاً لم يتورط في

الأحداث وكامل الولاء له. ووجد سركيس في انتظاره جيشاً ممزقاً وموزعاً على المناطق وخطوط التماس. تغيرت البلاد وتغيرت الرئاسة أيضاً. لم يرضخ سليمان فرنجية للدعوات التي طالبته بالاستقالة لكنه لم يستطع الإقامة حتى الساعة الأخيرة من عهده في قصر بعبدا، ذلك أن مدفعاً من مدافع الجيش يديره ضابط من الجيش راح يطارد الرئيس في غرف القصر ففضل سيد القصر المغادرة إلى مكان آخر بدلاً من مغادرة الرئاسة ولم يجد لوقف هجوم خصومه غير سلوك طريق دمشق.

تغيرت الأيام وغابت الضوابط واستحوذت رغبة الانتصار على بعض المحاربين وكان الثمن باهظاً. وقعت المقاومة الفلسطينية التي كانت لا تزال تحمل ندوب مواجهات عمان في ١٩٧٠ في خطأ الاعتقاد بأن تذويب مؤسسات الدولة اللبنانية يشكل حماية لها. ووقع كمال جنبلاط صاحب القامة الكبيرة، في خطأ التوهم أن الانتصار بات على قاب قوسين أو أدنى. ذهبت المقاومة الفلسطينية بعيداً وذهبت الحركة الوطنية أبعد. وغاب عن أذهان كثيرين وقع الجغرافيا وخطورة الفراغ واحتمالات ملئه. كانت المقاومة تعتقد بأنها تحمي استقلالية قرارها. وكانت «الحركة الوطنية» تعتقد بأنها تغتنم فرصتها التاريخية. كان الاتحاد السوفياتي موجوداً وسياسة الاختراقات هي الرائجة. ولم يكن سراً أن انتصار المقاومة والحركة الوطنية ممنوع وسيتأكد لاحقاً أنه كان ممنوعاً.

انتخب الياس سركيس وسط دوي الرصاص وخسرت «الحركة الوطنية» والمقاومة المعركة. وكان على سركيس أن يستعير الأمن ففعل، خصوصاً أن مؤتمري الرياض والقاهرة منحاه جيشاً عربياً هو «قوات الردع العربية» التي ستتشكل غالبيتها الساحقة من وحدات سورية. ولن تتأخر المشاركة العربية في قوات الردع في الغياب.

كان سركيس يأمل طي صفحة الحرب والشروع في الإعمار. وكان يأمل تكرار تجربة شهاب لجهة جمع جنبلاط وبيار الجميل على مقاعد الحكومة. لكن الزمان تغير. فقد خسر جنبلاط من دون أن يقر تماماً بالخسارة وتبدّلت قواعد اللعبة. كان على شهاب أن يتعاطى مع الطرف العربي الأقوى أي الرئيس جمال عبدالناصر. وسيتحتم على سركيس التعاطي مع الطرف العربي الأقوى على حدود لبنان وفيه أي الرئيس حافظ الأسد.

كان سركيس يعتقد لحظة انتخابه أنه رئيس الحل. لكن خط الزلازل الإقليمي تحرك مجدداً فنزل الرئيس المصري أنور السادات في القدس وكانت اتفاقات كمب ديفيد والمعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية. ولم يكن غياب مصر بسيطاً خصوصاً أنه أدى إلى تبدل في الحسابات السورية في لبنان، إذ التقت دمشق مجدداً مع المقاومة. سقط الرئيس الحل وبدأ عهد رئيس إدارة الأزمة.

منذ لحظة انتخابه وحتى خروجه من القصر كان سركيس يثق بشهابي آخر اسمه فؤاد بطرس. أوكل إليه مهمة هندسة السياسة الخارجية مع مرور في وزارة الدفاع معها، وكان نائباً لرئيس الوزراء، وقبل ذلك كله شريكاً موضع ثقة يهندس سياسة الخارج ولا ينسى الداخل. وعلى خطى شهاب وإعجابه بأهل النزاهة جاء سركيس بالدكتور سليم الحص رئيساً للحكومة، لكن الرحلة ستكون صعبة. ومع ذلك استطاع سركيس، مستفيداً من براعة الاستخبارات في الجيش العقيد جوني عبده، لملمة العسكر وإعادة خلط ألوية الجيش.

الدولة. إنها الكلمة السر لفهم الشهابية والشهابيين. اعتبروها دائماً الملجأ والمظلة. فؤاد شهاب حاول نقلها إلى زمن المؤسسات فأدخل همّ التخطيط إلى عقل بعض رجالاتها.

وشارل حلو حاول الدفاع عن منطق الدولة في وجه منطق الثورة وحاول الإصلاح لكن الحظ لم يحالفه. والياس سركيس اعتبر هو الآخر أن الحل يكمن في الدولة وأن حرب السنتين ضاعفت الحاجة إليها. وكأن ما يجمع الشهابيين هو فكرة الدولة، لشعورهم بأن كل خيار آخر سيكون خياراً أقل من حجم الوطن وخياراً غير متلائم مع تركيبة لبنان. وما يجمعهم أيضاً هو الالتفات إلى كيمياء التركيبة بمعنى الحرص دائماً على توفير التغطية اللازمة للدولة من كل العائلات اللبنانية ومن دون تحويل الدولة نفسها إلى كونفيديرالية لهذه العائلات. وفي

مواصفات الدولة ثوابت سعى الشهابيون إلى الدفاع عنها وحاولوا على الأقل البقاء على مقربة منها حين قست الظروف.

■ **مَن جاء بالياس سركيس رئيساً للجمهورية؟ وماذا كان دور سورية؟**

ـ يجب ألا ننسى أن الياس سركيس أوشك أن يأتي رئيساً للجمهورية عام ١٩٧٠. لا نستطيع القول ان سركيس حين انتخب رئيساً في ١٩٧٦ خرج من جيب ساحر. كان سركيس مطروحاً. سنة ١٩٧٦ حصل ما لم يحصل سنة ١٩٧٠. جاء في ظروف صعبة. أما لماذا؟ جاء فالظرف وتدهور الأوضاع بين ١٩٧٠ و١٩٧٦ جعلا أطرافاً عدة وفئات تتصور أنه إذا رجعنا إلى الوراء يمكن أن نصحّح ما حصل. فضلاً عن أن الياس سركيس كان موزوناً وصاحب مؤهلات وغير منحاز ومعروفاً أخلاقياً إضافة إلى أنه يعرف الدولة. وفي الوقت نفسه، ربما كان مطلوباً أن يجيء شخص يشكل نقطة تلاق لتيارات عدة مختلفة. وسركيس من دون شك كان أكثر شخص يمكن أن يشكل قاسماً مشتركاً.

لا شك أنه كان لسورية دور في مجيء سركيس، كان لها دور في الموافقة، والمقاومة الفلسطينية كان لها دور في المعارضة، ولأنه مثل العادة كلما نظر بعض العرب من جهة والبعض الآخر من جهة أخرى تنعكس المسألة على الأرض اللبنانية.

■ **ما هي قصة عهد إدارة الأزمة؟**

ـ عهد الياس سركيس بدأ على أساس أننا خرجنا من الأزمة ودخلنا باب الحل والتعمير وإعادة الأمور إلى طبيعتها، لكن سرعان ما تبين أن شروط الدخول في الحل والخروج من الأزمة غير متوفرة. فمن جهة قضية مخيمات الفلسطينيين وحل المشكلة مع إخواننا الفلسطينيين خصوصاً بالنسبة إلى السلاح، تعثر الموضوع لأن اللجنة تألفت من قبل الدول العربية لمساعدة رئيس الحكومة على حل هذه المشكلة وهي من أربع دول عربية، سورية ومصر والسعودية والكويت، لم تتفق على شيء ولم تساند رئيس الجمهورية بالإجماع في سبيل التوصل إلى التسوية التي كان يراها ضرورية، إذ تعطلت العملية وأخذت الأمور السياسية تتأزم وبقيت الحال تتأرجح بين الأزمة والتوتر ونوع من الانفراج الظاهر.

وكانت الضربة القاضية بالنسبة إلى مسيرة الحل والسلام في ذهاب الرئيس المصري أنور السادات إلى القدس. هنا تغيرت كل المقاييس وخُلطت الأوراق مجدداً وتأكد الرئيس سركيس، وتأكدنا نحن أيضاً، أن لا حل.

إذاً، اعتباراً من هذا الوقت صار المطلوب إدارة الأزمة بأقل كلفة ممكنة والمحافظة على المقومات الأساسية للبنان وللنظام الديموقراطي الليبرالي وللعيش المشترك بين الطوائف، حتى إذا جاء وقت وتيسّر فيه الحل تكون هذه المقومات موجودة والبلد

على قيد الحياة. حين يقولون إن عهد الرئيس سركيس عهد إدارة أزمة يجب الالتفات إلى أنه لم يكن يتعمد إدارة الأزمة أصلاً. إلا أن الظروف فرضت عليه أن يديرها لأن ذلك كان الطريقة الوحيدة للإبقاء على البلد وعدم التضحية به وبأبنائه. وإدارة الأزمة كانت من الأمور البالغة الصعوبة. فقد كانت هناك تيارات كثيرة تلعب من هنا وهناك في سبيل حل بشكل أو بآخر، وإنما كل الحلول التي كانت متصورة وكل الحلول التي كان مرغوباً فيها من بعض الفئات كانت في الواقع مصابة بعيبين: **الأول** كونها غير قابلة للتحقيق، حتى ولو مشينا فيها فهي كانت غير قابلة لأن تنجح لأن الحل كان يتطلب تسوية على صعيد منطقة وصيغة دولية، وكان هناك الحرب الباردة واعتبارات تجعل كل حل يأتي من جهة، يتعرض للمحاربة من جهة أخرى. عملياً حتى ولو كان الحل مقبولاً فهو لم يكن قابلاً للتنفيذ. **الثاني** هو أن كل الحلول التي كانت مطروحة كانت حلولاً ذات طابع فئوي غير متوازنة، وبنظرنا لا يجوز أن تفرض على لبنان وليست هي الحل المثالي. كان علينا أن نستمر في إدارة الأمور مع الصعوبات الداخلية والخارجية والإقليمية والدولية إلى أن يأتي يوم يصبح فيه من الممكن البحث في صورة معقولة ومنطقية في حلول مقبولة.

في نظر الرئيس سركيس وفريقه كانت إدارة الأزمة وعدم الحل أسلم بكثير وأشرف من الحل السيئ.

■ ما هي المحطات الأساسية في عهد الياس سركيس؟

ـ المحطات الأساسية هي: محطة الانفراج التي كانت في الرياض والقاهرة، الجامعة العربية مصغرة وموسعة، والقرارات التي اتخذت بتثبيت القوات العربية بمثابة قوات ردع واللجنة الرباعية لوضع المخيمات واتخاذ الإجراءات وزيارة السادات للقدس والنتائج التي نجمت عنها، بعد ذلك تأليف بعض الحكومات ومحاولة الثوابت الـ ١٤ التي لم تنجح وما كان يمكن أن تنجح والصدامات العسكرية على الأرض التي حصلت بين الأطراف اللبنانيين، وبين أطراف لبنانيين وقوات الردع والاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٧٨ ثم الغزو الإسرائيلي عام ١٩٨٢ ووصول القوات المتعددة الجنسيات. كان عهد الرئيس سركيس حافلاً بأحداث جسام. كما كانت هناك مطالبتنا بوضع اسراتيجية عربية موحدة بالنسبة إلى ضبط العمل الفلسطيني في الجنوب. طلبنا في قمة فاس أن تحصل برمجة لإعادة انتشار الجيش السوري مع جدول زمني. وهناك مؤتمرات القمة العربية التي حصلت خصوصاً بعد ان طالبت بعض الدول بإخراج مصر من جامعة الدول العربية. حصلت أحداث مهمة جداً ومؤتمر القمة في تونس بالنسبة إلى علاقاتنا مع الفلسطينيين وكانت متأزمة جداً. بكل أسف لم نستطع الحصول من الجامعة العربية، مثل العادة، على قرارات تفصل سواء معنا أو ضدنا. دائماً الجامعة العربية، تمشياً مع أسلوب بات تقليداً، تجرب أن تضع المراهم على الأمور وتتهرب من الحل، كي لا تأخذ

جانب أحد وكأن القضية يحلها الوقت بينما الوقت يساهم في التأزيم والتعقيد في بعض الأحيان.

■ ماذا عن لقاءاتك مع ياسر عرفات؟

ـ نعم التقيته في مؤتمرات القمة وعقدت اجتماعاً معه في لبنان مرة واحدة بناء على طلب أصدقاء مشتركين يتعاطون السياسة. اجتمعنا ساعة ونصف الساعة في بيروت عند أحد الأشخاص في المنطقة الغربية وكان ذلك بعد مؤتمر القمة في تونس الذي شهد تصادماً قوياً بيننا وبين الأخوان الفلسطينيين وتصارحنا بأمور عدة. ربما هذا الأمر خفف من التباين في وجهات النظر إلى حد ما، خفف من الحدة في التباين لكن كان من الصعب آنذاك أن تحل الأمور ولأسباب كثيرة. لا أريد أن أحمّلهم كل المسؤولية إذ كانت هناك أسباب عائدة لوضع لبنان نفسه وأسباب معروفة عائدة لهم.

■ يحكى عن براعة عرفات؟

ـ بارع جداً وصعب على المرء أن يضبطه. يشبه الزئبق. لا شك أنه يدافع عن قضيته بمهارة كلية ويقدر أن يتملص من ظروف صعبة تمر فيها. ظروفه ليست سهلة. مهمته ليست بسيطة. فهو مضطر دائماً للسير بين النقاط واعتماد المداراة. ولكن آسف أن يكون لبنان اضطر بفعل عوامل متعددة، منها غير مقصود وبعضها مقصود أن يتحمل عبئاً كبيراً إلى درجة أن

ركائز البنيان اللبناني، أو الكيان اللبناني، تهددت بصورة أكيدة، وحتى اليوم نعاني من نتائج مسبباتها غير المباشرة ربما هي سياسة منظمة التحرير وعدم انضباطها.

■ **ماذا كان سركيس يقول عن عرفات؟**

ـ كان يقول عنه إنه بارع ومتقلب ويمارس الازدواجية بصورة كاملة ومن الصعب ضبطه.

■ **وماذا قال سركيس عن اغتيال كمال جنبلاط؟**

ـ حزن كثيراً واعتبر ما حصل حدثاً له تأثير كبير على صعيد الوطن والوحدة الوطنية بصرف النظر عن مسبباته وظروفه، وأن كمال جنبلاط الذي اصطدم معه أحياناً والتقى معه أحياناً أخرى كان رقماً مهماً في المعادلة اللبنانية، وأن غيابه ينعكس على كل الأوضاع.

■ **وحكي عن رد فعل للرئيس سركيس على اغتيال النائب طوني فرنجية في إهدن؟**

ـ يمكن إدراج هذين الحدثين في باب المحطات المهمة. وكان الرئيس سركيس مدركاً تماماً لأبعاد اغتيال جنبلاط وأحداث إهدن والانعكاسات، والحدثان هما في الوقت نفسه مظهر من مظاهر الأزمة وأيضاً من بذور ومسببات تعقيدات الأزمة وانعكاساتها السلبية في ما بعد.

■ **قامت بينكم وبين سركيس صداقة شخصية علاوة على التعاون بين وزير ورئيس الجمهورية، فكيف نشأت؟**

ـ طبيعي. حين بدأتُ التعاون مع الرئيس فؤاد شهاب سنة ١٩٥٩ حدث تعاون بيني وبين سركيس على مدى سنوات وشهد هذا التعاون لقاءً في نظرتنا إلى الأمور. كان سركيس قاضياً في ديوان المحاسبة وأنا بدأت حياتي قاضياً. ربما هذا التقارب المهني بيننا كان من العناصر التي تسهل التفاهم، وكنا في كثير من الأحيان ننظر إلى الأمور من زاوية واحدة وتلقائياً وأحياناً من دون أن نتشاور نصل إلى النتيجة نفسها، وحين نأتي لنتذاكر نكتشف أننا على اتفاق وحتى من دون تشاور.

■ **ما هي اهتمامات الياس سركيس خارج السياسة؟ حياته الشخصية؟**

ـ كان يستمع إلى الموسيقى ويقرأ، كانت حياته المهنية والسياسية، خصوصاً خلال وجوده في رئاسة الجمهورية، تستغرق عملياً كل وقته. وكذلك حين عين حاكماً لمصرف لبنان وكان الميدان جديداً بالنسبة إليه واستغرق منه الكثير من الوقت. كانت لديه حياة اجتماعية قليلة. كان منفتحاً على الآراء والتعاطي مع الناس. لم يكن هكذا سابقاً بل كان منغلقاً على نفسه، حياته الشخصية والعائلية كانت صعبة في بداياتها. لم تكن حياته سهلة. عانى من العوز والضيق المادي. ولكن مع الوقت صار يعير الناحية الاجتماعية والتعامل مع الناس اهتماماً

أكبر. كان جدياً ويحب الجلسات التي تحضر فيها النكات. كانت النكتة تستهويه والحديث الظريف يساعده على الخروج من الإطار الغارق فيه.

■ من كان من الوزراء صاحب نكتة؟

ـ على أيام الرئيس سركيس كان من الصعب إطلاق النكات في مجلس الوزراء نظراً إلى كآبة المواضيع التي كنا نعانيها ونعالجها. ولكنه كان يُسر بأحاديث بعض الأشخاص، ميشال إده مثلاً ورينيه معوض رحمه الله. كان يلتقي ميشال أبو جودة لكنني لم أكن أحضر تلك الجلسات.

■ الرئيس شمعون خصم عنيد للشهابية فكيف كانت علاقتكم معه؟

ـ لم يحصل تعاون بيني وبينه في الحكم والسياسة. الرئيس شمعون كان رجلاً مشهوداً له بالشخصية والمكانة والقدرة على الصعيد السياسي. علاقاتي معه تميزت، لا أقول بالنفور بل بمناقشات وجدال وتباين في وجهات النظر أكثر مما تميزت بالتوافق في الآراء، مع العلم أنه في ما يتعلق بالتصورات الرئيسية لم نكن نختلف كثيراً من حيث النتيجة المرغوب فيها، كان التباين بيننا يتناول أكثر الأوقات الوسائل والتكتيك باعتبار أنه كانت لدي نظرة أخرى إلى الأمور والوسائل التي يمكن أن توصل لبنان إلى المرتبة التي نريد. ثم إن تصوره للبنان كان،

بنظري أنا، لا يراعي كفاية التغييرات الإقليمية والدولية التي حصلت بين ١٩٦٠ و١٩٨٥ وإنما كان عنده أفق سياسي وحس سياسي حاد جداً. وكانت لديه ميزة مهمة جداً، كان في منتهى الجرأة والشجاعة.

■ كيف كانت نظرة سركيس إلى شمعون؟

ـ كانت مزيجاً من التقدير للرجل ولمستواه السياسي ومن التباين والمفارقة بالنسبة إلى أسلوب العمل وطريقة التعامل. مزاج الرئيس سركيس يختلف كثيراً عن مزاج الرئيس شمعون.

■ العلاقة مع بيار الجميل؟

ـ كانت علاقة حسنة إجمالاً تخللها في بعض الأوقات نوع من التباعد ولكن هذا الشيء حصل قبل عهد الرئيس سركيس. في أيام الرئيس سركيس وبصورة إجمالية كنت أتوصل مع الشيخ بيار إلى تسويات في المواقف. لم يكن هناك تطابق تام في النظرة إلى الأمور ولكن كنا نتوصل إلى تسوية. لم يحصل تصادم في عهد سركيس.

■ متى عرفتم بالغزو الإسرائيلي في ٦ حزيران ١٩٨٢ ومن أخبر الرئيس سركيس؟

ـ ترددت أخبار كثيرة. المسألة ليست سراً. كان من المعروف آنذاك أن الأجواء بالغة التوتر وأن التيار المتشدد في إسرائيل

بزعامة مناحيم بيغن أنذر بواسطة الأميركيين ودول أخرى، أنه عند المرة الأولى التي سيحصل فيها عمل معين من النوع الذي يسمونه هم إرهاباً، كالاعتداء على إسرائيليين من قبل المقاومة أو أي جناح من أجنحتها يشكل سبباً لحرب، وأنهم على استعداد، بنتيجة هذه الأمور وتطورات أخرى، أن يقدموا على عمل يحاولون فيه اقتلاع المقاومة من جذورها. أي أن يقتلعوها من لبنان ويشتتوها. وكان معروفاً أن هذه العملية تعني أن الحدود الجنوبية للبنان معرضة لخطر. وهذا أمر كان يعرفه الأميركيون والفلسطينيون والعرب والغرب. لم يكن سراً أبداً. وحدثت العملية بعد الهجوم على السفير الإسرائيلي في لندن. ما لم يكن واضحاً وغير منتظر هو أن يكمل الإسرائيليون اجتياحهم إلى بيروت. كانت هناك تحذيرات ونحن فعلنا كل ما نستطيع لنمنع ذلك. لم يكن الأمر بيدنا. كان الإسرائيليون يبحثون عن ذريعة وقد أعطيت لهم. كنا نتصور أن الاجتياح سيبلغ نقطة تبعد ٤٠ كيلومتراً إلى الشمال من حدود إسرائيل لكنه تطور. وما حصل معروف. لجأنا إلى مجلس الأمن والدول الكبرى وتوصلنا بالنتيجة إلى القوات المتعددة الجنسيات ووقّعت أنا الاتفاقات مع الدول المعنية، وحصل ما حصل من انسحاب فلسطيني وانسحاب إسرائيلي. حين انتهى عهد الرئيس سركيس كان الوضع في البلاد على الصعيد الأمني قد شهد تقدماً بالنسبة إلى المدة السابقة أي كنا قد تمكنّا من حصر الوجود الإسرائيلي وتسوية موضوع المقاومة الفلسطينية

في بعض المناطق، ولكن كنا حريصين تماماً على ألا ندخل مع إسرائيل في أي تسوية أو مفاوضة.

■ **ألم تتقدم إسرائيل بعرض للرئيس سركيس؟**

ـ هم لم يعرضوا لكن الدول الثانية لمّحت وعرضت واقترحتْ، وكنا نرد بأننا لن نقدم على أي تسوية مع إسرائيل ولن نتفاوض معها. لم يكن قد بقي من عهد سركيس إلا أقل من أربعة أشهر. ومن هذه النقطة انطلقت فكرة القوات المتعددة الجنسيات.

■ **كيف كان سركيس يواجه اللحظات الصعبة؟**

ـ كانت لديه رباطة جأش. كان يملك أعصابه. كان يقدر أن يخفي مشاعره الداخلية فيظهر وكأنه مرتاح لكن داخلياً تأثر كثيراً. كان يوسّع استشاراته مع الحلقة التي يثق برأيها، وبالنتيجة كان دائماً موجوداً أمام خيارات سيئة وأقل سوءاً. لم يكن يوماً أمام الخيار بين الحسن والسيئ. كان يجرب أن يختار ما هو أقل سوءاً والأسلم من غيره على الأقل في المدى البعيد. لم يكن يحاول تحقيق انتصارات دون كيشوتية وبهورات قليلة المدى وتعرّض المستقبل للأخطار. كان يفكر فوراً بالمدى البعيد ولو ضحى ببعض الشعبية الآنية. ولهذا السبب فإن الشعب اللبناني، وبصورة إجمالية، قدّر الرئيس سركيس أكثر بكثير بعد نهاية عهده وبعدما جرّب غيره. وحين توفي

سركيس شعر الناس بأسى وعملوا ما يشبه فعل الندامة. فسركيس لم يكن يسعى إلى انتصارات دراماتيكية.

■ كانت العلاقات السورية ــ اللبنانية صعبة في عهد الرئيس سركيس، فما هو رأيكم؟

ــ بقيت صعبة طوال عهد سركيس لكن تخللها بالطبع فترات انفراج. وعلى رغم صعوبتها فإنها كانت دائماً تتميز بالصراحة ولم يكن فيها تلاعب. لا أعرف ما هو الانطباع الذي تركه الرئيس سركيس عند الرئيس حافظ الأسد ولكنني أتصور أن الرئيس الأسد كان لا بد من أن يعطي الرئيس سركيس حقه حين يريد أن يحكم عليه كإنسان وكرئيس دولة. أعتقد أنه كان هناك تقدير وينظر إليه نظرة فيها نوع من إعطاء الحق. هذا تصوري. والرئيس سركيس كان يعتبر أن الرئيس الأسد رجل دولة من الطراز الأول وأن التفاوض معه ليس سهلاً أو ليس سهلاً دائماً لأن حجته قوية، ثم إن موقعه قوي ومرتاح، وعلى كل حال لا علم لي بحصول أي تصادم. وعلى رغم أنهما لم يتوصلا في بعض الأوقات إلى تفاهم فإن العلاقة لم تنقطع إطلاقاً. كان الخيط موصولاً وكان الرئيس سركيس حريصاً جداً على ذلك. وأعتقد أن الرئيس الأسد في النتيجة لا يمكن أن يجور عليه أو على البلد، هذا كان تصوري.

الحص كان أسير موقعه الجغرافي مثلنا وأكثر

في عهد الرئيس الياس سركيس شهدت البلاد تجربة تستحق التوقف عندها. إنها تجربة المعتدلين في الحكم. والمقصود وجود سليم الحص على رأس الحكومة وفؤاد بطرس وزيراً دائماً للخارجية، فضلاً عن دوره كشريك لرئيس الجمهورية في رسم خيارات الداخل التي كان يتعذر آنذاك فصلها عن الخارج وتحديداً عن مسار العلاقات مع سورية.

كان الياس سركيس وريثاً شرعياً للشهابية. ويُجمع الشهابيون على أنه كان الأقرب إلى فؤاد شهاب وكاتم أسراره والعارف بتطلعاته وخيباته. في هذا الإطار انطلق سركيس من رهان الشهابيين على تحصين الوطن عبر الدولة، أي بدولة تكون هي المرجع. دولة تحضر فيها عناصر المعادلة اللبنانية من دون أن تكون الدولة مجرد ساحة للتعبير عن تناقضات المشاركين فيها. كان سركيس يحلم باستعادة الدولة بلقاء الفرقاء فيها وبأن يرسم

حضور الدولة ضوابط لجموح الفرقاء. كان سركيس يعتبر، كما فؤاد شهاب، أن الجيش هو المدرسة التي تستطيع اجتذاب لبنانيين من كل الطوائف والمناطق لتكون الضمانة للطوائف والمناطق في وجه عوامل التشرذم الدائم والفرقة. وكان سركيس الذي جاء من مفاصل الادارة يحلم بترميمها مقدمة لاستكمال مسيرة تعزيز المؤسسات التي كان فؤاد شهاب سباقاً في إدراك أهميتها في بناء المستقبل. ومن المدرسة نفسها جاء فؤاد بطرس وبخيارات مطابقة لخيارات سركيس، ولكن ربما بإدراك أكثر حدة للصعوبات التي أوجدتها المتغيرات. ثلاثة رجال دولة التقوا في العهد الذي جاء بعد ولادة خطوط التماس. سليم الحص الوافد من مقعد الأستاذ الجامعي وشؤون المصارف وشجونها يحمل هو الآخر همّ بناء المؤسسات مع ميل إلى بعض التصحيح في التوازنات فيها وعلى كل المستويات. كان الموعد بين ثلاثة من المعتدلين الذين يستحق كل واحد منهم لقب رجل دولة، لكنهم لن يستطيعوا إنقاذ الدولة، فالحروب كانت أكبر من لبنان والأزمة أكبر من الدولة والتنازلات المطلوبة أو الضرورية أكبر من التفويض الممنوح لهم.

كان الياس سركيس رئيساً للجمهورية ولم يكن زعيماً للموارنة. وفي ساعات الشدة كان يشعر بأنه لا يحق له التنازل باسمهم في وجود كميل شمعون وبيار الجميل. وكان سليم الحص رئيساً للحكومة وممثلاً للمسلمين لكنه لم يكن زعيماً لهم.

وفي ساعات الشدة كان يشعر بأنه لا يستطيع التنازل أو خفض المطالب لافتقاره إلى الشرعية الشعبية التي كان يمتلكها صائب سلام ورشيد كرامي. لم تكن هناك شكوك في نزاهة سركيس والحص وبطرس ولا في حرصهم على إنهاء الحرب، لكن الثلاثة كانوا يعانون افتقارهم إلى التفويض الكبير.

كان سليم الحص يطالب سركيس في بعض المحطات بالتصرف كزعيم للمسيحيين فيكتفي سركيس بالتصرف كرئيس للجمهورية. وكان سركيس يطالب الحص في بعض المحطات بالتصرف كزعيم للمسلمين فيرد بالتصرف كرئيس للحكومة فقط. ولم يكن سراً أن بشير الجميل «أقوى» في بيروت الشرقية من الياس سركيس خصوصاً بعد ١٩٧٨، وأن ياسر عرفات أقوى في بيروت الغربية من سليم الحص، وأن سورية أقوى من الاثنين. في تلك الأيام كان من الصعب على أصحاب الشرعية الدستورية ضبط أصحاب «الشرعية الشعبية» أو «الشرعية الطائفية» في مناطقهم. ففور إبداء أي مرونة، وهي ضرورية لترميم الدولة، كان المسؤول يُتهم من قبل طائفته بالتفريط في حقوقها. وكان الصقور من كل الاتجاهات يحاولون رسم حدود صارمة لقدرة الممثلين «الرسميين» لطوائفهم على التحرك.

كان من الصعب مثلاً على سركيس أن يقدّم التنازلات في وقت يقبع فيه كميل شمعون في ملجأ في الأشرفية ويرد منه

بتصريحات نارية على القصف السوري. وكان من الصعب على سليم الحص أن ينسى مطلب المشاركة الذي كان دائماً هاجس رؤساء الحكومات والذي بسببه تسممت العلاقات دائماً بين الرئاستين الأولى والثالثة. ولم تكن الرياح مواتية لمثلث المعتدلين. فزيارة السادات للقدس أنهت آمال سركيس بالحل ولم يبق غير إدارة الأزمة. وعهد ادارة الأزمة ليس بالتأكيد العهد المناسب لتقديم تنازلات وإبرام تسويات تدوم. كل ذلك لم يمنع سركيس من التمسك ببعض الثوابت الشهابية وأولها السعي إلى لمّ أشلاء الدولة ولحم أجزائها وإعادة توحيد الجيش وإرجاع القواعد إلى الإدارة وقبل ذلك كله السعي إلى إبقاء الدولة على علاقة وطيدة بكل العائلات اللبنانية.

ومع ابتعاد أجواء الحل وتغير الحسابات راحت المناطق تلقي بثقل تشنجاتها على مواقف ممثليها. يعترف فؤاد بطرس بضغط الموقع الجغرافي لكنه يلاحظ مصححاً «أن الرئيس الحص كان أسير موقعه الجغرافي مثلنا وأكثر»، لافتاً إلى أن الرئاسة كانت بالنسبة إلى سركيس مغمسة بالدم والأسى وأن الرئيس الذي يتميز بضمير مهني سياسي حاد يحاسب نفسه يومياً، ولم يكن ميالاً إلى البطولات الاستعراضية.

■ **بدأ الياس سركيس عهده باختيار الدكتور سليم الحص رئيساً للحكومة. قيل إن الصداقة بينهما تحولت مشاكسة؟**

ـ حين جاء الياس سركيس بالدكتور سليم الحص رئيساً للحكومة، أي حين طرحه لترؤس أول حكومة، وأنا عشت هذه المرحلة، وافق على أن يأتي بحكومة غير سياسية. كان مخططاً أن يأتي بحكومة سياسية، تتمثل فيها كل الأطراف وربما فكّر في سليم الحص لإعطائه الاقتصاد. لم يتحقق التصور لأن التيارات التي كانت تتحكم إلى حد ما على الأرض اللبنانية يومها كانت تمنع مجيء الفريق المتعاطف مع الفلسطينيين أي الحركة الوطنية. كان الأمر صعباً إن لم نقل مستحيلاً. الياس سركيس، انطلاقاً من المعادلات التي كانوا يسمونها المعادلات الشهابية أو الدستورية القديمة، كان يعتبر أنه من غير الجائز المجيء بالكتائب من جهة وعدم المجيء بممثلي الطرف الآخر.

إذاً حين رأى أن ثمة معركة بين الفلسطينيين والحركة الوطنية من جهة والجيش السوري من جهة أخرى اعتبر أن المخرج هو تشكيل حكومة غير سياسية. كان يأمل آنذاك، ومن دون أوهام، أنه ربما يمكن مع الحكومة التي كنت السياسي الوحيد فيها الانطلاق بمسألة الوضع الاقتصادي والتعمير. توليت في تلك الحكومة حقيبتي الخارجية والدفاع أي حقيبتين أساسيتين وانطلقنا، الحكومة الأولى برئاسة سليم الحص وكذلك الثانية.

■ **ما هو السبب الرئيسي للخلاف بين سركيس والحص؟**

ـ إذا أراد المرء أن يحصر الموضوع يمكن أن يقول الآتي:

حين جاء سليم الحص كانت الفكرة أن المطلوب ترتيب البلد لكن الأمور لم تمش على الصعيد السياسي ولا على صعيد العلاقات مع المقاومة ولا على صعيد العلاقات مع الأطراف، وصار الدور السوري موضوع أخذ ورد، والمداخلات العربية كذلك، والسياسة اللبنانية موضع جدل. لم يكن هناك تفاهم مسبق بين سركيس والحص حول هذه المسائل. كان من الصعب عدم حدوث تباين في الرأي. ثم حصلت صراعات وقتال داخل الاراضي اللبنانية. في كتابه، يقول سليم الحص أن «الرئيس سركيس وأنا كنا أسرى موقعنا الجغرافي». يمكن إن يكون هذا صحيحاً إلى حد ما، ولكنه هو أيضاً كان أسير موقعه الجغرافي بقدر ما كنا وأكثر. وهذه هي المسألة الوحيدة التي كنت أتمنى لو ذكرها في كتابه. إذاً كل واحد كان ينظر إلى المسألة من زاويته. كنت حريصاً بقدر الامكان على أن لا تحدث خلافات بين الاثنين لأنهما من الشخصيات المحترمة وليس سهلاً إيجاد بديلٍ لهما. ليس هناك أحد كامل. في كتابه يشير الرئيس الحص إلى فريق غذّى الخلاف بينه وبين الرئيس سركيس. لا شك في أنه يعثر دائماً في مثل هذه الحالات على جماعة تغذي (الخلاف) ولكن من المؤكد أنه كما عثر لدى سركيس عثر لديه. وهذا أمر طبيعي. تطورت الأمور وهذا شيء مؤسف لأن رجلين من هذا المستوى والقماشة لم يتمكنا من تجاوز ذلك. كانت الظروف صعبة.

■ من كان الفريق حول الياس سركيس؟

ـ لا أحب الكلام عن نفسي ولكن أستطيع أن أقول أنه مهما كان الشخص قريباً يبقى هناك المزاج. أستطيع أن أقول إنني لم أوافق مئة في المئة على كل القرارات التي اتُخذت، لكن قليلة هي القرارات التي اتخذت وتتعارض بصورة مطلقة مع وجهة نظري.

■ قد تكون هذه المسألة سبب الحساسية، إذا صح التعبير، لدى الرئيس الحص الذي ربما شعر وكأنه أُبعد أحياناً عن بعض المسائل أو لم يطلّع عليها؟

ـ لا لم يكن مبعداً. الرئيس الحص كنا نقدّره ونريده، وحدث مرات أنه كان يرغب في مسائل ونقول له لا هذه الأمور لا تستطيع أن تتحملها في أوساطك. نحن بالتأكيد كنا نغار عليه ونحرص على بقائه قوياً. ولم يكن من الممكن عمل شيء بمعزل عنه. والرئيس الحص يعرف أنني بقيت أكثر من سنة أو سنة ونصف سنة أدافع عنه شخصياً تجاه بعض الأخوان الذين لم تكن هناك علاقات بينه وبينهم. حدث ذلك كل مرة وفي كل مناسبة وليس مسايرة بل عن اقتناع. على كل حال الياس سركيس صار في ذمة الله ونتمنى للرئيس الحص دوام الصحة. لقد كتب الرئيس الحص عن تلك المرحلة ولو شئت أنا الكتابة لراعيت، لا أقول التوازن بل ربما زاوية أخرى من الموضوع لأنه بطبيعة الحال نظر إلى المسألة من زاوية معيّنة. والرئيس الحص في النهاية رجل محترم وصديقنا وأمثاله قلائل.

■ **كيف تقوّم تجربتك في الحكم مع الحص؟**

ـ تجربتي في الحكم مع الحص كانت تجربة غنية، لأنه عندما دخل الحص عالم السياسة وبدأ عمله السياسي رئيساً للحكومة في عهد سركيس، كان لدي ماض سياسي وخبرة، الأمر الذي أدى إلى تفاعل وتجانس تارة وتباين آراء تارة أخرى بين سياسي مارس السياسة، وسياسي دخل حديثاً إلى عالم السياسة، وفي بعض المناسبات حاولت الصحافة، أو اعتبرت وعن حسن نية، أن هناك خلافات عميقة بيني وبينه في الأمور السياسية. في الواقع مررنا ببعض المراحل تخللها تباين في الآراء وبعض الاشكالات، ولكن هذا الأمر كان مفيداً جداً، لأنه ليس بإمكان الواحد منا أن يكتشف الآخر على حقيقته ويختبر معدنه تماماً، إلا في مثل هذه الظروف. وباعتقادي، وأنا أكيد، أن النتيجة كانت إيجابية جداً لأنها خلقت بيننا التقدير والصداقة والود، لأن كل واحد منا تعلم تقدير الآخر ومراعاة ظروفه ووجهة نظره. وعلى كل حال فإن هذه التجربة مع الرئيس الحص كانت مثمرة ومفيدة جداً. طبعاً لم نتمكن من تحقيق ما كنا نحلم به بالنسبة إلى البلد، لكن هذا الأمر ليس بسببنا ولا بسبب التقصير وإنما هو بسبب الظروف التي مررنا بها.

■ **ما هي المشاكل التي كانت تؤدي إلى تعقيد الأمور بينك وبين الرئيس الحص وبينه وبين الرئيس سركيس؟**

ـ أعتقد بأنه ليس بالضرورة أن نعود إلى هذا الموضوع. فالرئيس الحص كتب وأشار إلى بعض النواحي عن هذا الموضوع في كتابه، ولا أرغب أن أدخل معه في نقاش، فالأمور التي تحدّث عنها هو يؤمن بها، وأنا أوافقه الرأي في بعضها، انما لا أوافقه الرأي في البعض الآخر وأرى أنه يجب النظر إليها بشكل دقيق لا من زاوية واحدة. فإذا كانت هناك ناحية ثانية تمنع أن يشير إليها أو لم يتمكن من الاشارة إليها لأنه لم يكن يدركها عندما كتب الكتاب، أو لأنه اعتبر أنه يكتبها من زاوية معينة فهذا الأمر لا يعني أن ما كتبه بصورة اجمالية مجاف للحقيقة وإنما هو جزء مهم من الأمور ولكن ليس كل الامور.

■ **في كتابه «زمن الأمل والخيبة» عبّر الرئيس الحص عن خيبته من مواقف الرئيس سركيس ومواقفك، ما هو ردك؟**

ـ في الواقع قرأت هذا الكتاب عندما صدر منذ فترة، ولم أعد أذكر بالضبط ما ورد فيه من ملاحظات وتفاصيل، انطباعي أن الرئيس الحص كتب هذا الكتاب من زاويته، طبعاً من دون ارتكاب تزوير في التاريخ، ولكنه كتب من زاويته ومن جهته. وكان من الممكن الكتابة ومعالجة الأمور ذاتها من زاوية ثانية تتفق معه في بعض الحالات وتختلف معه في الحالات الأخرى. وفي حال اعتماد هذه الطريق في الكتابة يمكن للقارئ

ان يستنتج بأن خيبة الأمل كانت إلى حد ما متبادلة، وأعتقد بأن الرئيس الحص لم يترك مسافة زمنية كافية تمر بين الأحداث والكتابة، وربما كان هذا الأمر حمله على تعديل نظرته نوعاً ما إلى الأمور، وهذا هو رأيي قلته وأكرره، ثم إنه مع تقدم الوقت يدرك الانسان أكثر فأكثر مدى الصعوبات التي كنا نعانيها والتي كانت بنظر الرئيس الحص خيبة. في الواقع تحدث الرئيس الحص عندما ترأس الحكومة على شاشة التلفزيون وقال يومها: انتهت الحرب وبدأنا عملية الإعمار، وبعد أسبوع كان لي حديث على التلفزيون قلت فيه: نحن في حال هدنة وآمل أن تكون محطة على طريق السلم، فعاتبني بعدها الرئيس الحص هاتفياً وقال: ماذا تقول؟ فقلت له إنني مقتنع أننا لم نصل بعد إلى السلم. وبكل أسف فإن الأحداث التي حصلت لاحقاً أعطتني الحق. فإذا أراد الرئيس الحص الانطلاق من الفكرة التي انطلق منها، وهي أنه أتى إلى الحكم باعتبار أن الحرب انتهت ووصلنا إلى السلم وكل الأمور ماشية تصبح.. كل عثرة بإمكانها أن تشكل في نظره خيبة أمل. لقد انطلقت، والرئيس سركيس أيضاً من أننا وصلنا إلى هدنة موقتة نتمنى أن تكون مرحلة ومحطة على طريق السلام والتطبيق. وتبين أنها ليست هكذا، ولهذا السبب كانت المسافة بين آمال الرئيس الحص والواقع أكبر من المسافة بين آمالي أنا والواقع لأنني كنت أعلم أننا لسنا على الأرضية التي يعتقدها الرئيس الحص عندما كُلّف تأليف الحكومة. وسأعطي مثلاً على الرؤية المختلفة. ففي

مناسبات عدة، ومن دون الدخول في التفاصيل، يشير الرئيس الحص إلى الضغوط التي كانت تمارس على الرئيس سركيس وعليّ أنا ضمن محيطنا. هناك شيء من الصحة في هذا الكلام، ولكن مقابل ذلك الرئيس الحص كان خاضعاً أيضاً وضمن محيطه للضغوط، وباعتقادي أنه كان يتعرض لضغوط أكبر من الضغوط التي كنا نتعرض لها نحن، وبطبيعة الحال بصورة واعية أو غير واعية كان يتأثر بهذه الضغوطات وهو اضطر لأن يتأثر بها ولكنه لم يجاهر بهذا الأمر، فإذا أراد الانسان أن يكتب ما يراه عند الآخر تصبح القضية قضية سجال لا فائدة منها، مع العلم أن الرئيس الحص هو رجل جدير بالاحترام وسعى كرجل دولة إلى القيام بما يمكنه، ولا يمكن لأحد أن يحمّل الآخرين المسؤولية، فإذا كان هناك من مسؤولية عن عدم الوصول إلى النتيجة المبتغاة، فالمسؤولية تقع بصورة أساسية ورئيسية على الظروف والمعطيات والأرضية وليس على شيء آخر. كل هذه الأمور أصبحت في ذمة التاريخ.

■ **علاقتك مع الرئيس الحص اليوم؟**

ـ علاقتي مع الرئيس الحص على أحسن ما يرام وألتقيه دائماً.

■ **هل الأزمات التي كانت تقع بين ثلاثة من المعتدلين تدل على أن التفاهم متعذر بين اللبنانيين؟**

ـ الخلافات التي كانت تقع تدل على مدى ضغط الظروف في ذلك الوقت. وكم كانت هذه الظروف قاسية علينا نحن الثلاثة، على رغم الاعتدال الذي نتميز به والتقدير الذي نتبادله. كم كان من الصعب في بعض المناسبات الالتقاء بسهولة على قاسم مشترك، وهذا يدل على دقة الظروف وشدتها وصعوبتها وعلى تعدد التيارات التي كانت تتفاعل وتتناقض، الأمر الذي كان يجعل الصورة مشوشة. والواقع أنها كانت فترة في غاية الصعوبة وهذه الصعوبة تبلورت على الأرض وفي السياسة والحرب. ولكن بعد انقضاء هذه المرحلة يدرك الانسان أكثر كم كانت صعبة، لأن كل ما تفجر في ما بعد كان يختمر في ذلك الوقت.

■ **هل تعتبر أن الاتفاق بين اللبنانيين سهل؟**

ـ إذا لم يتم الاتفاق بين اللبنانيين فيكون معنى ذلك أننا حكمنا على أنفسنا وعلى بلدنا، وأعتقد بأنه في المرحلة الحاضرة الاتفاق يتناول ناحيتين، له وجه سلبي ووجه ايجابي، الاتفاق على السلبيات شبه تام بين اللبنانيين، ولكن هناك مجالاً واسعاً لأن يتوضح ويترسخ الاتفاق على الإيجابيات. في الوقت الحاضر لا يمكننا القول أن الاتفاق على الايجابيات مترسخ بشكل سليم.

■ **هل ترى أن هذه المرحلة التي نمر بها هي على جميع الصعد أسهل من المرحلة التي مررتم بها؟**

ـ كل مرحلة تتميز بطابع معيّن، فالمرحلة الحاضرة هي أصعب على صعيد الاقتصاد والإعمار، لكن هذه المرحلة تجر وراءها ذيول المراحل السابقة بصعوباتها، لأنه عندما تنتهي المرحلة الصعبة فهذا لا يعني أن ذيولها انتهت بل تجر معها ذيولاً، والآن نحن نعاني في المرحلة الحاضرة ذيول ١٦ سنة من الحرب وهذا أمر يجب عدم الاستهانة به. وأيضاً يجب عدم تضخيم الأمور كي لا يصاب الإنسان بالجمود والذعر، فروح الواقعية وعدم التهرب من الحقيقة ومن المسؤولية يفرضان القول أن التفاهم على الصعيد الإيجابي ناقص ويجب استكماله وتعزيزه.

■ **ما هي أصعب مهمة قمت بها في سورية؟**

ـ مهماتي مع الإخوان السوريين كانت دائماً مزيجاً من المتعة والصعوبة، وكانت مزيجاً من الواجب وتحقيق غايات في سبيل مصلحة لبنان وشعبه والعلاقات اللبنانية ـ السورية. وأعتقد بأن إحدى أصعب المهمات التي قمت بها في سورية هي المهمات التي توليتها سنة ١٩٧٨ عندما احتدمت الأوضاع العسكرية على الأراضي اللبنانية بعد حادثة الفياضية المشؤومة (اشتباكات بين الجيشين اللبناني والسوري) حيث مررنا بمراحل صعبة، ولكن خط الاتصال لم ينقطع ولو مرة واحدة بيننا وبين الإخوان السوريين، وكنا نسعى دائماً وننجح، وأنا شخصياً كنت حريصاً على ألاّ تنقطع الاتصالات، لأن هذا مضر جداً ولا بد من

متابعة المفاوضات، والاتصال ضروري ومحتّم بقدر ما يصطدم بصعوبات، بحيث إنه إذا لم يكن هناك من صعوبات، فلا مبرر لاستمراره وينما يجب أن يستمر.

■ كيف عالجتم حادثة الفياضية؟

ـ لا أود الدخول في التفاصيل، وفي الواقع عملنا على حل القضية بشكل نحافظ فيه على مصالح البلدين وكرامة الجيش السوري، وعلى الرغبة بعدم تأزيم الأمور بين لبنان وسورية، ومع أنني اصطدمت في ذلك الحين بصعوبات كلية وعانيت نظراً إلى صعوبة الظروف ودقة الموضوع، لكنني أعترف في النتيجة وبصراحة بأنني وجدت كل التفهم من الإخوان السوريين وبصورة خاصة من الرئيس حافظ الأسد، وتفاصيل هذا الموضوع يمكن أن تدخل في سياق كتاب عن هذه المرحلة، وفي اعتقادي أن الإخراج الذي وضع لهذا الموضوع كان موفقاً كل التوفيق وراعى اعتبارات عدة.

كانت المعالجات تدور في ذلك الوقت بيني وبين السيد عبدالحليم خدام والعماد حكمت الشهابي، وكان المفاوضات تصب في النتيجة عند الرئيس الأسد الذي كان يبت الأمور ويقررها، والأحداث بعد ذلك برهنت أنه كانت هناك نية مبيتة لإثارة الجيش السوري وتحدّيه من بعض الفئات بكل أسف.

أما في ما يتعلق بقصف الأشرفية فقد جرت اتصالات عدة في

ذلك الحين، وزرت وقتها دمشق مع الرئيس سركيس وتفاهمنا مع الإخوان السوريين على يتعلق بالانفراج العسكري وبعد هذه الزيارة قمنا بجولة على الدول العربية.

■ هل كان الرئيس سركيس يخاف الاغتيال؟

ـ كلا. فالأجهزة التي كانت مكلفة حمايته لم تكن تتخذ سوى الحد الأدنى من الاحتياطات الأمنية، والرئيس سركيس لم يكن يعيش هاجس الاغتيال. كان رجلاً هادئاً وشجاعاً ومن دون «بهورة» وتبجح. شجاعته كانت شجاعة الرجل الأمين والمؤمن والمرتاح الضمير، وكان في النتيجة يتكل على القدر وعلى الله.

■ هل كان ينزل إلى ملجأ قصر بعبدا خلال القصف؟

ـ نعم في بعض المناسبات وبعض الظروف لم يكن بإمكانه البقاء في الطوابق العليا، كان يحافظ دائماً على هدوئه وينزل إلى الملجأ، فهو كان يتخذ الحد الأدنى من الاحتياطات التي يمكن أن يتخذها رئيس دولة موجود في الظروف التي وجد هو فيها.

■ هل كان يحدّثك عن خوفه على مستقبل لبنان؟

ـ موضوع مستقبل لبنان والتوقعات واستشفاف المستقبل واستشرافه كانت من الأمور التي تشكل حديثنا اليومي وتغذيه،

ولم نكن نبحثها بصورة عرضية وبالمصادفة، فكل أحاديثنا وأعمالنا ومداولاتنا ومشاوراتنا كانت تنصب على هذا الموضوع بالذات، ولم يكن هناك أمر غيره أساساً والباقي يتفرع منه.

■ **كيف كان ينظر إلى المستقبل؟**

ـ كان واضح الرؤية لأنه كان يحسن التمييز في خضمّ الأحداث بين الأمور الثانوية والعرضية والخطوط الرئيسية، وهذا الوضوح كان يمكّنه من أن يتبع الخط الرئيسي.

■ **هل هناك حادثة تذكرها مع الرئيس سركيس؟**

ـ عندما قدّم الرئيس سركيس استقالته طبعاً جرت بيني وبينه أحاديث شخصية كثيرة، ومكثت يومها ٢٤ ساعة في القصر الجمهوري لمتابعة الموضوع، وأعتقد بأن الرئيس الحص ذكر هذا الامر في كتابه، وكنت أحد الذين شجعوا الرئيس سركيس على الاستقالة عندما طرحها ولم تكن العملية مناورة، كان بيني وبين الرئيس سركيس صداقة على الصعيد الشخصي بصرف النظر عن كونه رئيساً للجمهورية وقبل أن يصبح رئيساً، فتعاوني معه وهو رئيس للجمهورية ليس هو سبب انطلاقة علاقتنا الشخصية وصداقتي معه، بل كان ذلك تكريساً لهذه الصداقة وانعكاساً لها وليس بدايتها.

■ **علاقتكم مع الرئيس سليم الحص كانت صعبة، فهل تذكر مثلاً قطيعة أو مصالحة؟**

ـ لم تحصل قطيعة بيني وبين الرئيس الحص في الحكومة. حصل تباين في وجهات النظر، لكن لم يحصل قطيعة. وكنت حريصاً على ذلك وأعتقد بأنه كان حريصاً بدوره. وحين ترك الرئيس الحص الحكومة كنت الوزير الوحيد الذي زاره في منزله زيارة مجاملة عبّرت له فيها عن تقديري ورغبتي في أن نبقى على اتصال، وهذا ما حصل، ولا نزال على اتصال.

■ **ماذا قال الياس سركيس حين خسر الرئاسة ضد سليمان فرنجية بصوت واحد في ١٩٧٠، وهل كانت لحظة مرارة في حياتك؟**

ـ في الواقع كنت أرى نجاح الياس سركيس صعباً في ذلك الحين. كان أمله في النجاح أكبر من أملي في نجاحه. بعض الذين كانوا يهتمون بالانتخابات حوله أكد له أن حظه كان كبيراً. أنا لاحظت مواطن الضعف في العملية. لهذا السبب لم تكن صدمتي كبيرة. الياس سركيس تعاطى مع النتيجة بكل هدوء. أعتقد بأنه في اليوم التالي أو اليوم الذي تلاه زارني في منزلي في عاليه وتناولنا «الترويقة» معاً وتحدثنا في أمور عدة وكأن شيئاً لم يحدث.

■ **زميلنا الراحل ميشال أبو جودة كان يقول إن الياس سركيس زار دمشق سراً قبل أيام من انتخابه رئيساً؟**

ـ لا علم لي ولا أعتقد أن ذلك حصل.

■ هناك شعور بأن الياس سركيس ظُلم؟

ـ كل رئيس جمهورية ماروني حاول أن ينتهج سياسة منفتحة ومعقولة وذكية بالنسبة إلى لبنان ككل، أصابته انتقادات قاسية وظلم. وأعتقد الآن بأن الرأي العام الماروني، كما أسمع من الناس، يترحّم على فؤاد شهاب والياس سركيس، لأنه، إضافة إلى الناحية السياسية، لم تكن لدى الأول ولا الثاني مطالب شخصية أو عشائرية أو مالية. والبلد لم يعودنا كثيراً على الترفع عند الناس.

■ ما هو أهم حدث في عهد الياس سركيس؟

ـ كل أسبوع كان هناك حدث إن لم أقل كل يوم. دخول الإسرائيليين عام ١٩٧٨، الاجتياح سنة ١٩٨٢ وتأليف بعض الحكومات، ومشاكل بين الجيش والأحزاب، والعلاقات مع «القوات اللبنانية» و «الحركة الوطنية»، والعلاقات مع المقاومة الفلسطينية وتطبيق «اتفاق القاهرة»، ومهمة اللجنة الرباعية العربية مع الرئيس الياس سركيس.

■ تأييد سركيس لوصول بشير الجميل إلى الرئاسة كيف حصل؟ وهل استسلم سركيس للتغيير الذي طرأ على ميزان القوى بفعل الاجتياح الإسرائيلي أم اعتبر أن بشير قادر على الإنقاذ؟

ـ العلاقات بين الرئيس سركيس وبشير الجميل ظلت سيئة إلى

درجة لا يمكنك تصورها لمدة طويلة، ولاحقاً، نظراً إلى الظروف ومعادلات القوى ومواقف بعض الدول وما حصل على الأرض حدث تقارب. هذه الناحية أنا شخصياً لا أقدر أن أخوض فيها كثيراً لسببين: **أولاً**، إن التحول في العلاقات بين سركيس وبشير حصل في فترة كنت فيها في أميركا حيث خضعت لعملية جراحية في القلب (١٩٨١). خلال هذه الفترة حصل التقارب. الحقيقة أنه لو كان الرئيس سركيس يريد تسويق بشير الجميل في المجلس النيابي نفسه لما كانت لديه الإمكانات اللازمة، فقد كان الوضع في المجلس كما تعرف. العوامل التي أثّرت كثيرة. يمكن أن الرئيس سركيس انطلاقاً من الواقعية السياسية رأى أن هذا الموضوع أصبح أمراً لا بد منه.

في المدة الأخيرة لم تكن علاقاته مع بشير الجميل، على الصعيد الشخصي، عاطلة بل تحسنت لأنهما اجتمعا مرات عدة وفسر كل منهما موقفه. تقديري الخاص هو أن ثمة معادلة تفرض أحياناً نفسها على الجميع ولا يستطيع المرء تجاهلها.

■ ما هو الوجه الأهم في شخصية سركيس؟

ـ الضمير المهني السياسي. كان يتمتع بضمير مهني سياسي حاد جداً. وكان تعيساً كرئيس. الياس سركيس لم يفرح كرئيس، كانت الرئاسة بالنسبة إليه مغمسة بالدم والألم والأسى. كان يحاسب نفسه كل يوم. وتواضعه معروف. وكان يشعر مع المواطن. حياة الياس سركيس لم تكن سهلة منذ

بداياتها ولم تأته الأشياء على طبق من الفضة. كان يعرف مشاعر القهر و«التعتير» ويشعر مع الناس. إنه من القلة في أي حال.

■ **كان كئيباً؟**

ـ بالأساس ليس كئيباً. بالأساس متّزن ولا عقَد نفسية لديه. لكن رئاسة الجمهورية كانت كابوساً كبيراً عليه. ولم يكن يعتقد حين انتخب أن الوضع في لبنان ساء إلى هذه الدرجة وبلغ هذا القدر من التعقيد.

■ **هل كان حقوداً؟**

ـ لا. الياس سركيس غفر لأناس كثيرين بسهولة ويمكن أنه غفر بسهولة أكثر من اللازم. لا أعرف إذا كان بقي في قرارة نفسه شيء حيالهم، لكنه كان يستطيع السيطرة على نفسه تماماً، ولم يكن يقبل أبداً أن يساوم على القضايا التي يعتبرها مبدئية على الصعيد الوطني. لدى الوصول إلى القضايا المبدئية يقف ولا يتزحزح ولا يتحرك. لم يكن من أنصار بطولات البهورة. كانت بطولته يومية، يقف عند موقف مبدئي ولا يتحرك مهما حدث. وحين استقال الياس سركيس كان يعني استقالته حقيقة وكانت بالنسبة إليه نوعاً من الخلاص.

■ **ما هو أخطر ملف تعاطيت معه في عهد الياس سركيس؟ العلاقات اللبنانية ـ السورية؟**

ـ تعاطيت مع ملفات عدة صعبة: موضوع إسرائيل ولبنان والمقاومة والعلاقات العربية بمجملها، خصوصاً العلاقات مع سورية وعلاقات لبنان مع الدول الأجنبية والولايات المتحدة خصوصاً، والدور المهيأ للبنان والمصير المفروض بالنظر إلى المعادلات القائمة ومحاولات تثبيت وجوده كي لا تفرض تفسيرات نهائية بالنسبة إلى موقعه ودوره. إن عمل السنوات الست، في عهد سركيس، كان مرهقاً بالنسبة إلي وهذا ما أوصلني إلى مستشفى في أميركا حيث خضعت لجراحة في القلب.

■ **ما هو الحادث البارز الذي وقع بينك وبين سفير دولة كبرى أو مسؤول؟**

ـ أكيد لم يسحب أحد مسدسه في وجه الآخر. لكن حصلت اجتماعات كثيرة كانت تتخللها أجواء توتر، خصوصاً حين كنا نحاول وضع حد لعمل المقاومة الفلسطينية المسلح في لبنان، كما حدث في قمة تونس أو لدى البحث في وضع استراتيجية عربية شاملة.

صارحت خدام والمجتمعين بتحفظي على «الاتفاق الثلاثي»

يتحدث فؤاد بطرس عن أشخاص عرفهم خلال تجربته السياسية والديبلوماسية. لا يتردد في الإشارة، لكنه يتحاشى إطلاق السهام، وكأن طول الإقامة في وزارة الخارجية غلّب الديبلوماسية على كل مفردات قاموسه. يحكي عن الفارق بين وزير خارجية دولة صغيرة ووزير خارجية دولة نووية، وكيف يشعر العالم بأنه غير مضطر للاستماع إلى الأول لأن بلاده غير قادرة على تهديد أمن الآخرين واستقرارهم. يتحدث عن أندريه غروميكو وزير الخارجية الراحل للاتحاد السوفياتي الراحل، وعن سايروس فانس وزير الخارجية الأميركي الأسبق.

ويتطرق فؤاد بطرس في حديثه إلى شخصيات استوقفته. يحكي عن براعة الرئيس السوري حافظ الأسد كمحاور يصعب أن تفاجئه وكرجل دولة يمتلك القدرة على القرار ويعرف ماذا يريد. وتتضاعف قيمة هذا الكلام لكونه يصدر عن رجل لم

تخف دمشق في بعض المراحل انزعاجها من حضوره القوي إلى جانب الرئيس الياس سركيس.

ويتحدث بطرس عن الملك (الراحل) فهد بن عبدالعزيز وهو التقاه حين كان ولياً للعهد، وشعر بأنه يكنّ حباً للبنان، ويشير إلى أن أوضاع لبنان في تلك الأيام لم تساعد الذين كانوا راغبين في مساعدته.

ويشير بطرس إلى الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول ويصفه بأنه «شخصية خارقة». يتحدث بإنصاف عن شخصيات تشارك معها في العمل الحكومي ويتحدث بإنصاف أيضاً عن شخصيات لعبت دوراً حاسماً في إسقاط الشهابية كالرئيس صائب سلام والعميد ريمون إده. وفي كل ذلك يترك للزمن بعض السلبيات التي كانت، مبتعداً ببراعة عن كل ما يمكن إدراجه في باب فتح الجروح.

لم تقم بين فؤاد بطرس وجيل الزعماء المحاربين علاقات حميمة أو وثيقة، فهو ينتمي إلى مدرسة أخرى ولغة أخرى، لكن ذلك لم يمنع الحوار وأحياناً السعي إلى العثور على قواسم مشتركة. وحين تسأله عن العلاقة مع الرئيس الراحل بشير الجميل يرد بأنها بدأت «من نسف هذا المكان الذي نجلس فيه الآن».

ويتحدث بطرس أيضاً عما حصل في ليلة ٢٢ ـ ٢٣ أيلول

١٩٨٨، أي الليلة الأخيرة من عهد أمين الجميل، مشيراً إلى أنه لم يكن مقدراً للحكومة التي ولدت في تلك الليلة النجاح لأسباب تتعلق بالتركيبة اللبنانية نفسها.

وكان لا بد من سؤال بطرس عن السبب الذي دعاه إلى حضور احتفال توقيع «الاتفاق الثلاثي» الذي رعته دمشق في أواخر ١٩٨٥، والذي أُسقط بعد نحو أسبوعين، وهو يشير إلى أنه صارح نائب الرئيس السوري عبدالحليم خدام والحاضرين من ممثلي الفاعليات المسيحية بأن الاتفاق لن يمشي، وأنه يحمّل إيلي حبيقة ما لا طاقة له على احتماله.

■ **من هم وزراء الخارجية الذين تأثرت بلقائك معهم، أندريه غروميكو مثلاً؟**

ـ طبعاً غروميكو وزير خارجية كبير، وعاصر أحداثاً كبيرة، وكان لبقاً. لكن يجب الالتفات دائماً إلى الدولة نفسها، فأن يكون المرء وزيراً لخارجية دولة عظمى شيء يختلف تماماً عن أن يكون وزير خارجية دولة صغيرة أو متوسطة. خذ مثلاً في الجمعية العامة للأمم المتحدة، حين يتكلم وزير دولة كبرى أو دولة عظمى، يتحتم على الآخرين الاهتمام بما يقول والإصغاء إليه، سواء كانوا في عداد المتعاطفين أو الخصوم. ذلك أن مصير العالم أو أمنه واستقراره قد يتوقف على موقف يعلنه هذا الوزير، لكن الأمر يختلف حين يكون المتكلم وزيراً من دولة صغيرة. ربما كان الوزير الثاني ينطق على الصعيد الفكري

والانساني بما هو لافت أكثر، لكن المندوبين لم يكونوا في حاجة ملحة للاستماع إليه، إذ يشعرون وكأنه يلقي بنظريات لن تؤثر على مجرى التاريخ. الفارق كبير بين خطيب يستند إلى قنبلة ذرية وخطيب لا يستند إلى أي شيء. الأول يحظى باهتمام ولو لم يقل شيئاً والثاني يسارعون إلى وصفه بالأكاديمي وموزع النظريات.

■ **مَن التقيت من قادة العالم وأثّر بك؟**

ـ لا شك أن ديغول شخصية خارقة، وغروميكو شخصية محترمة جداً. شخصية وزير الخارجية الأميركي سايروس فانس توحي كل الاحترام والتقدير. ولا بد من أن أشير إلى طاقة كبيرة وأعني الرئيس حافظ الأسد. ولا أقول فقط على مستوى الدول العربية، بل أيضاً على مستوى الدول الأجنبية، فبنظري أنه طاقة مميزة.

■ **ما هي أهمية الرئيس الأسد بنظركم؟**

ـ أهميته بالدرجة الأولى، أنه عميق جداً، وثانياً أنه يملك نفسه إلى أبعد حد، تستطيع أن تتحدث معه ساعتين أو ثلاث ساعات وقبل الدقائق الخمس الأخيرة لا تعرف ما هو رأيه، وإذا أراد، يستطيع أن يجعلك لا تعرف هذا الرأي أبداً، ومن دون أن يبذل أي جهد.

■ **هل الرئيس الأسد أبرع مفاوض التقيته؟**

ـ لا شك، وهو يعرف تماماً ماذا يريد، وحين يدخل في بحث يكون لديه مخطط في رأسه من الألف إلى الياء، وصعب أن تفاجئه، دائماً يكون ملماً بالموضوع من جميع نواحيه ولديه جواب لكل ما يمكن أن يطرح من أسئلة، تشعر وأنت تتحدث إليه بأنك أمام رجل صاحب قرار. يمتلك القدرة على القرار. لديه الطاقة على اتخاذ القرارات الصعبة.

■ **هل كانت العلاقات صعبة بين الرئيسين الأسد وسركيس؟**

ـ لا نستطيع أن نقول صعبة لأن الرئيس سركيس كان ناعماً وهادئاً، ولم يحدث توتر ظاهر بينهما حتى لو اختلفت الآراء وتباينت. ولكن كنت أشعر في بعض الأوقات بعدم حدوث تقدم، أي ان المرء يتحرك في مكانه.

■ **والشخصيات الأخرى التي أثارت اهتمامك وتقديرك؟**

ـ يصعب أن أستعرض كل الأسماء، ففي العالم العربي شخصيات لها وزنها وثقلها، تحدثت عن الرئيس الأسد لأنه أُتيح لي بحكم موقعي أن ألتقيه بصورة متواصلة، لم يكن يمر شهر أو شهر ونصف، إلا ويعقد اجتماع بمعزل عن زيارات الرئيس سركيس التي كانت محدودة، أذهب ويستقبلني الرئيس الأسد. التقيته عشرات المرات، ولهذا السبب تعرفت إلى شخصيته، في حين كنت ألتقي الآخرين معظم الأوقات في المؤتمرات.

تيسر لي أيضاً لقاء الملك فهد بن عبدالعزيز، وكان يومها ولياً

للعهد، وفي كل مرة التقيته فيها تولّد لديّ الانطباع بأنه كان مهتماً بلبنان ويكنّ حباً له، لكن ظروفنا كانت بالغة التعقيد. للملك فهد ثقله ورؤيته ووزنه.

هناك وزراء خارجية كان أسلوبهم لافتاً، وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل أسلوبه جميل ومرن ويمتاز بالكياسة.

■ **حضرت توقيع الاتفاق الثلاثي (بين القوات اللبنانية برئاسة إيلي حبيقة والحزب الاشتراكي برئاسة وليد جنبلاط وحركة أمل برئاسة نبيه بري) في دمشق، فلماذا حضرت؟**

ـ نعم، حضرت، وخلال الاجتماع الذي عقد بين نائب الرئيس السوري عبدالحليم خدام مع الفريق المسيحي كنت الوحيد بين الحاضرين الذي أبدى تحفظه، وقلت إن الاتفاق كما هو لن يمشي، ولن يستطيع إيلي حبيقة أن يقلّع به.

■ **لماذا ذهبت إذاً؟**

ـ ذهبت إلى سورية لأنه كان لا بد من وضع حد للحرب، حين بدأت اتصالات الاتفاق الثلاثي شجعت على المرور بالشام لوضع حد للحرب. بدأت عملية بحث الاتفاق الثلاثي. وكان لي ملاحظات على الاتفاق على أساس أنه مع الوقت يمكن أن يتحسن، وإذ فوجئنا باجتماع للتوقيع!

على صعيد كرامة الانسان، كان صعباً عليّ أن لا أذهب إلى الشام من أجل حفلة التوقيع وأصر إيلي حبيقة علي كثيراً. وقلت أذهب وأبدي وجهة نظري. وكنت الوحيد الذي تحدث في الاجتماع مع خدام وقلت: إنكم تحمّلون إيلي حبيقة أكثر مما يستطيع ان يحتمل. وقلت إسألوه، وقلت ذلك لأن إيلي نفسه كان يعتبر أن الاتفاق يجب أن تصحح فيه بعض الأمور.

■ **وماذا قال حبيقة؟**

ـ لم يسمع، وكأنه شعر وقتها بأنه لا بد من توقيع الاتفاق، وأنا قلت إن الاتفاق لن يرى النور، وحين وقّع وليد جنبلاط غمزني حبيقة، ثم انتحى بي جانباً بعد قليل وقال لي: هذا الاتفاق لن يمشي، فجنبلاط نفسه وقّع مسايرة أو اضطراراً، لكنه كان مقتنعاً أن الاتفاق لن يمشي.

الاتفاق الثلاثي حتى وإن كان مختلفاً، ما كان له أن يمشي، لأنه كانت هناك قوى فاعلة على الأرض في المنطقة لم يجاروها في الاتفاق الذي بدا وكأنه يؤدي إلى تهميشها. كان النجاح صعباً، لقد حصل تقريباً ما يشبه قيام أمين الجميل بالاتفاق مع إسرائيل وتهميش الفريق الآخر الذي تحرك وخربط المسألة. الحادثتان تدلان على إن الحل لم يكن ممكناً، كانت المنطقة منطقة تنافر وتنافس على المصالح والنفوذ والحرب الباردة قائمة. حين حاولوا إقامة «الاتفاق الثلاثي» بمعزل عن

الأميركيين سقط، وحين أقاموا اتفاقاً مع إسرائيل بمعزل عن الاتحاد السوفياتي وحلفائه سقط، إذاً العملية واضحة.

■ شغور رئاسة الجمهورية ليلة ٢٢ ـ ٢٣ أيلول ١٩٨٨، هل كان خطأً قاتلاً؟

ـ من الناحية النظرية لم يشغر المركز، حلّت نظرياً ودستورياً مكان الرئيس حكومة. عملية تأليف الحكومة (حكومة العسكريين) برئاسة العماد ميشال عون، من قبل أمين الجميل، لم يكن مكتوباً لها أن تعيش كحكومة. هناك احتمال من اثنين: إما أنه لم تكن العملية محضّرة وعمل أمين الجميل ما وجده تحت يده في الدقيقة الأخيرة، وأنا أستبعد هذا الاحتمال، أو أنه أقدم على عمل في الدقيقة الأخيرة، وكأنه بذلك أراد أن يدلل أو يبرهن على أن المسألة لن تنجح بعد أن ترك الحكم على هذا الشكل.

لم يكن مكتوباً للحكومة الحياة على الصعيد الإسلامي ـ المسيحي، صعيد التعايش، والبرهان أن نصف أعضائها استقالوا فوراً.

■ هل كانت علاقتكم سيئة مع الرئيس الراحل سليمان فرنجية؟

ـ لم تكن علاقتي الشخصية سيئة مع الرئيس فرنجية، بل كانت

«كويسة». كان يبدي لي كل عطف وتقدير وأنا كنت أقدّره. على العكس كانت هناك معزة، حين كان رئيساً للجمهورية، خصوصاً في المدة الأخيرة استدعاني مرتين أو ثلاثاً وطلب رأيي وكان يستمع إلي بانتباه ويهتم بالتعرف على تصوري. وأقول أكثر من ذلك، حين شُكلت حكومة الرئيس الراحل رشيد كرامي في ١٩٧٥، بلغني أن الرئيس فرنجية اقترح اسمي كوزير أرثوذكسي ولم يمشِ الحال لاعتبارات ثانية. إذاً لم يكن هناك توتر في العلاقات، طبعاً أنا أحبذ الرئيس سركيس، لكنني كنت على اتصال مع الرئيس فرنجية أثناء معركة الرئاسة. قبل ستة أيام من فوزه بالرئاسة كنت مجتمعاً معه وكان يعرف أنني أسعى إلى حل.

■ كيف تصف علاقاتك بالرئيس صائب سلام، وهو أحد خصوم الشهابية؟

ـ لم أعين وزيراً في حكومة يرأسها الرئيس صائب سلام، بالعكس كنا إجمالاً كل واحد في جهة، فعندما ترأس الحكومة سنة ١٩٦٠ مثلاً كنت أنا في المعارضة، لكن هذا لم يؤثر على تقديري له ولمزاياه ومؤهلاته، فالرئيس صائب سلام إحدى الركائز الأساسية في السياسة اللبنانية، وفي لبنان، والعلاقات بيني وبينه مستمرة دائماً، وقد أصيبت برجرجة بسيطة أثناء المعارضة، ولكن ما لبثت أن استقامت وعادت الأمور إلى طبيعتها.

■ هل هناك اتصالات بينكما؟

ـ منذ فترة لم أره، ولكن عندما أكون خارج لبنان أتصل به وأسأله عن صحته ونتداول واياه الرأي، وأتتبع أخباره هنا في لبنان عن طريق صديقي نجله الأستاذ تمام سلام. فالرئيس صائب سلام رقم أساسي في المعادلة اللبنانية. لا يمكن لأحد أن يتعاطى الشأن العام لا بالأمس ولا في يومنا الحاضر ويتجاهل هذا الرقم الأساسي.

■ وريمون إده؟

ـ أيضاً لم أعيّن في أي حكومة كان ريمون إده وزيراً فيها، فعندما دخلت الوزارة سنة ١٩٥٩، خرج هو منها، وعندما عيّن وزيراً سنة ١٩٦٨ كنت قد تركت الوزارة.

أما في المجلس النيابي، فكنا نتفق أحياناً وأحياناً أخرى نختلف، هذا أمر طبيعي، ولكن ريمون إده أيضاً عنصر مهم في السياسة اللبنانية وله مواقف أساسية سواء اتفق معه الإنسان أم اختلف في الرأي، فلا يمكن إلا أن يقدّره ويسلّم بدوره وطاقته، مع العلم أنه بالنسبة إلى القضايا التي تمّت للجوهر والأساس لم يكن هناك من خلافات في الحقيقة، بل كانت هذه الخلافات تتناول الأسلوب والظَرْف أكثر مما تتناول الجوهر.

■ والعلاقة مع غسان تويني؟

ـ مرت بمرحلة صعبة، لأن الأستاذ غسان تويني كان قبلي في

السياسة ويعتبر أن هناك أسبقية، وهذا أمر طبيعي ومألوف والأرثوذكس ليسوا كثراً وليس هناك أماكن كثيرة ولأشخاص كثيرين. حصل نوع من التنافس والنفور، ربما تجاوز أحياناً الحد المعقول، وحين يكون أحد الطرفين صاحب صحيفة بطبيعة الحال يكون لديه ميل طبيعي لفش الخلق فيها، ولكن بالنتيجة وبأساس الموضوع، أعتقد أن بيني وبين غسان تويني تقديراً متبادلاً، ثم إن هذه المرحلة مرت وانتهت، وصارت العلاقات لاحقاً إيجابية جداً، حين عُيّن سفيراً للبنان في الامم المتحدة أيام كنت وزيراً للخارجية، كان هناك تعاون وثيق بيننا، كانت العلاقات كويسة وإيجابية ولا تشوبها شائبة. لقد كبرنا الآن ونضجنا.

■ والرئيس شفيق الوزان؟

ـ الرئيس الوزان كنت معه نائباً لرئيس الحكومة ووزيراً في السنوات الثلاث الأخيرة من عهد الرئيس الياس سركيس، أي منذ العام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ وحتى العام ١٩٨٢، علاقتي كانت معه على أحسن ما يرام، فهو رجل دمث الأخلاق، صاحب عقيدة من دون أن يستعمل أي نوع من أنواع الضغط أو «البهورة»، ولكنه راسخ بعقيدته بهدوء وصادق ومنفتح، والتعاون معه كان مثمراً وممتعاً، وأحفظ خلال تعاوني معه أطيب الذكريات أيضاً.

وقد مرت علينا أيام صعبة جداً، بصورة خاصة عندما كان

الجيش الإسرائيلي يحاصر بيروت ويقصفها، فعلى رغم من دقة الظرف وصعوبة الاتصالات بيننا كنا نتصل بواسطة الهاتف آنذاك ونعمل على تسوية الأمور، فكما أذكر لم يحصل أي خلاف في الرأي بيني وبينه.

■ اللقاءات مع فيليب حبيب خلال عهد الياس سركيس؟

ـ مهمات فيليب حبيب في لبنان معروفة، أخذت دورها في الحد الأقصى عام ١٩٨٢، عندما اجتاح الجيش الإسرائيلي لبنان وصولاً إلى بيروت، وقبل ذلك تدخل في قضية زحلة والصواريخ.

كانت هناك معرفة سابقة بيني وبين فيليب حبيب، وكنا نتكلم بصراحة في ما خلا الأبحاث الرسمية، كان يحاول بقدر ما تسمح له وظيفته وصفته أن يصارحني، لا سيما في الاجتماعات الخاصة، عندما أتى سنة ١٩٨٢ إلى لبنان وسعى معنا إلى الانسحاب الإسرائيلي وإخلاء المقاومة الفلسطينية وانسحاب الجيش السوري ضمن حدود معيّنة وإنشاء القوة المتعددة الجنسيات، كان له دور إيجابي على هذا الصعيد، أما خلفيات تفكير الولايات المتحدة في هذا الموضوع، فهذا شأن آخر، وباعتقادي حسب نتيجة أحاديثي مع فيليب حبيب، ان الولايات المتحدة كانت تعتقد ربما أو بعض التيارات في وزارة الخارجية، أنه بعد عملية متعددة الجنسيات وترتيب الأمور، قد يتمكنون من دفع لبنان بحيث يتم الانسحاب الإسرائيلي على

أساس اتفاق بين لبنان وإسرائيل، وربما نوع من التسوية شبيه بما كان حصل في كامب ديفيد. على كل حال أنا لم أترك المجال لفيليب حبيب وقتها بأن يسترسل في أي وهم في هذا الصدد عندما شعرت بأنه يمكن أن يكون هناك أفكار من هذا النوع، فصارحته بكل وضوح، أنه ليس وارداً ولا يرد عندنا في عهد الرئيس سركيس أن نقدم على أي عمل يكون بمثابة اتفاق مع إسرائيل أو تسوية، وهذا الأمر غير موجود في قاموسنا وغير وارد أصلاً.

■ محاولات الاغتيال التي تعرضت لها؟

ـ تعرضتُ لمحاولتين، واحدة سنة ١٩٧٧، حين تم تفجير منزلي في الليل، ولكن بما أن منزلي مؤلف من طابقين، تشاء الصدفة ان أكون نائماً في الطابق السفلي عندما فجروا الطابق العلوي، وعام ١٩٧٨ كنت ذاهباً بسيارتي تواكبني فرقة من الجيش إلى مطار بيروت للمشاركة في مؤتمر بغداد، فتعرض الموكب في حي مار نقولا في الأشرفية لكمين مسلح أصيبت سيارتي خلاله برصاصات عدة، كما تعرّض فريق المواكبة لإصابات أيضاً وخطف الضابط المسؤول عن فرقة المواكبة، وتم اغتياله.

■ هل ترك الياس سركيس وصية؟

ـ لا لم يترك وصية، ولكن كان حلمه عندما تسلم الحكم

أواخر عام ١٩٧٦، أن تكون الحرب انتهت، وأنه يجب أن ننطلق بإعادة البناء سياسياً ووطنياً، وإعمارياً واقتصادياً، ولكن للأسف حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر وصار ما صار.

■ **ما هي العلاقات التي ربطتك بجيل المحاربين؟**

ـ طبعاً بحكم وجودي في المنطقة والبلد وتولّي مراكز سياسية من الطبيعي أن تكون لي علاقة مع جماعات الميليشيات.

■ **وعلاقتكم مع وليد جنبلاط؟**

ـ علاقتي مع وليد جنبلاط، كنا نجتمع مراراً نتفق أحياناً ولا نتفق أحياناً أخرى، لكننا نبقى على علاقة مستمرة، وحتى حين نختلف كنا نعتبر أنه لا يجوز أن تصل الأمور إلى حد القطيعة أو التباعد. يجب ان يتعود الانسان قليلاً على مزاج وليد جنبلاط وحين يتعود تصبح المسألة سهلة. لم نكن معاً في الحكم، اجتمعنا مرة أو اثنتين في هيئة الإنقاذ التي شكّلها الرئيس سركيس في آخر عهده.

■ **تقصد الاجتماع الذي حضره بشير الجميل؟**

ـ نعم.

■ **كيف كانت العلاقة بين وليد وبشير خلاله؟**

ـ لم تكن هناك علاقة، لكن جنبلاط كان شديد الانزعاج، وكأنه يقول ما علاقتي بهذه العملية ولماذا جئتم بي إليها، بعدما أن رفعنا الجلسة شعرت بأن احتمال الاجتماع كلّفه الكثير.

■ **ألم يتبادل الحديث مع بشير؟**

ـ لا أذكر أنه حصل تصادم، لقد راعيا كلاهما الآخر، ولكن بعد رفع الجلسة حصل جدال في الرواق بيني وبين وليد جنبلاط تبين لي أنه تحمّل الكثير بمجرد الوجود في قاعة واحدة مع بشير.

■ **وعلاقتكم مع نبيه بري؟**

ـ لم تكن هناك علاقة واسعة مع نبيه بري آنذاك، ولكن المرات التي التقينا فيها كانت العلاقات طبيعية.

■ **ومع سمير جعجع؟**

ـ يوم كنت في الحكم لم أكن أعرف سمير جعجع، كان بشير حاجباً كل الناس.

■ **مع بشير؟**

ـ قصة طويلة، مرت بمراحل ابتداء من نسف هذا الطابق الذي تجلس فيه الآن إلى علاقات أفضل وعلاقات حوار وأخذ وعطاء. هناك فارق عمر بيني وبين بشير الجميل. وظروف

حياة كل منا مختلفة، وكذلك محيط كل واحد منا. ولكن كنا نجرّب العثور على قواسم مشتركة. لم نكن نتفاهم دائماً على كل شيء، ولكن نجد أحياناً قواسم مشتركة. مع الوقت تعقّل بشير الجميل وأصبح التفاهم معه أسهل.

■ **وأمين الجميل؟**

ـ أمين أعرفه من زمان. تدرّج في مكتبي للمحاماة سنين، وكنت قد صرت وزيراً. لقد تعاطى معنا في المحاماة.

■ **كيف يتخذ السياسي قراراته وأين الخطورة؟**

ـ يضطر السياسي أحياناً إلى اتخاذ مواقف بسرعة، لأن الأحداث داهمة ولا يستطيع الانتظار إلى حين جلاء كل العناصر بالنسبة إليه.

هناك نوع من الحدس ونوع من الخبرة والممارسة والتمرين تجعله نوعاً ما يتخذ مواقف قريبة من الصواب أو صائبة. ولكن إذا أراد المرء إجراء تقويم لمواقفه التي اضطر إلى اتخاذها بداعي العجلة وبعد أن تكون الأحداث قد مرت، أي إلقاء نظرة من الوراء على التاريخ، يستطيع المرء بالتأكيد أن يقول إن الموقف الفلاني كان يمكن أن يكون مميزاً بالشكل الآتي أو معدلاً بالشكل الآتي. ولكن هذا شغل المؤرخين أو مدرّسي العلم السياسي. الممارسة السياسية ليست هكذا، الممارسة السياسية تجبر صاحبها على اتخاذ مواقف في بعض الأوقات

من دون أن يكون لديه وقت أو مجال ودون أن تكون هناك مسافة بينه وبين الحدث. إذا كان المرء غير مغرور وصادقاً يستطيع دائماً أن يرى أنه لو اكتملت معلوماته في ظرف معين لعدل موقفه.

دائماً إذا كان لدى الشخص ميل إلى الأحسن يستطيع القول إن موقفاً ما كان يمكن أن يُعدل أو يحسّن.

أعتقد، وفي صورة إجمالية، أنني أخطأت أقل ما يمكن أن يكون في الظروف التي كنت موجوداً فيها، وجلّ من لا يخطئ. يمكن إذا قارنت بين نفسي والآخرين، ربما أُخطئ أقل منهم، وفي أي حال ليس أكثر.

■ **كيف كنت تتخذ قرارك كوزير للخارجية؟**

ـ في القرارات السياسية كنت ألجأ إلى من يوفّر لي المعلومات، وبعد استجماع المعلومات أختلي مع نفسي. أحياناً كنت أسأل البعض عن آرائهم ولكن لم يكن لدي مستشارون في صورة دائمة، وبالمعنى الصحيح. قرأت في مكان ما تعريفاً أو الفارق بين صاحب الخبرة، ومن يفتقر إليها. يقولون إن رجلاً بلا خبرة، ولكنه دارس ومطلع يمكن أن تتوافر له معلومات تمكّنه من النظر إلى الأشياء بالطريقة ذاتها التي ينظر فيها صاحب الخبرة، ولكن الفارق بين الاثنين ليس في تصور الموضوع أو إدراكه. الفارق هو أن رد الفعل لدى

صاحب الخبرة، يكون مختلفاً عن رد الفعل لدى الآخر، حتى لو كانت الرؤية واحدة، ربما هذا ساعدني وربما ضرني لا أعرف.

■ ما هو الكتاب الذي أثّر فيك؟

ـ لا أعرف، فالإنسان وفي صورة لاواعية تعكس أفكاره بالنتيجة إلى حد ما حصيلة ما اكتسبه من خبرته وتعاطيه الأمور وقراءاته، ومن المشاكل ومن أخطائه ومواقفه الصائبة. ليس هناك من كتاب في حد ذاته كان نوعاً من الرؤية. كتب وخبرة ومزيج.

■ يشعر وزير الخارجية أحياناً بالرغبة في الانحياز إلى بلد ما، فماذا عن تجربتك؟

ـ يجب على رجل السياسة إذا كان لديه ميل غريزي أو غير واع لناحية أن يقاومه، لا سيما إذا كان وزيراً للخارجية. وهذا ضروري كي يتمكن من بلورة موقف صحيح، ويجب أن يكون منزها من كل انحياز حتى في صورة غير واعية. طبعاً لا يستطيع المرء معالجة ذاتيته غير الواعية مئة في المئة، لكنه يستطيع أن يكون حذراً. كنت دائماً أجرب أن أضع نفسي على مسافة واحدة من دول عدة. طبعاً مع مراعاة ظروف لبنان الخاصة ومحيطه وانتمائه. ولكن كنت، بقدر ما تيسر لي وبقدر ما كان لدي من قوة وفي ضوء الظروف، أحاول إعطاء الأولوية

للمصلحة الوطنية على أي مصلحة أخرى، كما أفهمها، وعلى أساس ثوابت معيّنة. لم تكن المسألة سهلة دائماً خلال المدة التي توليت فيها المسؤولية، خصوصاً في السنوات الست الأخيرة، كانت الظروف صعبة جداً، وأكثر الأوقات كان الخيار بين حل سيئ، وحل أقل سوءاً أو أكثر سوءاً، وقلما وُجدت أمام خيارات من نوع الانتقال بين الحسن والسيئ.

■ هل تمنيت ذات يوم أن تكون وزير خارجية بلد آخر، أي وزير خارجية بلد أكبر وأكثر قدرة على القرار؟

ـ طبعاً. كل شخص حين يكون في وضع يشعر فيه بأنه معطل لأن إمكاناته ضئيلة ولأن ظرفه يخنقه ولأنه محاصر يتمنى أن يكون في ظرف أفضل أو يتحدث باسم بلد أكبر. هذا نوع من الأحلام. على كل حال لا أحد يمنع المرء من الأحلام إذا أراد، كل واحد منا يمر عليه ظرف فيجرب أن يحلم حتى بأن ينقذ نفسه من سوء الواقع أو البؤس الواقع فيه. ولكن هذا الشيء لا قيمة له إلا إذا كان من قبيل الحلم.

حاجة ملحة لمصالحة وطنية فعلية وتصحيح التطبيق

يحاكم فؤاد بطرس الكلمة قبل أن يطلقها ويسارع إلى ضبط اندفاع ذاكرته إذا نجح سؤال في إثارتها. هاجس الدقة والمسؤولية يمنعه من إطلاق الأحكام المبرمة في المواضيع الخلافية. وصورة رجل الدولة تمنعه من رشق السهام فيفضل الإشارة على التهم التي تفتح الجروح. متعب لجيل الصحافيين الذي جاء مع الحرب واعتاد محاورة الصقور الذين يفوق مدى تصريحاتهم مدى مدافعهم. إنه ابن مدرسة ثانية وأسلوب آخر.

اعترف الوزير القارئ بأنه فوجئ بسرعة التغييرات التي ضربت المشهد الدولي مع وصول ميخائيل غورباتشوف إلى مكتب جوزف ستالين. واعتبر أن صورة الوضع الدولي لم تستقر بعد، خصوصاً في ضوء يقظة المشاعر القومية وأزمات الهوية. ولم يخفِ شعوره بالقلق من الجزء الباقي من التسعينيات العربية إذا تصاعد التمزق القائم بين المتشددين وخصومهم.

■ هناك تباين حول ما وصل إليه اتفاق الوفاق خصوصاً لجهة التنفيذ، فما رأيكم؟

ـ في الماضي كان لا بد من طائف ما لوضع حد وأرضية وانطلاقة جديدة، طبعاً كان المبتغى والمرتجى أن يكون هناك وفاق بالمعنى الصحيح وأن يتناول الاتفاق كل الأمور التي من الممكن أن تحدث في لبنان، وبعد وقف الحرب لم يحصل هذا الأمر، إذن جاء الطائف وأوقف الحرب ووضع هيكلية لجمهورية ثانية جديدة في خطوطها الكبرى وبعض النقاط، خصوصاً في ما يتعلق بتوزيع الصلاحيات، ورأى أن الوفاق واقع عن طريق الاتصال والمونة عليه. وفي الحقيقة لم يحصل وفاق لأن الوفاق يفترض أن يكون هناك بحث في العمق في الأمور والمواضيع وتفاهم على كل شيء.

وقد تفاقم هذا بعد اتفاق الوفاق عن طريق التطبيق، لأن التطبيق الذي حصل يدل على أن الروح التي كان من المفترض أن تسود في الاتفاق وتنفيذه قد منعوها، وأصبح هناك بعض التحويل عن طريق التنفيذ، ودائماً في اتجاه واحد، هذا أمر لا يقبل الجدل، وكان الخاتمة في الانتخابات الأخيرة قمة هذا الانحراف. واليوم مهما كان موقف الإنسان لا يستطيع إذا لم يشأ أن يواجه الحقيقة إلا أن يعترف بأن المجلس لا يمثل جميع اللبنانيين خصوصاً أنه لا يمثل التيار المسيحي. فالتمثيل المسيحي في المجلس لا يتناول ١٠ أو ١٥ في المئة من الرأي العام المسيحي. هذا ليس صحيحاً ولا يمكن أن يُبنى عليه

القول بأن هناك تفاهماً ومصالحة ووفاقاً وانطلاقة. وإن كان سيحصل شيء من هذا، ولا بد أن يحصل، ليس من الممكن أن يقتصر البحث على العناصر الموجودة في المجلس وهي موجودة في الحكومة الحالية مع تقديرنا واحترامنا لأكثرية أعضائها ومن جميع الطوائف، هناك عدم توازن في الحكومة الحالية. وإذا لم تجابه الحكومة الحالية بإعاقة ومعارضة شديدة من الفريق الذي يتحدث عن الخلل في التوازن فإن ذلك يرجع إلى وجود ثقة في شخص رفيق الحريري وتهيّب للظرف الحاضر وبالتالي إفساح المجال أمام العمل على التصحيح أو إكمال ما لم يحصل في الماضي. الجميع متفقون حتى اليوم على أنه يجب أن يحصل وفاق ومصالحة حقيقية، وهذا يفترض اتصالات واجتماعات وأخذ جميع الأطراف في الاعتبار إلا الذين لا يرغبون في ان يبحثوا في التسوية أو بالوفاق ضمن هذا الإطار السياسي. وإذا حصلت معالجة من زوايا صحيحة وتدل على عدم انحياز ربما لا يبقى أحد خارج التفاهم، على كل حال إذا بقي أحد خارجاً يكون عندئذ هو الذي اختار.

■ الشعور بالخسارة لدى بعض اللبنانيين يكاد يتحول عقبة أمام الانفراج الدائم والراسخ. فكيف تنظرون إلى هذه المشكلة؟

ـ أولاً يجب أن نفسر لماذا هناك شعور بالخسارة. الخسارة تقاس بين ما كان يهدف إليه الفرد أو المجموعة وما يحصل

عليه. الأطراف المتشددة في الوسط المسيحي كان لها في الواقع أهداف غير واقعية بالنسبة إلى الإطار الإقليمي والدولي وبالنسبة إلى المعادلات الداخلية. كان لا بد من أن تخسر لأنها لم تكن واقعية. وكانت لها قراءة خاطئة للمعادلات الداخلية والخارجية وكان لا بد من أن تقع الخسارة للأسف وعبثاً حاول البعض، وأنا واحد منهم، لفت النظر إلى أن هذه التصورات لا علاقة بينها وبين الواقع والإمكانات، إذاً هذا هو سبب شعورهم بالإحباط وبالخسارة. وهناك اعتبار ثان بالنسبة إلى الخسارة، في نظر الواقعيين فإن الخسارة كانت ضمن حدود اللعبة السياسية بينما في نظر غير الواقعيين كانت كارثة، وأنا أعتقد بأنه يجب تصحيح هذه الصورة ولكن الذي جعل الشعور يترسخ ويميل نحو الهزيمة والكارثة بدل الخسارة وإعادة التقويم للمعادلات الجديدة هي مرة ثانية الطريقة التي طبق فيها اتفاق الوفاق، وكأن العملية هي عملية استغلال سريع ومن دون هوادة لانتصار يجب أن تقطف ثماره بأسرع ما يمكن على حساب أي شيء آخر، وبالإضافة إلى ذلك وما عزز هذا الانطباع عند الفريق الذي يعتبر نفسه مغبوناً هو غياب الرعاية العربية لاتفاق الوفاق. كل هذه الظروف والاعتبارات جعلت هذا الشعور ينمو ويترسخ، فالحكومات شكلت من زاوية لا تمت بصلة إلى التوازن المعروف الذي كان من المفروض أن يستمر إلى أن يستبدل بآخر. وبصورة إجمالية كان هذا الشعور، ليس عند المسيحيين فقط بل عند الجميع. لكن المسيحيين لاعتبارات

متعلقة بهم، يعبّرون عنه، أما الباقون فيلمّحون إليه أو يسكتون عنه، وهو أن مركز القرار في لبنان غير موجود وإنه أصبح في الخارج وأن رجال السياسة اللبنانيين من أكبرهم إلى أصغرهم، إذا أرادوا الاستمرار على هذا المنوال كانت النتيجة وجود أجهزة للتنفيذ وليس للقرار والتقرير والتخطيط، وكي يزول هذا الشعور يجب تطبيق الآتي: أولاً أن تتعامل الدولة مع أطراف الفريق المسيحي، خصوصاً الذين لم يتورطوا في مواقف متطرفة ولكن كان لديهم نوع من القناعات والمسلمات والثوابت وقفوا عندها بعيداً عن التطرف والاستغلال الطائفي، وهي تتعلق في النتجية بلبنان وكيانه ومستقبله، وعلى الدولة أن تسعى لاستقطاب الأطراف بدل أن تسارع إلى صدهم ورفضهم وكأنها تدفعهم تماماً إلى خارج اللعبة. ويجب على الفريق المسيحي أن يشعر بأنه لا يزال هناك رجال سياسة في لبنان قادرون على التخطيط للبنان ولمستقبله وللسياسة اللبنانية من دون أن يكون هذا التخطيط خاضعاً لقرارات تتخذ في الخارج ومن دون أن يكون موجهاً من حيث المبدأ ضد أي كان، خصوصاً ضد سورية، لأن التنسيق ضروري. ولكن المهم في الموضوع أنه في معرض التنسيق وتحت إطار التنسيق ذهبت الحكومة والتيارات السياسية الموجودة اليوم على الساحة بعيداً جداً بشكل أصبح لا مجال للتنسيق بل أصبح هناك مجال لتنفيذ ما يخطط. يجب أن يكون للسلطة اللبنانية والسياسيين اللبنانيين دور للتصور ودور في الحوار على قدم المساواة من حيث

المنطق وليس من حيث القوة العسكرية أو القوة السياسية. طبعاً سورية أقوى منا بكثير وليس المطلوب أبداً أن يكون الحوار مشاكسة لسورية أو محاربة لها أو منافسة معها. هناك حقول لا يجوز للبنان إلا ان يكون متضامناً مع سورية فيها، مثلاً المفاوضات لحل أزمة الشرق الأوسط ومثلاً أيضاً المواقف بالنسبة إلى السياسة الدولية والاستراتيجية العالمية. العلاقة مع سورية والتنسيق يجب ألا يحرما السلطة اللبنانية من القدرة على التحرك. وهذا الأمر هو لمصلحة البلدين على المدى البعيد. وليس من المفروض بسورية ولا بالولايات المتحدة أو بأي دولة أخرى أن تحل محل اللبنانيين أو رجال الحكم في لبنان لأخذ المواقف السياسية، طبعاً يجب أن يحصل التنسيق مع سورية، خصوصاً في مجالات معينة، وواضح أن سورية أقوى بكثير من لبنان خصوصاً في الظرف الحاضر، وأن كلمة سورية ستكون راجحة، لكن ثمة فرقاً بين أن تكون الكلمة راجحة أو أن تكون هي الوحيدة المسموعة. أخشى أثناء الحوار بين لبنان وسورية أن يستمع لبنان وسورية تملي، وهذا ليس لمصلحة سورية ولا لمصلحة لبنان، إذا حصلت هذه الأمور وتبين أنها تحصل، وأعتقد بأن الإخوان في سورية من دون شك يتفهمون هذه الأمور مما يساعد على تجاوز هذا الشعور عند فريق من اللبنانيين. التصحيح يعزز الصداقة اللبنانية ـ السورية ويجعل اللبنانيين يتمسكون بصداقة سورية والأخوّة معها، ليس لأن سورية أقوى وأقدر بل لأن سورية مفيدة للبنانيين ولأن عنصر

التفاهم غير ناتج فقط من معادلة قوة بل من معادلات نزيهة ومصالح متبادلة وقناعة.

■ **هناك حديث اليوم عن تركيبة ثلاثية سنّية ـ مارونية ـ شيعية بدلاً من اللقاء الماروني ـ السنّي الذي استندت إليه الجمهورية الأولى؟**

ـ لا ريب في أن اللقاء الثنائي مر عليه الزمن وزال في رأيي، شئنا أم أبينا. وأنا لا أتحسر عليه وأعتبر أن العوامل الديموغرافية والتطور في الحياة واعتبارات أخرى تدل على أن هذا التلاقي الثنائي الذي كان حاكماً لم يكن من الممكن أن يستمر إلى أبد الآبدين. واليوم هناك ترتيبات تحصل لإنشاء صيغة ثلاثية مع أنه في اتفاق الوفاق كانت توضع ترتيبات لارساء حكم جماعي عن طريق مجلس الوزراء. لا يقدر الفرد أن يكون بعيداً عن الواقع إلى درجة أن يعتبر، رغم كل شيء يمكن أن يكتب في النصوص، بأن الرقم ١٠ يساوي الرقم ٣، فالذي معه ٣ في جيبه لا يمكن القول بأنه معادل للذي معه ١٠، إذاً الطوائف الثلاث الموجودة بالأكثرية على الأرض، وهي هذا الثلاثي، لا بد أن تكون محور الحكم الجديد. وأعتقد بأنه حتى الآن لم يحصل أي شيء ثابت في هذا الموضوع باعتبار أن أي أسس جديدة للحكم والمعادلات الحكومية والتوازنات تحتاج إلى بعض الوقت من «الروداج» حتى تستقر.

مع الإشارة إلى أن الدور الماروني في هذه السياسة الذي هو

دور المسيحيين إجمالاً يبدو وكأنه موضوع تساؤلات أو مهدد بأن يتضاءل، وهذا أيضاً من أحد الأسباب التي تجعل بعض الأوساط تتحدث عن هواجس وتخوف.

■ يحكى الكثير عن مسؤولية الموارنة في انهيار الجمهورية الأولى؟

ـ في كل مصيبة أو هزيمة هناك مسؤول، واليوم الاتجاه هو لتحديد المسؤولية. ولكن المنطق والصدق يفرضان ألّا نعتبرهم مسؤولين وحدهم. إنهم يتحملون مسؤولية بقدر ما كان لديهم من صلاحيات، إذاً مسؤوليتهم أكبر من غيرهم. ولكن أحداث لبنان لا تعود في كليتها إلى تجاوزات الموارنة وإلى سوء ادارة البعض من أركان الموارنة. إن مشاكل لبنان تعود إلى أسباب موضوعية سياسية إقليمية دولية والى أسباب خارجية وداخلية أخرى، لا أعتقد بأن الطوائف التي كان لها يد في الإدارة، وبصورة خاصة الثنائي السنّي والماروني، غير مسؤولة، لا يجوز أن نعتبر بأن السنّي كان بريئاً من الأخطاء التي حصلت، طبعاً في الداخل إذا أردنا أن نحصر العملية بالأخطاء في الإدارة والحكم فإن الموارنة يتحملون المسؤولية أكثر من غيرهم ولكنهم لا يستأثرون بهذه المسؤولية كلها إنما أحداث لبنان مرتبطة بأحداث المنطقة وبالتباينات التي حصلت والوجود الفلسطيني الكثيف في لبنان وما أدى إليه من نتائج بالنسبة إلى الدول العربية والفلسطينيين وأهدافهم، وبالنسبة إلى إسرائيل

التي استفادت من العملية واستغلّتها، هناك أطراف كثيرة لعبت بلبنان وحاولت ان تزعزع استقراره وتقلب أوضاعه وهذه قصة طويلة. إذا نظرنا إلى القضية من زاوية الحكم ومسؤوليته فمن دون شك يتحمل الموارنة المسؤولية أكثر من غيرهم في الماضي، ولكن غيرهم يتحمل المسؤولية أيضاً.

■ هناك فراغ سببه غياب الأقطاب التقليديين، فهل عثرت الجمهورية الثانية على أقطابها؟ وبمَ يعوض هذا الفراغ؟

ـ من الصعب أن أعطيك جواباً عن هذا السؤال في الوقت الحاضر. إجمالاً هناك فراغ في لبنان لأن الذين اعتدنا أن نسميهم أقطاب السياسة هم اليوم مفقودون من دون أن أمس أحداً ومع احترامي لجميع اللاعبين على الأرض السياسية. الظروف قضت بأن يتقلص دور الجميع وما يمكن أن يحصل في المستقبل لا أستطيع أن أعرفه. رفيق الحريري كان محط أنظار قسم من اللبنانيين وقسم كبير منهم على أساس أن مجيئه يؤمن أمرين: بعض النزاهة والنظافة في الحكم والناحية الاقتصادية، وحتى الآن في نظر أكثرية اللبنانيين وربما عامة اللبنانيين، وعن حق أو عن خطأ، رفيق الحريري بنظرهم هو في فترة الاختبار، ويمكن إذا نجح في حكومته وتصرّف على صعيد سياسي بشكل يريح الجميع، وإذا كان صاحب نهج جديد فعّال أن يصبح في نظرهم قطباً سياسياً. ولكن حتى الآن رفيق الحريري في نظر

اللبنانيين إجمالاً هو رجل أعمال ناجح يبشر بالنزاهة في الحكم ويريد أن يعالج المواضيع الاقتصادية والاجتماعية. أتأمل أن يتصدى لمسائل الوفاق والتسوية والحوارات، وإذا وُفّق واستطاع أن يسجل نتائج فعندئذ يمكن أن تختلف الصورة.

■ هل أخطأت خلال ممارستك السياسية الطويلة؟

ـ جلّ من لا يخطئ، الفارق بين سياسي وآخر ليس بأن أحدهما أخطأ والآخر لم يخطئ بل هو من أخطأ أقل من الثاني، فجميعنا نخطئ، والذي يستعرض حياتي السياسية ومواقفي اليوم، هناك شيء واحد لا يجعلني أندم على ما فعلته هو أنني كنت دائماً منسجماً مع قناعاتي ومع ضميري، ربما أخطأت بقناعاتي بعض الأحيان، فلا أحد معصوم من الخطأ. ولكن بقدر ما يوفّق الإنسان بين قناعاته وضميره وحسه الوطني والخلقي يكون مرتاحاً، ولا بد من بعض الأخطاء أحياناً لأنه إذا لم يوجد الخطأ لا وجود للصواب، لذا أستطيع القول إنه لم يحصل في حياتي ان تحركت في حياتي السياسية بدوافع غير سليمة أو تحكمت بي الأنانية والرغبة في الوصول إلى المصالح الشخصية، لو كنت أنتمي إلى طائفة كبيرة لربما كنت تأثرت أكثر ولكنني أنتمي إلى طائفة ليست بأكثرية وحدود طموحها في السياسة معروفة. تمكنت بفضل الله من أن أوفّق بين قناعاتي وبعض الثوابت في فكري وضمن مجال عملي السياسي، وإذا أخطأت أتمنى ألا أكون قد أسأت إلى أحد.





فؤاد بطرس في حديث مع المؤلف



فؤاد بطرس وفؤاد شهاب وصبري حماده وصائب سلام

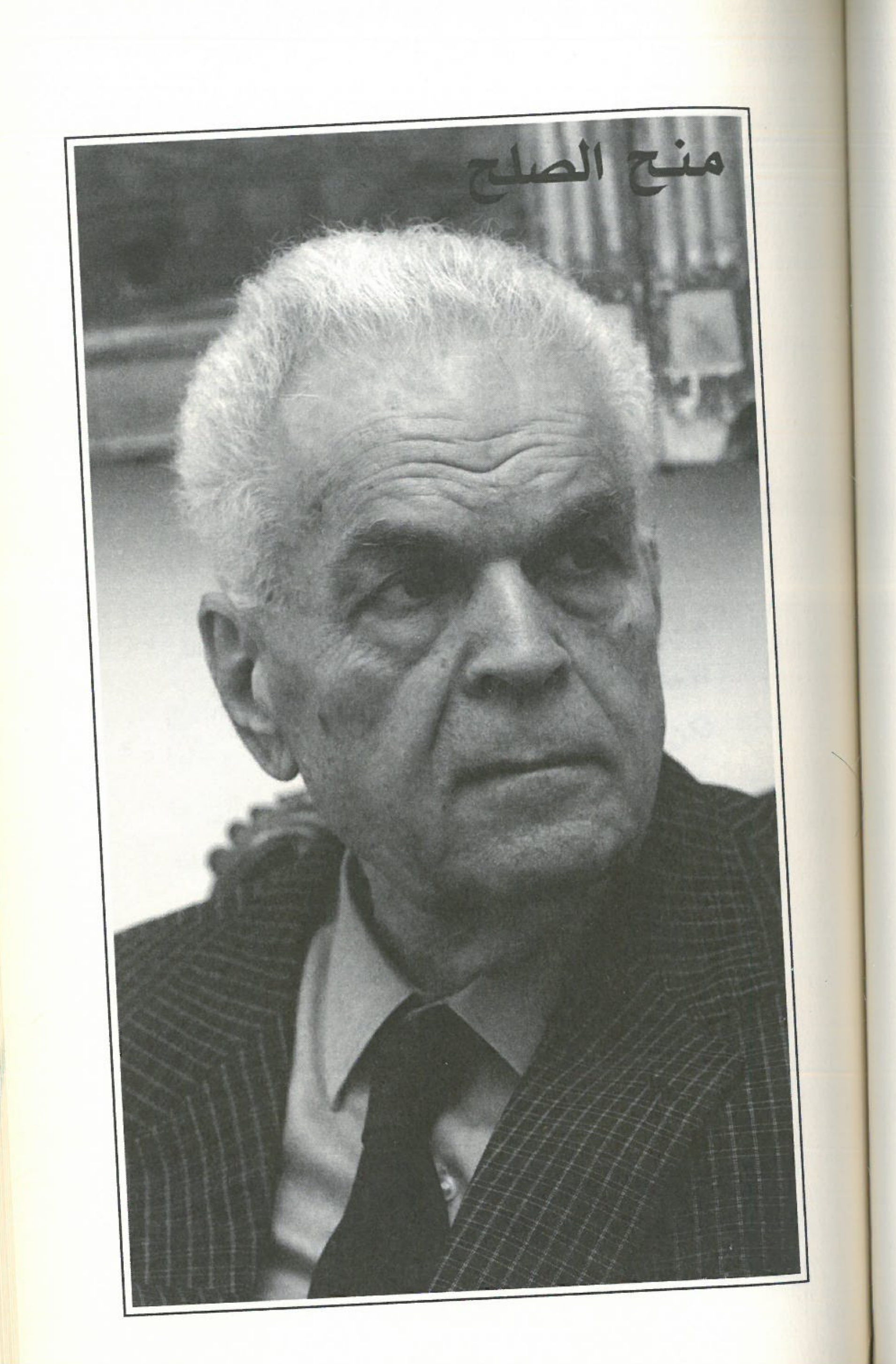


فؤاد بطرس مع سليم الحص





فؤاد شهاب مع جمال عبد الناصر


منح الصلح

منح الصلح: عبدالناصر كان الحليف الأمني الأول لفؤاد شهاب

منذ أيام فؤاد شهاب حرص الرؤساء اللبنانيون على الاستماع إلى وجهة نظر منح الصلح حتى حين لم تكن له بالعهد صلة رسمية أو صلة صداقة. وكانوا يشعرون بأن منحاً يملك دائماً ما يضيفه إلى ما يسمعه الرؤساء من مستشاريهم. فعلاوة على انتمائه إلى عائلة ساهمت في صناعة الوطن المستقل وإدراك سره، وكان يحلو لعمه الرئيس تقي الدين الصلح، أن يشدد على هذا السر، فإن منح ومن موقعه الفكري والسياسي كان قادراً على الإحاطة بما يعتمل في المحيط العربي.

بلغت علاقة منح الصلح بالرؤساء حدود كتابة خطبهم. وهو يتحدث عن فن في الكتابة هو الكتابة للرؤساء والتي تستدعي من كاتب الخطاب «أن

يتلبس شخصية الرئيس إلى درجة الذوبان فيها».
ويروي أيضاً كيف تسربت مقدمة خطاب كتبه مع عمه تقي الدين لفؤاد شهاب ونُشرت قبل أن يقرأ الرئيس الخطاب، الأمر الذي استلزم التعديل.

يتحدث منح الصلح عن ولادة تعبير «الحل الشهابي» و«الشهابية» وهو لعب دوراً في تسويقه بوصفه آنذاك مدير الإرشاد والتوجيه في وزارة الأنباء (الإعلام حالياً). ويكشف عن مرتكزات الشهابية في الداخل والخارج مشيراً إلى أن فؤاد شهاب كان ميالاً إلى المعارضة في ثورة ١٩٥٨. ويتوقف عند ثلاث مراحل في عهد فؤاد شهاب كانت الأخيرة حين ردت الأجهزة السياسية والعسكرية المرتبطة بالرئيس على محاولة الانقلاب التي نفذها الحزب السوري القومي الاجتماعي بانقلاب جعل الشهابية كأحد نماذج الحكم العربي في الدولة المحيطة.

ويشكك منح الصلح في شهابية الرئيس شارل حلو واصفاً شهابيته بأنها نوع من التوازن بين الشهابية ونقيضها.

■ **ما هي الشهابية وما هو مفهومها؟**

ـ الشهابية ككلمة ظهرت أول ما ظهرت في مقال للأديب الفرنسي بيار ليوتيه وهو عضو في الأكاديمية الفرنسية. جاء إلى

لبنان في أول عهد الحكم الشهابي وكرّمه الرئيس فؤاد شهاب، وذهب إلى باريس وكتب مقالاً عنوانه «الحل الشهابي». وهذا المقال أهميته في عنوانه، أما فحواه فلا تنطبق على الوضع اللبناني، لأنه مبني على دعوة فرنسا إلى حل المشكلة بين الجزائريين والفرنسيين على قاعدة التفاهم بين الإثنين وتساهلها، وقال لماذا لا تطبقون هذه الفكرة نفسها التي طبقها الرئيس فؤاد شهاب بين المسيحيين والمسلمين على الجزائر. إذاً المقال لا علاقة له أبداً بالموضوع. كنت في ذلك الحين مدير الإرشاد والتوجيه في وزارة الأنباء اللبنانية وكتبنا سلسلة أحاديث أذيعت في الإذاعة انطلاقاً من كلام هذا الفرنسي لنشرح ما هو الحل الشهابي. وكان لي حديثان إذاعيان، **الأول** عنوانه الحل الشهابي **والثاني** عنوانه الشهابية شرحت فيهما نظرة فؤاد شهاب إلى طريقة الرد على الحرب اللبنانية التي كانت قد حدثت وعرفت بـ «ثورة ١٩٥٨».

وقلت إن فلسفة الحكم الشهابي هي إلغاء الوساطة التي كان يشكلها الطاقم السياسي اللبناني بين الحاكم والمواطن العادي. فإلغاء الوساطة عن طريق إقامة مجلس الخدمة المدنية وأجهزة الرقابة والإصلاح الإداري التي من شأنها إبطال ضغط الشارع لحل المشكلات وتأمين المصالح يتم عن طريق الخروج على القانون وإقامة علاقة مباشرة بين رئاسة الجمهورية والمواطن العادي على حساب هذه الطبقة التي تسميها بعض الأدبيات الفرنسية «أمراء السياسة» أو «الوسطاء». وظهرت أيضاً في

أحاديثي إضافة إلى إلغاء الوسيط بين الحاكم والمواطن، فكرة ثانية هي الاهتمام بالمناطق البعيدة عن العاصمة لأن هذا الاهتمام، إضافة إلى كونه حقاً هو أيضاً كسب هذه المناطق إلى لبنان. فهي لبننة. وهذه الفكرة، فكرة اللبننة أو الولاء للبنان، عند الأرياف اللبنانية، هي قضية أثبتتها الحرب اللبنانية التي في نهايتها (١٩٥٨) جاء وسيط أميركي إلى لبنان هو روبرت مورفي كتب في ما بعد كتاباً سماه «مهمة من أجل السلام»، قال فيه إنه لاحظ في مناطق معينة وجود أعلام لبنانية مرفوعة وفي مناطق أخرى الأعلام اللبنانية غير مرفوعة. ولاحظ أيضاً أن المناطق التي رفعت فيها الأعلام اللبنانية هي المناطق الغنية نسبياً والمناطق التي لم ترفع الأعلام هي مناطق محرومة.

أما الفكرة الثالثة فهي المناصفة بين المسلمين والمسيحيين في الوظائف الإدارية. فما حققه اتفاق الطائف وهو المناصفة في مجلس النواب بين المسيحيين والمسلمين لم يحققه فؤاد شهاب الذي حافظ باستمرار على المعادلة القديمة وهي ٦/٥ في مقاعد مجلس النواب واقتصار المناصفة على الوظائف الإدارية، نصفها للمسيحيين ونصفها الآخر للمسلمين. وهذه كانت من نتائج «ثورة ١٩٥٨». وهو قال بهذا الأمر.

الفكرة الرابعة هي أن كل شيء يحصل في لبنان يجب أن يكون بالاتفاق والوفاق بين المسلمين والمسيحيين. وكان كلما التقى بي أو بعمي تقي الدين الصلح قال لي أو له هذه الفكرة أخذتها

عنكم يا آل الصلح لأنكم أنتم أول من قال بها وبالميثاق.

المهم أن ما أردت قوله هو أن فؤاد شهاب كان قبل أن يستند إلى اللبنانيين أنفسهم، يستند إلى رأي عام دولي يعتقد بعد حصول الوحدة بين سورية ومصر بأنه لا بد من تحصين لبنان بنوع من الإصلاحات. فكان هناك تأييد دولي لفكرة إحداث إصلاحات في لبنان تحميه من السقوط أمام جاذبية الناصرية والحكم الناصري بالنسبة إلى قطاعات واسعة من اللبنانيين، وهناك نوع من الميثاق الاجتماعي في لبنان يلتقي فيه الجميع على فكرة إنعاش لبنان اقتصادياً وتوزيع الاقتصاد بشيء من العدالة النسبية بين كل مناطقه.

هذه الفكرة جاء من أجلها الأب لوبريه ومن ثم بعثة إيرفد. ولهذه قصة: الأب يوحنا مارون مدير مدرسة الحكمة سابقاً دعاني مرة مع تقي الدين الصلح إلى أوتيل «البريستول»، وتعود معرفتي به إلى أيام دراستي في فرنسا عندما كنت أتردد هناك على البيت اللبناني الذي كان مسؤولاً عنه. قال لنا الأب يوحنا مارون إنه يودّ مقابلة الرئيس شهاب حتى يقول له إن هناك شخصاً هو الأب لوبريه لديه تجربة نجحت في إندونيسيا وهو يلقى دعماً من الفاتيكان والبابا، ويستطيع أن يُجري في لبنان مسحاً للوضع الإنمائي ويقدم التوجيهات والمقترحات الاجتماعية الضرورية. لكن مجلس التصميم (وزارة التصميم) حاربها آنذاك وعلى رأسه جوزف نجار. وعزوا معارضتهم إلى

أن الأب لوبريه غير متخصص في الاقتصاد فلماذا الاستعانة به. إلا أن فؤاد شهاب أخذ بالاقتراح فأعد الأب لوبريه دراسات كانت أساساً تمهيدياً لبعثة إيرفد.

كان الرئيس شهاب يقول، وهذا جزء من فلسفته، إن أفكار الأب لوبريه التي هي أفكار إصلاحية إذا لم تأتِ على لسان خوري كاثوليكي وفرنسي فإن اللبنانيين لن يأخذوا بها.

كان مجيء الأب لوبريه إلى لبنان ضرورياً جداً ليس بالنسبة إلى أهمية هذا الأب بالذات، بل أيضاً بسبب رغبته في سلوك الطريق من أبوابها، أي أن تأتي النصيحة للطبقات الميسورة من اللبنانيين بالإصلاح والعدالة الاجتماعية من الخوري الكاثوليكي الفرنسي الذي لا يمكن أن يكون موضع تشكيك عندهم ولا حتى اتهامه باليسار نظراً إلى راديكالية المطالبة بالإصلاح آنذاك والتي كانت تخيف تلك الطبقات الميسورة. كان الرئيس شهاب يسعى إلى إقناعها بعدالة هذا المطلب من حيث يمكن أن تقتنع، كما كان يهتم أيضاً نتيجة لذلك بما اهتم به الفاتيكان بعد الحرب العالمية الثانية وهي «الديموقراطية المسيحية». فكان البابا يدعم الأحزاب المسيحية التي كانت تؤمن بشيء من التطور. وعن هذه الطريق حضر الأب لوبريه إلى لبنان ومن بعده بعثة إيرفد.

■ ماذا كان تعليق فؤاد شهاب على تسمية «الشهابية» وعلى المقال الفرنسي «الحل الشهابي»؟

ـ سُرّ كثيراً بما سوّقنا إذاعياً عن الشهابية. وعندما تسلم ذلك المقال لفت نظرنا إلى مسألة الحل الشهابي. وكان يعجبه هذا التعبير وتسمية «الشهابية».

■ ما هي مراحل حكم الرئيس شهاب؟

ـ هناك ثلاث مراحل: **الأولى** عندما كان قائداً للجيش يحاول أن يبني لنفسه صورة امتدت من آخر أيام الرئيس بشارة الخوري إلى حين انتخابه. كان يريد أن يبني نفسه كأمل للبلاد. ثم مرحلة **ثانية** هي من تاريخ انتخابه حتى حصول الانقلاب الذي نفذه عليه الحزب السوري القومي الاجتماعي منتصف ليل ١/ ١/ ١٩٦٢. يومها كان مجموعة أحلام وآراء وطموحات وكان يركز على مفاهيم الشهابية لبناء الدولة والنظام. فمرحلة **ثالثة** إثر فشل ذلك الانقلاب إلى نهاية ولايته. في هذه المرحلة هناك انقلاب فشل، هو انقلاب الحزب السوري القومي الاجتماعي وانقلاب نجح هو انقلاب فؤاد شهاب نفسه على نفسه. بحجة ذلك الانقلاب حصل الانقلاب الشهابي، انقلاب الأجهزة السياسية والإدارية والعسكرية المرتبطة بفؤاد شهاب متذرعة بفشل الانقلاب لتحقق مشروعاً جديداً، هو ظهور فؤاد شهاب آخر، وعهد رئاسي جديد يفرض رأي الدولة برسائلها القوية والنافذة، الأمر الذي أفقد فؤاد شهاب ذلك النقاء الذي كان يتسم به مطلع عهده وتلك الصورة المثالية عن الرئيس كشخص، فأصبحت «الشهابية» كأحد نماذج الحكم العربي

الموجود في الدول العربية المحيطة بلبنان الذي هو خليط من المبادئ المثالية وتصرفات الأجهزة وسلوكها والطبقات السياسية الجديدة الناتجة من تلك الأجهزة أو المنبثقة عنها في السلطة.

■ **هل كان شهاب راضياً عن ذلك الانقلاب؟**

ـ كان عنده حدس كبير ومستشارون سياسيون، أبرزهم تقي الدين الصلح وفيليب تقلا الذي كان يعتبره خبيراً في الأمور الاقتصادية، والياس سركيس وأحمد الحاج (وهما من أعوانه)، إضافة إلى أجهزة المكتب الثاني وعلى رأسها أنطون سعد.

■ **هل كان لفؤاد بطرس دور أساسي في تلك المرحلة؟**

ـ في البداية لا، لكنه سرعان ما تدرج في سنوات العهد التالية. ولا أعتقد بأنه كان له دور كبير في فكر فؤاد شهاب وتوجهاته.

■ **وشارل حلو؟**

ـ كان من المستشارين، ولكن لم يكن بينهما قرب شخصي علماً أن شهاب كان يصغي إلى رأي شارل حلو. وكان المكتب الثاني أحياناً يقدم للرئيس شهاب شخصيات على أنها خبراء. جوزف نجار كان له دور وهو من المستشارين، وانتندان ليه وهو جنرال فرنسي متقاعد كان مراقب الحسابات في الجيش اللبناني ووظّفه في القصر الجمهوري موكِلاً إليه التنظيم الإداري. وقد جاء به الرئيس شهاب إلى القصر بعد انتخابه

وكانا معاً في الجيش اللبناني. وكان تفكيرالرئيس شهاب وعقله يتسم بالتنظيم: فقد قسّم النفوذ في البلد، القرار السياسي مرجعه الولايات المتحدة، والأمن والعلاقات العربية للمكتب الثاني وجمال عبدالناصر وأجهزته.

كان الرئيس المصري حليفه الأمني الأول. في الإدارة اعتمد على الخبراء الفرنسيين في تنظيم الوزارات وأجهزة الرقابة والمسح الاجتماعي والإصلاح الإداري. ويقال إنه أعطى لبريطانيا الاقتصاد في الفترة التي كان يتكل فيها على «بنك انترا» وصاحبه يوسف بيدس صاحب الصلات البريطانية القوية. كان في عهده يوزع الحصص.

■ **ما كان دور عمك تقي الدين الصلح عند فؤاد شهاب؟**

ـ كان تقي الدين يعرف فؤاد شهاب قبل وصوله إلى السلطة. في «ثورة ١٩٥٨» كان شهاب على علاقة معه ويصغي إليه عند اتخاذه القرار السياسي على رغم الحذر والتحفظ اللذين يطبعان شخصية فؤاد شهاب المتردد والقليل الثقة بنفسه في المرحلة الأولى عندما كان الأمر يتصل بالرأي السياسي. وكان الرئيس شهاب يطمئن إلى عمي تقي الدين وإلى صديقه علي بزي، وهما كانا يترددان عليه.

■ **وما كان دورك أنت؟**

ـ كنا ثلاثة تقي الدين الصلح وعلي بزي وأنا عندما كان قائداً

للجيش في أثناء «ثورة ١٩٥٨». تعرفت إلى فؤاد شهاب بواسطتهما. يومها قال لي إنه يعتزم إصدار نشرة (مطبوعة) خاصة بالجيش اللبناني توزع على العسكريين لشرح موقفه من أحداث «ثورة ١٩٥٨» وإصراره على حياد الجيش بين رئيس الجمهورية كميل شمعون والثوار، ومع أنه كان يقول إنه على الحياد في الثورة أعتقد بأنه لم يكن كذلك، بل كان ميالاً أكثر إلى المعارضة. كان ضد رأي الرئيس كميل شمعون بضرب المناطق الإسلامية كالبسطة لحسم الموقف لمصلحته، وذريعة فؤاد شهاب آنذاك هي أن من شأن ذلك تقسيم الجيش، والمطلوب في رأيه إبعاده عن الخلافات السياسية. يومذاك طلب مني إعداد النشرة التي تشرح موقفه من الثورة وتبرر له هذا الموقف. كان يريد أن يوصل إلى الرأي العام اللبناني انطباعاً بأن ما يقوم به مشابه لما تعتمده فرنسا في الجزائر. أي ما كان يقوله أمامي طريقة «القصبة»، وهو تعبير جزائري عُرف في أثناء الثورة الجزائرية بالتسمية ذاتها عند الفرنسيين، أي أن الجيش الفرنسي كان يحاصر الأحياء القديمة الثائرة في الجزائر منعاً لتسرب الثورة إلى خارج تلك الأحياء وتعميمها. كذلك كان يمنع على هذه الأحياء أي إمدادات. لا يدخل، إليها أحد ولا يخرج منها أحد. فؤاد شهاب أخذ بهذه الطريقة. المناطق اللبنانية الملتهبة كان يعزلها ويطوّقها بزنار من الجنود من دون أن يدخل إليها الجيش. وكان يمنع في المقابل على الثوار تسلم أي مخفر أو مبنى رسمي أو مركز حكومي، بل يدافع بشدة عن

مباني السلطة ومنشآتها ويحول دون تمدد الثورة إلى خارج نطاقها وأحيائها. كان فؤاد شهاب يردد تكراراً هذه اللفظة «القصبة» ونريد أن نتبع هذه الطريقة للفصل في الثورة لئلا تتوسع. كان فؤاد شهاب ذا ثقافة فرنسية يستخدم كثيراً في كلامه صوراً مرتبطة بالثقافة الفرنسية في معرض تعبيره عن فكرة معيّنة. وأسرد حادثة تشير إلى اعتقادي بأنه لم يكن محايداً في «ثورة ١٩٥٨»، وهي ان الرئيس شهاب أوفد علي بزي في بدايات الثورة إلى كمال جنبلاط الذي قاد الثورة آنذاك ليبلغه أنه في حال صعّد الثورة فإنه، أي فؤاد شهاب، لن يتعرض له ولا يرى أن واجبه هو التعرض له. ونقل إلي هذه الحادثة علي بزي نفسه الذي أخبرني أن كمال جنبلاط طلب إليه أن ينقل إلى الرئيس شهاب أن معه ٦٠ مسلحاً فقط وهو لا يستطيع أن يقود بهم ثورة. في رأيي أن فؤاد شهاب كان يريد أن تكون المعارضة للرئيس شمعون قوية.

■ من كان يكتب الخطب لفؤاد شهاب؟

ـ عمي تقي الدين الصلح وأنا. في مرحلة معيّنة اشترك غيرنا في إعداد بعض الخطب. لكننا كنا المكلفين هذا الأمر. كان يكتفي بالطلب إلينا كتابة خطاب عن هذه المناسبة أو تلك ولا يتدخل في النص، ولا حتى يزوّدنا أفكاراً، ولا يشترك في الكتابة. هناك فن في الكتابة هو الكتابة للرؤساء كفن الرواية أو الشعر أو القصة أو المسرحية أو القصة. والكتابة للرؤساء

تقضي بكاتب الخطاب أن يتلبس شخصية الرئيس إلى درجة الذوبان فيها. مثلاً فؤاد شهاب لم يكن يعرف التكلم مع محاوريه ولا الخطابة، بالكاد يقرأ العربية. ولذلك كان يصر على إعطاء انطباع عنه بأنه لا يحب الكلام. في أول خطاب رئاسي له في مجلس النواب قال: «من مقر قيادة الجيش حيث الصمت حليف الواجب إلى منبر هذه الندوة حيث الكلام هو السيد مسافة هي أصعب ما اجتزت في حياتي...». هذه العبارة التي كتبتها مع عمي تقي الدين كانت بداية الخطاب، وكان المقصود بها رسم شخصية فؤاد شهاب كرجل لا يحب الكلام بل يزدري به. ولهذا الخطاب قصة طريفة أيضاً. في الأساس كان هذا الخطاب يبدأ بعبارة مختلفة هي: «من مقر قيادة الجيش حيث الكلمة للفعل إلى منبر هذه الندوة حيث الفعل للكلمة مسافة...». وكنت كتبت هذه الاستهلالية للخطاب في الجامعة الأميركية في بيروت في إحدى غرفها، وفي هذه الأثناء دخل علي صديقي سمير صنبر الذي شغل مندوب الأمم المتحدة في إحدى الدول الافريقية، فقرأ العبارة وعرف أنها مقدمة لخطاب الرئيس شهاب فحفظها وذهب إلى مجلة «الصياد» التي كان يكتب فيها زاوية «همسة» وكتب مقالاً مفاده أنه في اليوم الفلاني سينتقل رئيس الجمهورية من مقر قيادة الجيش حيث الكلمة للفعل إلى مجلس النواب حيث الفعل للكلمة. في اليوم التالي أطلع رئيس الغرفة العسكرية في القصر الجمهوري على هذا المقال وأمر بإتلاف مئات النسخ من

الخطاب التي كانت تعد لتوزيعها على السفارات ووسائل الإعلام وتطبع في مطابع نسيب الرئيس شهاب الشيخ فؤاد حبيش. وطلب إلي تغيير هذه العبارة في بداية الخطاب ففعلت مع عمي لتصبح «من مقر قيادة الجيش حيث الصمت حليف الواجب...». كان يتدخل فؤاد شهاب في الخطاب في حالتين فقط، وقد لمست ذلك من المرات الكثيرة التي كنا نعدّ له فيها خطبه. الحالة **الأولى** هي أنه كان يجب ذكر الله في الخطاب أو الاشارة إليه من نوع ساعد نفسك يساعدك الله. كان يصر دائماً على ورود اسم الله في الخطب. وكان ذلك يعكس تدينه القوي وتأثره بالديموقراطية المسيحية. الحالة **الثانية** هي أنه كان يشطب كل إشارة إلى قضية فلسطين أو إلى لفظة فلسطين. ويقول هذه تجارة لا أؤمن بها، ولا نستطيع أي شيء حيال هذه المسألة. وكان يقول أيضاً عن قضية فلسطين إن الاشارة إليها من الأدب السياسي الرائج الاستهلاكي الذي ينفّر.

■ ما هي الخطب التي اعترض عليها؟

ـ لم يعترض على أي خطاب. لكن في رأيي هناك ٣ خطابات كانت ذات أهمية عند فؤاد شهاب. الأول يتعلق بالنداء الذي وجهه إلى الشعب اللبناني عندما تسلّم الرئاسة، والموقف الأساسي فيه هو تحديد علاقته بالجمهورية العربية المتحدة وقتذاك، فكتبنا له أن «علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة ستكون قائمة على الصدق والصراحة». وهو قصد بالصدق أنه

صديقهم، وبالصراحة أن رأيه ليس من رأي الجمهورية العربية المتحدة في كل المسائل. وتكلم أيضاً عن «العروبة الناصعة» وكان يقصد بالعروبة التي لا دم فيها، وكذلك عن «علاقاتنا مع الدول الشقيقة ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة». أي هل يميز الجمهورية العربية المتحدة عن سواها أم لا؟ بعد حكم كميل شمعون المتخاصم مع الجمهورية العربية المتحدة طُرحت أمام فؤاد شهاب ثلاثة خيارات: هل يستمر في سياسة الرئيس شمعون المعادية للجمهورية العربية المتحدة أم يقف على الحياد التام أم يميل إليها قليلاً؟ النقطة المركزية في النداء أنه مال قليلاً إلى الجمهورية العربية المتحدة من خلال لفظة «ولا سيما». وكانت هذه فكرتنا المستمدة من رأيه واقتناعه. الخطاب الثاني المهم له هو خطاب أداء اليمين الدستورية الذي أضفينا فيه صورة فؤاد شهاب الانسان والرئيس وطريقة تعامله مع المؤسسة السياسية الدستورية (مجلس النواب) لجهة عدم إيمانه بتدليع النواب أو بالدلع النيابي. أما الخطاب الثالث فكان يتعلق بمد الكهرباء والمياه إلى كل القرى. وكان خطاباً مميزاً مبنياً كله على العدالة الاجتماعية.

■ كم من الوقت ظللت وعمك تقي الدين الصلح مع الرئيس شهاب؟

ـ ابتعدتُ عن الرئيس شهاب قبل عمي. استقلت من وزارة الأنباء. أما هو فظل صديقاً للرئيس شهاب حتى آخر ولايته.

وقد استقلت بعد تضخم دور الأجهزة والمكتب الثاني وتحول وزارة الأنباء مؤسسة ثانوية تابعة لسواها.

■ ماذا تتذكر عن تلك الفترة؟

ـ كتبت حديثاً إذاعياً على أثر قرار من شاه إيران بإنشاء قنصلية إيرانية في إسرائيل، وقلت فيه إن الشاه تجاوز مشاعر الشعب الايراني نفسه عندما اتخذ هذه الخطوة وأنه كسر حصاراً معيناً لإسرائيل اتفقت عليه الدول العربية والإسلامية. اتصل بي الرئيس شهاب وطلبني إليه. ذهبت. قال لي: يا ابني هذه الإذاعة عملناها لشتم القادة؟ هل يمكن لأحد أن يشتمهم؟ انت هاجمتهم؟ قلت: لم أهاجم القادة وإنما التدبير. قال لي إن فيليب تقلا قال له إن بيت كتانة الذين لهم مصالح تجارية كبيرة في إيران قالوا له، أي لفيليب تقلا، إن استمرار مثل هذه الحملات وانتقاد الشاه سيتسبب بطرد كل اللبنانيين من ايران. وأضاف الرئيس شهاب أن فيليب تقلا قال له إن هذه الإذاعة خربت بيوت بيت كتانة. يومها بدا لي وكأن مصالح بيت كتانة هي مصالح كل لبنان وكل الجمهورية. واستغربت هذا الربط. وهناك حادثة أخرى تتعلق بباخرة مصرية تريد إنزال حمولتها في مرفأ نيويورك. عمال نيويورك وبتأثير من اليهود رفضوا إفراغ حمولة هذه الباخرة، فكتبت حديثاً إذاعياً قلت فيه إن الاميركيين الذين يدعون في كل مكان إلى عدم تعاطي النقابات بالسياسة كيف يسمحون لهذه النقابات في الولايات المتحدة بأن تصبح

خاضعة لتأثير اليهود؟ وكيف أن باخرة راسية في نيويورك يمنع «اللوبي» اليهودي إفراغ حمولتها؟ على الأثر اتصل بي الرئيس شهاب وطلبني. ذهبت إليه. قال لي بألا أكرر مثل هذا الكلام. قلت له إنني أطبق قراراً اتخذه لبنان مع الدول العربية يقضي بالمساندة في ما بينها حيال إسرائيل، وأن لبنان مرتبط مع الدول العربية بسياسة محاربة إسرائيل. وكان شارل حلو حاضراً اللقاء. وأضاف الرئيس شهاب بألا أتوسع في هذه المواقف. فعقّب شارل حلو: يا فخامة الرئيس قلت للعربي تقبرني، فضروري يحمل الرفش ويلحقني. وكان يفسر بذلك الموقف اللبناني من مسألة التضامن العربي حيال إسرائيل. أي أن لبنان يتضامن مع العرب، لكن عليهم هم أيضاً أن يتفهموا إمكاناته. وقد أُعجب فؤاد شهاب كثيراً برد فعل شارل حلو وحفظ عبارته. وأتذكر أن الرئيس شهاب كان يهتم مباشرة عندما تحصل إضرابات خصوصاً إضرابات العمال والمصارف، فيراجع شخصياً وزارة الأنباء. كذلك كان يهتم بالأمن كثيراً. وأذكر أنني كتبت، قبيل وفاته في مطلع السبعينيات، في مجلة «الصياد» مقالاً قلت فيه إنه لو كان فؤاد شهاب رئيساً في تلك الفترة لما ترك للفدائيين (الفلسطينيين) كل هذه الحرية في عملهم في لبنان ولما ترك لإسرائيل كل هذه الحرية في الدخول إلى لبنان. وكنت أنتقد يومذاك العهد (الرئيس سليمان فرنجية). وقتها زار الرئيس فرنجية المملكة العربية السعودية والتقى الملك فيصل الذي قال له إنه يفضّل ألا يضرب الجيش اللبناني

الفدائيين، فرد الرئيس فرنجية إنه إذا لم يفعل ذلك فلن يستطيع مقاومة إسرائيل إذا ما دخلت إلى جنوب لبنان. وقلت في مقالي إن سياسة لبنان الرسمي تركت للعمل الفدائي الحرية أكثر من اللزوم وتركت لإسرائيل الحرية في التدخل أكثر من اللزوم، ولو كان فؤاد شهاب في الحكم لقيّد العمل الفدائي قليلاً وقيّد التدخل الإسرائيلي قليلاً. بعد يومين على صدور هذا المقال التقيت رينيه معوض الذي قال لي إنه كان يزور الرئيس شهاب الذي كان مريضاً وسمع منه تعليقه على المقال وهو أنه يمثل رأيه تماماً، وقال له إنه لو كان يومذاك رئيساً لقيد العمل الفدائي الذي يستتبع تقليص التدخل الإسرائيلي في الجنوب.

■ **هل كان الرئيس شارل حلو شهابياً؟**

ــ شارل حلو لم يكن شهابياً، بل كان يستعمل وجود الشهابيين في السلطة إلى قربه بهدف التملص من ضغوط السياسيين عليه. وكان يرى فائدة في وجود الجيش اللبناني والأجهزة إلى جانبه حتى يقول للسياسيين إنه لا يستطيع القيام بكل ما يطلبونه منه. وفي المقابل يقول للشهابيين والأجهزة إنه لا يستطيع تلبية كل مطالبهم منه لأنه يتعرض لضغوط السياسيين. عمل حلو على الموازنة بين الفريقين. وكان يجد دائماً مخارج في التوزير. فمن لا يريده وزيراً في حكومته يعزو استبعاده إلى قرار الأجهزة بذلك. وشارل حلو هو الذي مهد لعودة الزعامات المسيحية إلى عزها، من خلال تعاونه مع «الحلف الثلاثي» (حزب

الكتائب وحزب الكتلة الوطنية وحزب الوطنيين الأحرار) في الانتخابات النيابية عام ١٩٦٨ .

■ لماذا جاء به فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية؟

ـ في ذلك الحين الأسماء التي كانت مرشحة لخلافة فؤاد شهاب لم يكن يميل إليها. استبعد مثلاً عبدالعزيز شهاب لأنه شهابي من جب آخر. واستبعد فؤاد عمون الذي اقترحه كمال جنبلاط خشية أن يقال إنه رأس مرشح جنبلاط. أما شارل حلو فكان الأكفأ بين الأسماء المتداولة لرئاسة الجمهورية.

■ ما سبب العلاقة بين فؤاد شهاب وشارل حلو؟

ـ ربما بسبب ثقافة حلو الفرنسية التي نشأ عليها فؤاد شهاب، وله علاقات ديبلوماسية ويحسن آداب التعاطي مع الرؤساء وتدينه.

■ إذاً رئاسة شارل حلو ليست شهابية واستمراراً لرئاسة فؤاد شهاب؟

ـ ليست شهابية بالمعنى الشائع للكلمة. هي نوع من التوازن بين الشهابية ونقيضها. وكان شارل حلو يبتعد عن فؤاد شهاب تدريجياً كلما مر الوقت إلى أن ساهم في القضاء على الشهابية في الانتخابات النيابية عام ١٩٦٨ والانتخابات الرئاسية عام ١٩٧٠.

■ والياس سركيس هل كان شهابياً؟

ـ كان فؤاد شهاب يثق بالياس سركيس ويعتمد عليه ويذكره بمحبة ويؤمن بصحة اجتهاده في الأمور الإدارية والقانونية. لكنني لا أعتقد بأن طريقة الياس سركيس في الحكم هي نفسها طريقة فؤاد شهاب.

■ ألم يكن الياس سركيس شهابياً في أثناء رئاسته؟

ـ هناك فرق بين فؤاد شهاب والشهابي. يروى أن كارل ماركس دعي مرة إلى ناد للماركسيين، وتوسع أحد المتكلمين في الحديث عن الماركسية وإطرائها والمبالغة في أوصافها إلى أن علّق ماركس قائلاً إنه يشكر الله على أنه ليس ماركسياً. الأمر نفسه تقريباً ينطبق على العلاقة بين شهاب والشهابيين. شهاب هو المُطاع والشهابي هو المطيع. شهاب صاحب هالة وطلة على السياسيين والطبقة السياسية من فوق. وهو الأمير الذي يحبب الشعب بنفسه حتى يقوى أمام أعوانه. الشهابية من دون شهاب ليست شهابية. هي اتفاق بين مجموعة من الناس كلهم متساوون. رئيس الجمهورية هو المتقدم بين متساوين. هذه هي صورة الشهابية في عهد الياس سركيس. هو حاكم ومتقدم بين الشهابيين.

■ هل كانت إدارة الرئيس سركيس شهابية؟

ـ لا أعتقد، لأن الشهابية هي نظام معيّن من العلاقات بين

العسكريين والإداريين والسياسيين يطلق يد الرئيس في القرار ولا يفتت القرار. فؤاد شهاب كان القرار في يده. الياس سركيس لم يكن القرار في يده بل حكم بقوة اللاقرار وكان عنده استعداد لتفتيت السلطة وأن يكون وزير خارجيته هو كل شيء في إدارته كما كان فؤاد بطرس. لذلك فإن الشهابية رجل وأسلوب، أو رجل ونظام من العلاقات في الإدارة والسياسة والعسكر.

■ لكن الرئيس سركيس كان محاطاً بشهابيين أمثال رينيه معوض وسامي الخطيب وأحمد الحاج وفؤاد بطرس؟

ـ الشهابيون شيء وفؤاد شهاب شيء آخر. وكما يقال ألف نصف فيلسوف لا يساوون فيلسوفاً، كذلك فإن ألف شهابي لا يمثلون فؤاد شهاب. ميزة الشهابية، من حيث كونها فريقاً سياسياً وعسكرياً وإدارياً، ان قوتها هي نقطة ضعفها. أي أنها أدخلت العسكر في القرار السياسي. إنها مكمن القوة ونقطة الضعف أيضاً. في أيام شهاب كان ذلك موجوداً إلا أنه خاضع لصاحب القرار الأوحد الذي هو فؤاد شهاب، وفوق الجميع. من الصعب أن تقول إن الشهابيين هم أفضل من السياسيين اللبنانيين الآخرين، لكن من السهل القول أن الشهابيين مع فؤاد شهاب قدموا حكماً متماسكاً هادفاً وأفضل من أي حكم رئيس آخر ما عدا الرئيس بشارة الخوري. الشهابيون تقاسميون للسلطة والمنافع شأنهم شأن سواهم من السياسيين.

■ لماذا سُموا شهابيين؟

ـ وقتها درج بعض التسميات. الناصرية نسبة إلى جمال عبدالناصر، والشمعونية نسبة إلى الرئيس كميل شمعون كنقيض للناصرية. والشمعونية استمدت قوتها من الرئيس شمعون الذي نجح في أن يحيط نفسه بهالة من الزعامة والطريقة في التصرف وبنظام من العلاقات مع الدول يجعله نداً في لبنان لعبدالناصر. وجاءت الشهابية على هذا القياس نسبة إلى فؤاد شهاب الذي صار في السلطة.

■ بعدما خرج فؤاد شهاب من السلطة هل ظل يعتقد بوجود شهابيين من بعده؟

ـ ظل يميّز الشهابيين عن سواهم ويعتبرهم الأقرب إليه بسبب منهم، هو أنهم كانوا يزورونه أكثر من غيرهم. لكنه لم يكن يعتبرهم من قماشته هو. على العكس كان يعتقد بأنه من قماشة مختلفة عن سواه. لم يكن يصنف نفسه من القماشة ذاتها التي للشهابيين سواه، علماً أنه ظل يتفاهم أكثر مع العسكريين طبقاً لمعايشته إياهم سنين طويلة.

■ ما هي علاقة فؤاد شهاب بالسياسيين من غير الشهابيين؟ وما هي صحة التعبير الذي أطلقه عليهم وهو «أكلة الجبنة»؟

ـ فؤاد شهاب في طبيعته إنسان شكاك لأنه طالع من إرث كبير

ونسب كبير في جبل لبنان هو الإرث الحبيشي ـ الخازني ـ الشهابي. وأصحاب هذا الارث قضوا عمرهم شكاكين نظراً إلى الطمع بأملاكهم وأرزاقهم، والناس ينافقون لهم. وهو كان من مدرسة هذا الطبع في العائلات الكسروانية الكبيرة. شكوك العائلات النافذة والقوية والارستوقراطية، والاعتبار الثاني أنه نشأ في حياة عسكرية وتراه الآن، في رئاسة الجمهورية، في مجتمع سياسي غريب عنه وعن أطوار السياسيين. وثمة اعتبار ثالث عنده هو التمثل بالجنرال ديغول والتشبه به وتقليده. فكان شهاب يتحدث عن اللبنانيين كما يتحدث الجنرل ديغول عن الفرنسيين. ونظرته إلى السياسيين هي أنهم شرّ لا بد منه. كان يؤمن بأن الله خلق أناساً ليكونوا حكاماً وأناساً آخرين ليكونوا محكومين. احترم العائلات الكبيرة وشارك مراراً في معارك العائلات بعضها ضد البعض الآخر لتحطيمها. أما بالنسبة إلى «أكلة الجبنة» فهو تعبير فرنسي عن الذين يطالبون بحصصهم. وأعتقد بأن التعبير لم يحمل عند الرئيس شهاب المعنى السلبي، بل كان يقصد بهم الجماعة الذين يطالبون بالحصص لا السياسيين الرذيلين. أكلة الجبنة بالنسبة إلى فؤاد شهاب لم تكن تعني جريمة كبرى ولا أن الموصوفين بها مجرمون أو آثمون. لكنه كان ينظر إليهم بتعال. هو مستغنٍ عنهم وقديس ولا منافع له. هو من عالم وهم من عالم. نزيه لا يريد شيئاً لنفسه، ولا يدخر المال. لم يحمل الكلمة المعنى اليساري والشيوعي الذي قيل إنه المقصود ويطلق على الطبقة الفوقية اليمينية.

أكلة الجبنة هم الجماعة الذين لا يمشون مع الوطن مجاناً. كان يقول لي إنه يمشي مع الوطن مجاناً، لكن فلاناً ـ وكان يسمي أسماء ـ لا يمشي. وهو لم يشأ أن يحقّر هؤلاء باستخدام هذه اللفظة. بل عمّمه على جميع الناس ما عداه.

■ ما هي قصة العداء بين فؤاد شهاب وكميل شمعون؟

ـ كان كميل شمعون سياسياً بارزاً ومارونياً بارزاً يتعامل معه الموارنة على أنه زعيمهم، الأمر الذي أغاظ فؤاد شهاب وحرمه هذه الصفة. لم يشعر فؤاد شهاب مع الموارنة بأنه زعيمهم مع أنه كان رئيسهم. لم يكن بالنسبة إليهم المسلّم به. كان يكره كميل شمعون لشعبيته الجذابة وخبرته السياسية وإتقانه التعامل مع الأحداث والأفراد. ولأن كميل شمعون في أثناء رئاسته لم يعامل فؤاد شهاب الذي كان قائداً للجيش معاملة حسنة، علماً أن كميل شمعون عند نهاية ولايته اقترح على روبرت مورفي الوسيط الأميركي إلى الشرق الأوسط على أثر أحداث «ثورة ١٩٥٨» انتخاب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية. ولم يسلّم كميل شمعون حتى آخر نهار في ولايته بوضع خاص لفؤاد شهاب يتجاوز كونه قائداً للجيش. ظل يعامله معاملة الرئيس بالمرؤوس وبأنه ضابط. وكان فؤاد شهاب لا ينفك يطلق على الرئيس شمعون تسمية «ابن بو شمعون» وكأنه يريد أن يتعالى عليه طبقياً وعائلياً. فؤاد شهاب أمير وكميل شمعون ابن الطبقات الشعبية. وأذكر حادثة عن قصة هذا العداء بين الرجلين.

دخلت مرة على فؤاد شهاب في مطلع الستينيات، ما بين ١٩٦٢ و١٩٦٣، فوجدته حانقاً وغاضباً. سألته ماذا به، قال: شو هيدا ألبير مخيبر؟ واستعمل مفردات عدائية ضده. واستفسرت فشرح لي: تصور أنني قلت لألبير مخيبر: ما هو رأيك في هذا الموقف الذي اتخذته الدولة؟ فأجاب: والله لو كان كميل شمعون رئيساً في الحكم لما استطاع أن يفعل أحسن من ذلك. وعقب فؤاد شهاب: ألا تزال يا دكتور مخيبر تعتبر أن هناك لبنانياً وطنياً أكثر من آخر! أن كميل شمعون هو المقياس؟ ألم تجد ما تمدحني به غير قولك هذا عن كميل شمعون. ويبدو أن الدكتور مخيبر أراد أن يذكّر الرئيس شهاب بلبنانيته أو أنه كان صريحاً أكثر من اللزوم فشهد لموقف فؤاد شهاب أنه مشى كلبناني، بكل لبنانيته، على طريقة كميل شمعون.

■ هل كان اعتزاز فؤاد شهاب بأنه أمير كبيراً؟

ـ طبعاً لكن هذه الإمارة مختلطة عنده بشعور النزاهة والنقاء والقداسة. كان معتزاً بالإمارة وبالتكوين الشخصي لديه.

■ من كان يقدّر من السياسيين الشهابيين؟

ـ كان يقدّر الرئيس رشيد كرامي. أخصام الرئيس كرامي كانوا يقولون إن هذا الاحترام مردّه إلى أنطون سعد رئيس المكتب الثاني في عهد الرئيس شهاب وهو من الشمال، والنظرة إلى رشيد كرامي على أنه ابن بيت سياسي عريق، فنقل أنطون سعد

هذا الاحترام إلى فؤاد شهاب. لكنني أعزو هذا الاحترام إلى أن رشيد كرامي كان صاحب كبرياء ويحترم نفسه. وكان يعتبره من القريبين منه لكنه لم يجعله معاوناً له. رينيه معوض كان من الذين يعول عليهم فؤاد شهاب في كل أمر. وكان يعتمد على غابي لحود والياس سركيس، ويحب خصوصاً العسكريين، ويحسن اختيار ذوي الكفاءة. وأود أن ألفت إلى أن فؤاد شهاب كما قلت عنه أنه عام ١٩٥٨ كان ميالاً إلى المعارضة، وفي الواقع كان ينتمي فكرياً إلى بعض الأفكار التي كانت رائجة في أثناء الثورة، وهي أن كميل شمعون أخطأ ولكن خصومه ليسوا ملائكة، وكلهم من صنف واحد. وراجت في تلك الفترة أيضاً، خصوصاً في أوساط الشباب الإسلامي، أفكار تقول بأن الثورة على كميل شمعون لا يجوز أن تنتهي بمجيء أخصام من جنسه ليحلوا محله. بل لا بد من أن تحل فئة جديدة تحمل فكرة الغد وترفض أن تكون لحقوق المواطنين عكاكيز من الوساطات. يجب أن يمشي الحق على قدمين لا على عكازين، وأن الدولة يجب أن تكون للجميع لا لفريق واحد. وفكرتا الغد والدولة للجميع وعدم وجود وساطة كانت رائجة عند الناس الذين هم مع الثوار إلا أنهم، أي الناس، لم يوافقوا قادتهم إنما كانوا يريدون دولة تتجاوز هؤلاء الذين هم في قيادة الثورة. وهنا لا بد من أن أشير إلى مسألة تتعلق بالقوة الثالثة التي ظهرت قبيل انتخاب فؤاد شهاب رئيساً، والتي لعبت دوراً كبيراً وقتذاك، وممن كان دوره أساسياً في القوة الثالثة غسان

تويني الذي قدم أفكاراً تغييرية بارزة لفؤاد شهاب في تلك المرحلة، وكان معه في القوة الثالثة يوسف سالم ويوسف حتي ومحمد شقير. وقد أصغى فؤاد شهاب إلى هؤلاء.

■ كيف كانت نظرة فؤاد شهاب إلى النواب؟

ـ لم يعتقد مرة بأنهم مصدر القرار، بل شر لا بد منه. وفي المناسبة، ريتشارد باركر السكرتير الأول في السفارة الأميركية في بيروت دعاني في أحد الأيام إلى غداء معه في مطعم «المطعم» والى جانبه الموظف في السفارة الأميركية حسين مياسي، وقال لي باركر الذي لعب لاحقاً دوراً أساسياً في الوساطات في اثناء الحرب الأهلية في لبنان في السنوات الأخيرة: نحن لا يمكن أن نقبل بالتجديد لفؤاد شهاب. ولما استفسرت منه قال لي: إن فؤاد شهاب لا يحترم مجلس النواب. قلت له: كيف؟. قال: إنه يمرر كل مشاريع القوانين المعجلة في مجلس النواب عبر المادة ٥٨ من الدستور التي في حال لم يقرها النواب خلال ٤٠ يوماً أقرّتها الحكومة بمراسيم اشتراعية. فهو من جهة يقول للحكومة قدّمي المشاريع ويقول من جهة ثانية لصبري حمادة (رئيس مجلس النواب) أن يضعها في الخزانة ويجمدها، فيصدرها الرئيس بعد ٤٠ يوماً. إنه لا يؤمن بالبرلمان ولا بعمل اللجان. لذلك فإن نظرته إلى البرلمان لا نوافق عليها، ولا نوافق أيضاً على التجديد له. كان ذلك حوالي عام ١٩٦٤.

■ كيف كانت مجالس فؤاد شهاب؟

ـ كان طريفاً ولديه طريقة في سرد الأخبار من الطريقة الحبيشية ـ الخازنية.

■ هل كان يتكلم العربية؟

ـ كانت لغته العربية مكسرة.

■ بعض طرائفه؟

١ ـ مرة أبدى إعجابه بأحد الأكراد وقد جاءه على رأس وفد كردي يطالب بالتجنس، وقال للرئيس شهاب: نحن الأكراد جئنا إلى لبنان مع الأرمن في وقت واحد، وها أن المسيو بابكيان وزير وأنا ما أزال حمالاً على البور (المرفأ). فرد فؤاد شهاب: والله ما سمعت خطيباً مفوّهاً كهذا، وأبدى إعجابه بهذا الكردي. ومعلوم أن المكتب الثاني كان يوزع مثل هذه الأخبار على الناس بهدف خلق شعبية له عند المسلمين.

٢ ـ روى لي فؤاد شهاب مرة أن أحمد الأسعد دخل عليه وقال له: لا أستطيع التفاهم مع صديقك علي بزي. فرد عليه شهاب: لماذا؟

قال أحمد الأسعد: إذا دخل الآن إلى مكتبك كابتن فهل تضرب له أنت الجنرال التحية يا فخامة الرئيس أم هو الذي يضرب لك التحية؟

أجاب فؤاد شهاب: الكابتن هو الذي يضرب سلاماً. فقال أحمد الأسعد: علي بزي يريد أن يضرب الجنرال التحية للكابتن، فهل هذا معقول؟. وكان أحمد الأسعد يقارن في هذا القول بين زعامته الشعبية في الجنوب وعلي بزي، وذلك في أثناء طبخة انتخابات نيابية يعد لها المكتب الثاني وفشل فيها أحمد الأسعد ونجح علي بزي.

٣ ـ سألت نقيب المحامين في طرابلس سابقاً حسني عطية، الذي كان تلميذاً في الكلية الحربية في حمص، عن رأيه في فؤاد شهاب (إبان رئاسته) إذ كان زميله في الصف. قال لي حسني عطية: فؤاد شهاب كويس ولكن جميل لحود أرجل منه. قلت له: كيف عرفت ذلك. قال: كنا مرة طلاب الكلية الحربية نتنزه في دُمّر على ضفة النهر قرب دمشق، ودار حديث بيننا عن معركة ميسلون. قال فؤاد شهاب إن يوسف العظمة غبي، فمن هو حتى يتصدى للجيش الفرنسي! فرد عليه جميل لحود اسكت، يوسف العظمة بطل ومات من أجل بلاده، ورفع كرسياً وضرب بها فؤاد شهاب ودخلنا في المصالحة.

٤ ـ روى فؤاد شهاب لميشال أبو جودة إن قائد المنطقة العسكرية في الجنوب الأمير جميل شهاب اتصل به وقال له إن إسرائيل تطلق النار. فأجابه فؤاد شهاب: مش معقول، هؤلاء أجانب لا يطلقون النار من دون سبب. وبالفعل حقق جميل شهاب في الموضوع فعرف أن أحد القرويين خرج من السجن

فاحتفل أهل ضيعته في العديسة بعودته بإطلاق الرصاص فظن الإسرائيليون أن في الأمر هجوماً.

٥ ـ كان فؤاد شهاب يكره التدخين في حين أن صائب سلام يدمن تدخين السيكار. اتصل مرة بصائب سلام ودعاه إلى مرافقته إلى الطيبة للتعزية بأحمد الأسعد، فقال له صائب سلام: مر عليّ بالمصيطبة وخذني معك. قبل شهاب الاقتراح على مضض. ومر على رئيس حكومته واصطحبه. وفي الطريق من بيروت إلى الطيبة شرع صائب سلام في تدخين سيكاره فطلب شهاب إلى السائق فتح النافذة الخلفية للسيارة للتنفس. ثم طلب فتح النافذة الأمامية من كثرة الدخان المنبعث من السيكار، وقال: إن السيارة تصبح كخيمة تعصف بها الرياح وصائب بك يدخن وكأن شيئاً لم يكن. وقال فؤاد شهاب لميشال أبو جودة إنه تعمد الرجوع بعد التعزية وحده في السيارة. وكانت القطيعة.

■ **ما هي قصة عبارة «الاستئناس» التي عرف بها فؤاد شهاب في نهاية ولايته؟**

ـ في نهاية ولاية فؤاد شهاب تردد أنه يرغب في التجديد لولاية جديدة من دون أن يعلن ذلك جهاراً. وحصلت ضعضعة في الوسط السياسي، هل يريد التجديد أم لا ولماذا لا يصرح برغبته في ذلك، علماً أن في مجلس النواب أكثرية برلمانية تضمن له فوزه لولاية ثانية من ١٩٦٤ إلى ١٩٧٠. ذهب إليه

أخيراً رئيس مجلس النواب كامل الأسعد للاستئناس برأيه هل يريد التجديد أم لا؟ في وقت كان فؤاد شهاب لا ينفك يردد أنه لا يريد. آخر الأمر قال شهاب للأسعد إن لا مانع لديه في أن يعاد انتخابه إذا فعل ذلك النواب. فقال له الأسعد: هل تريد أن نقول للنواب إنك تقول لهم إذا انتخبوك رئيساً تقبل، عندها غضب شهاب وأنهى المقابلة. وفهم الأسعد أن شهاب لا يريد أن ينقل عنه وباسمه أنه يريد التجديد، في حين وجد كامل الأسعد أن التلميح الذي أوحى به شهاب في بداية الجلسة غير كاف لإبلاغه إلى النواب، وأن شهاب متحفظ في إعلان موقفه من التجديد هذا لئلا تتأثر الهالة التي يحيط نفسه بها، علماً أن الأسعد كان يسعى إلى إلزامه هذا الموقف.

■ **وماذا تتذكر من طرائف أخرى؟**

● كان فؤاد شهاب شكاكاً، صاحب فراسة، دهرياً. والمعروف أنه كان في آخر عهد بشارة الخوري شكوى من الأبهة الملكية التي أحاط بها نفسه. فلما جاء كميل شمعون رئيساً أطل كشخص ديموقراطي وحيوي. روى لي عمي تقي الدين الصلح أن الرئيس كميل شمعون عند أول دخول له إلى القصر الجمهوري في بيت الدين اصطف العسكر لتحيته. وكان أيضاً قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب. وعندما أطل كميل شمعون وحيّا الجموع بكل ديموقراطية وابتسامة شعبية قلت له: ألا ترى هذا الرئيس الجديد كم هو ديموقراطي ومختلف عن سلفه؟ فابتسم

فؤاد شهاب وقال لي: سيأتي وقتها. وكان يقصد فؤاد شهاب أن المظاهر الملكية آتية لا ريب. وما علينا سوى الانتظار.

● أخبرني حسني عطية أن الرئيس تلقى مرة دعوة من الرئيس المصري جمال عبدالناصر إلى الاشتراك في مؤتمر قمة عربية للبحث في موضوع تحويل إسرائيل مياه مجرى نهر الأردن. فأحرج فؤاد شهاب إحراجاً شديداً. أولاً لأن هذا الموضوع يثير مخاوفه من مغبة استفزاز إسرائيل. وثانياً انه لا ينبغي أن يختلف مع عبدالناصر، فكان جوابه أنه يعاني من ديسك في الظهر. وكلّف هذا الاعتذار فؤاد شهاب التزامه المنزل مدة طويلة زادت على ثلاثة أشهر في الفراش. وقال حسني عطية «أننا زرناه يوماً أنا وصديقه ورفيقه في الكلية الحربية والعارف بأساليبه جميل لحود وأمضينا معه وقتاً إلى جانبه في الفراش. وبعدما انصرفنا قال لي جميل لحود: تسألني دائماً لماذا سبقني فؤاد شهاب إلى رئاسة الجمهورية مع أننا كنا في العسكرية في مرتبة واحدة وملفه ليس أفضل من ملفي؟ الآن جاءت الفرصة لأجيبك. لم أستطع أن أنافس على الرئاسة شخصاً مستعداً أن ينام على ظهره ستة أشهر إذا كان في ذلك مصلحة سياسية له وأنا طبعاً لا افعل ذلك».

كان فؤاد شهاب في أول عهده سهل التأثير عليه. فقد تبلغت (الصلح) وكتبت الصحف أنني عينت مستشاراً سياسياً له. وفي المراسيم التي صدرت تم تعيين موظفين في القصر الجمهوري

كالياس سركيس مديراً للشؤون الادارية والقانونية لا مديراً عاماً، وشفيق محرم مستشاراً للشؤون الاقتصادية والإنمائية برتبة مدير عام. وعرفت لاحقاً من رينيه معوض أنه ورشيد كرامي اتصلا بالرئيس شهاب وقالا له إن من غير اللائق أن يكون هناك منصب إلى جانبه هو المستشار السياسي، لأن السياسة من صلاحيات الرئيس وحده والاستشارة تكون في القضايا القانونية والإدارية والفنية البحتة. وأشارا إليه بأن منصباً من هذا النوع يفسر على أن رئيس الجمهورية عسكري وليس ضليعاً في الشؤون السياسية، ويحتاج إلى مستشار. عندها أقلع الرئيس شهاب عن هذه الفكرة. وقال لي معوض أيضاً إنه لم يكن مقتنعاً بهذا الرأي لكنه ساير رشيد كرامي الذي أثار الموضوع نظراً إلى ارتباطه بحساسيات تتصل بالتنافس على النفوذ والسلطة خصوصاً على رئاسة الحكومة ما بين العائلات السنّية الكبيرة في البلاد.

● كان الرئيس فؤاد شهاب لا يحب حكم العسكر ويردد لنا: «أنتم السياسيين لا تعرفون الهمشرية» يقصد العسكريين الصغار الدراويش المحدودي الثقافة. والمعلوم أن المكتب الثاني كان يسرب إلى الجيش أن الشعب متمسك برئيسه ولا يقبل سواه لا من العسكريين أو غيرهم، ويسرب إلى الشعب أن الجيش متمسك بالرئيس ولا يتخلى عنه.

حكم فؤاد شهاب كان امتداداً لأي حكم عربي قوي كان في

ذلك الزمان. وتركيبته امتداد للنظام العربي السائد الذي يؤمن بالحكم عن طريق الإعلام والمخابرات ويولي أهمية أساسية للتقارير. دخلت عليه مرة في مكتبه بعد زيارة قمت بها للعراق في عهد الرئيس عبدالسلام عارف وقلت له إن عبدالسلام عارف روى لصحافيين لبنانيين زاروه يومها إنه جاء مرة إلى لبنان وقصد محلاً مشهوراً لبيع الألبسة الجاهزة، وعندما هم بتسديد الفاتورة خاطبته الموظفة على الصندوق بالفرنسية. فالتفت إليها وقال: أليس عندكم كرامة وطنية؟ وإلى متى تظلون تتكلمون لغة أمكم الحنون (فرنسا)؟ فغضب قسمان، واحد يعرف كل اللغات وآخر لا يعرف أي لغة. واللبنانيون يتقنون العربية والفرنسية والإنكليزية وكل اللغات، وأديرة رهبانهم هي التي حفظت اللغة العربية من الاندثار تحت ضغط حملة التتريك.

● عرف عن فؤاد شهاب إعجابه بالشهادات الفرنسية. ولم تكن الشهادات الأميركية والانكليزية تدخل عقله، أو أن تكون مشابهة في العظمة للشهادات الفرنسية. وقد ظهر هذا الميل في القوانين التي أصدرتها الدولة وتشترط الشهادات الفرنسية وحدها لبعض الوظائف المهمة. وذهب إليه أحد الأساتذة الكبار في الجامعة الاميركية يلفته إلى أمر. فقال له الرئيس إن بعض الشروط التي طلبها غير متوفرة إلا لمتخرجي السوربون والمدارس الفرنسية العليا.

فرد عليه الأستاذ في الجامعة الأميركية: هل الذين يذهبون إلى

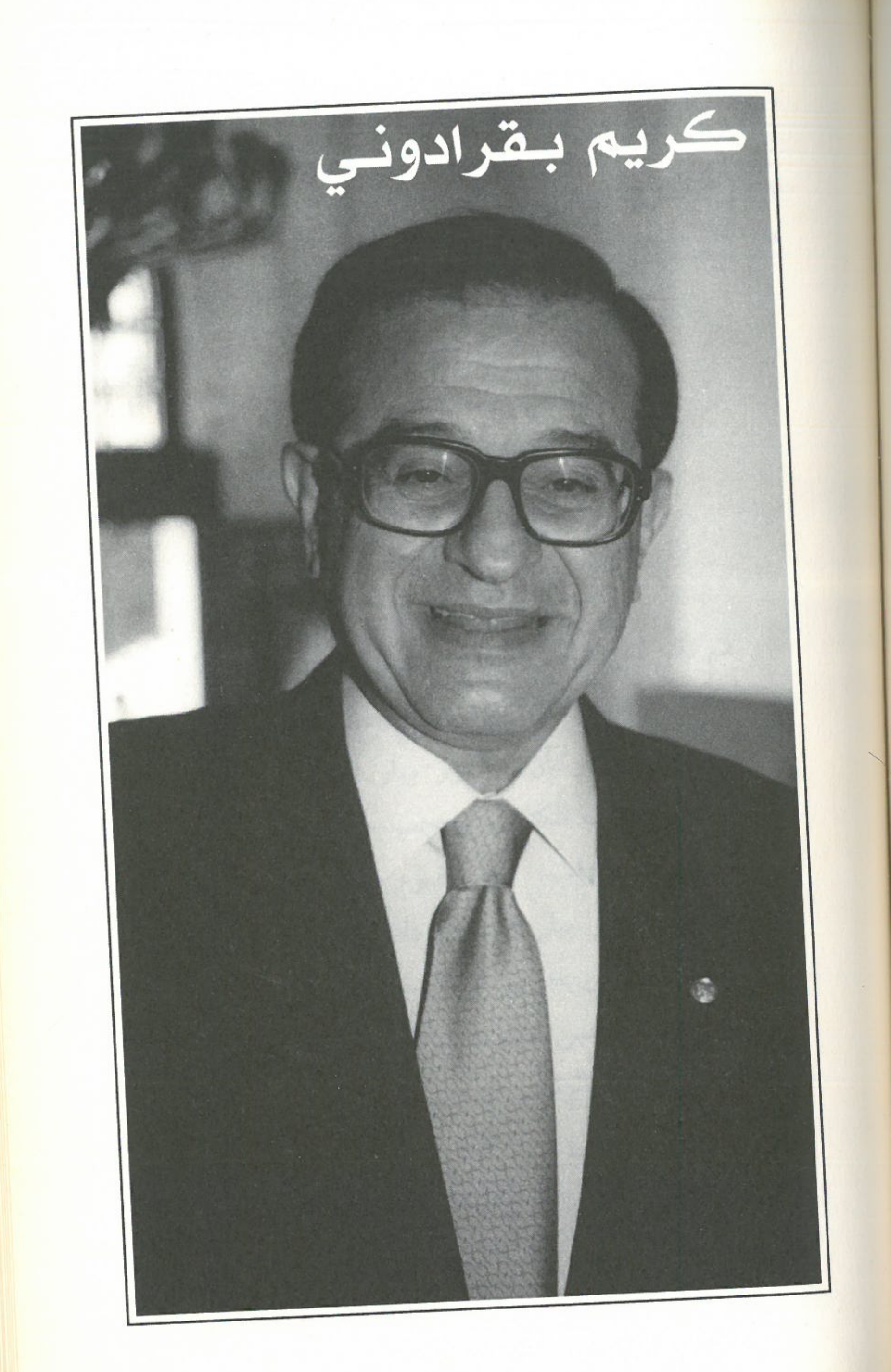
الفضاء، يا فخامة الرئيس، وفالقو الذرة هم من متخرجي الجامعات الفرنسية؟ وممَ يشكو متخرجو جامعات أكسفورد وهارفرد وبرنستون حتى يعاملوا أقل من متخرجو الجامعات الفرنسية؟

قال فؤاد شهاب لميشال أبو جودة إنه قبل أن يأتي إلى الحكم كانت السجون فوضى، وإن متري العقدة (وهو قبضاي من حي المصيطبة) جاءه ولد وهو في السجن. وكان يقصد بأن كميل شمعون كان يسمح للسجين أحياناً بأن يترك سجنه ويعاشر زوجته. فأجابه ميشال أبو جودة. . والشميساني أيضاً سيأتيه ولد وهو في السجن.

والشميساني هو قاتل متري العقدة الذي كان قد قتل أخا الشميساني وسجن، وعند خروجه من السجن قتله، ثأراً، الشميساني. وقد جعلت السياسة متري العقدة في الخانة الشمعونية، والشميساني في الخانة الشهابية. وكلاهما ابن طائفة مختلفة.

● من خصائص فؤاد شهاب أنه عرف من خلال مخالطته المسلم والمسيحي واللبناني والسوري في أثناء خدمته العسكرية في الكلية الحربية في حمص أن يحل الكثير من المشكلات. كما أن مخالطته كل المناطق اللبنانية التي خدم فيها كذلك ساعدته على هذا الأمر. فهو لم يعش في الصالونات، بل مع الناس على رغم كونه أميراً. أخبرنا مرة، في بداية عهده، وكنا

ثلاثة تقي الدين الصلح وعلي بزي وأنا، قال: عندما دخل الأسطول الأميركي إلى بيروت (١٩٥٨) تساءلت هل أموت عسكرياً وأدافع كيوسف العظمة فأموت ويزمجرون ثم يهدأون ويدخل الأميركيون. ولكن بعد أن يعرفوا أن الجيش اللبناني لم يرد دخولهم وأنا أرغمته على ذلك، فضّلت أن أضحي وآخذ هذه المسألة بذقني وأذهب إلى قائد الأسطول الأميركي وأُدخله أنا إلى بيروت إلى جانبي بينما المدافع اللبنانية منصوبة، على أن أكسب البطولة ويدخل الأميركيون بشراسة أكثر. فردّ علي بزي عندئذ: كتر خيرو ها لجنرال، بيكفي يعرف مين يوسف العظمة.


كريم بقرادوني

كره سركيس الشاب «الأزعر» ثم أيّده للرئاسة

لم تكن بين كريم بقرادوني والرئيس فؤاد شهاب أي علاقة. فحين كان اللواء في القصر كان بقرادوني شاباً صغيراً وكان حضور بيار الجميل الرئيس الراحل لحزب الكتائب يحجب جميع الكتائبيين. لا بل إن شهاب، وفي ضوء التقارير التي كان يتلقاها، حذّر بيار الجميل ذات يوم من الشاب المشاغب الذي يحرّض الكتائبيين على تبني القضايا المطلبية. وحين ذهب بقرادوني برفقة موريس الجميل لزيارة الرئيس السابق قبل انتخابات ١٩٧٠ الرئاسية لم يقل له اللواء أي كلمة. ولم تكن لبقرادوني علاقة مع شارل حلو يوم كان الأخير رئيساً للجمهورية (١٩٦٤ ــ ١٩٧٠). فبقرادوني ابن جيل الصقور لا الرؤساء وسيصعد مع الصقور

لكن بثيابه المدنية، وستكون له معهم ملفات وملفات. لكن بقرادوني سيعرف الشهابية عن قرب بحكم عمله مستشاراً للرئيس الراحل الياس سركيس (١٩٧٦ ـ ١٩٨٢) الذي كلّفه مهمات دقيقة في الملف الأصعب وهو العلاقات اللبنانية ـ السورية. وكان بقرادوني قد تعاطاه من قبل لكن من زاوية العلاقات الكتائبية ـ السورية.

هذه التجربة مع الياس سركيس أتاحت لبقرادوني أن يعرف عن قرب الشهابية ـ السركيسية أي الشهابية معدلة في خيارات الداخل والخارج.

■ ماذا تفهم بالشهابية؟

ـ بالنسبة إلي هي أولاً مشروع الدولة الحديثة. فؤاد شهاب والشهابيون معه كانوا أكثر الناس دعوة إلى الدولة. عام ١٩٥٨ اعتبروا أن مشكلة الوطن لا تنتهي لكن مشكلة الدولة يمكن أن تنتهي، وبدأوا ببناء الدولة الوطن من دون الدخول في جدل حول مفهوم هذا الوطن. والشهابية ثانياً هي إصلاح الدولة. وأهم الإصلاحات، خصوصاً الإصلاح الإداري والتنظيم الإداري والتقسيمات الإدارية هي من عمل الشهابية. والشهابية ثالثاً مؤسسات، إذ حاولت بناء مؤسسات متطورة تتلاءم مع الأوضاع القائمة. مثلاً المؤسسات المتصلة بالبنى التحتية وبالبنى الاجتماعية هي من عمل الشهابية. والشهابية رابعاً هي

هيبة. كل هذه الأمور تدور حول فكرة الدولة وهيبتها. في اختصار: الشهابية هي مشروع دولة وإصلاح دولة وبُعد اجتماعي في الدولة وهيبة دولة. والدولة كانت قائمة على شخص فؤاد شهاب الذي لا يمس وهو خارج كل الشبهات كامرأة قيصر. والشهابية كذلك جيش قوي يطبق دولة القانون والأمن. وإذا أردنا الاختصار: الشهابية هي الدولة الحديثة. تاريخياً من أيام فخر الدين كان هناك مفهوم للدولة عند فخر الدين الذي بنى دولة عصرية من خلال بناء الجسور والطرق. وما بعد فخر الدين إلى فؤاد شهاب فجوة كبيرة حيث نعود مجدداً إلى مفهوم الدولة العصرية مع فؤاد شهاب.

■ بعد فؤاد شهاب هل ظل هناك شيء اسمه الشهابية؟

ـ الشهابية حاولت أن تتشبه بالديغولية. وهنا لا بد من مراجعة كتابات شارل رزق، وهو من ألمع رجالات الشهابية. قدم أطروحة تخلص في خاتمتها إلى التشبيه بين الجنرال ديغول والجنرال شهاب وبين الديغولية والشهابية. هذا التشبيه كان في محله، لكن أكثر من ذلك كانت هناك إرادة عند الشهابيين هي التشبه بالديغولية، ولا ننسى أن فؤاد شهاب زوجته فرنسية، والمجموعة التي كانت قربه تتحسس فرنسا بمن فيها انتندان ليه، هو ضابط متقاعد في الجيش الفرنسي تولى تنظيم أعمال فؤاد شهاب. الشهابية هي كالديغولية شيء بدأ مع شخص وتبدل مفهومه بتبدل الأشخاص. أي أن الشهابية مع فؤاد

شهاب شيء، وهي من دونه شيء آخر. وهي مع الياس سركيس شيء ومن دونه شيء آخر. والشهابية الآن، لأن هناك من لا يزالون يعتبرون أنفسهم شهابيين، هي شيء آخر. إنها كالديغولية، كانت مع شارل ديغول شيئاً وصارت مع جورج بومبيدو شيئاً آخر ومع جاك شيراك شيئاً آخر.

■ من هم رجالات الشهابية بعد فؤاد شهاب؟ شارل حلو مثلاً!

ـ نظرة شارل حلو إلى الأمور انتي ـ شهابية، بقدر ما كان فؤاد شهاب رجل دولة، كان شارل حلو رجل ثقافة. وبقدر ما كان فؤاد شهاب رجل قرار، كان شارل حلو رجل اللاقرار. في مطلق الأحوال صحيح أن الشهابيين هم الذين اختاروا شارل حلو لرئاسة الجمهورية بعد فؤاد شهاب، لكنه أنهى الشهابية في عهده وتحالف مع «الحلف الثلاثي» ضد «النهج» لإسقاط الشهابية ورموزها، خصوصاً في معركة انتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠ عندما خاض هذه المعركة لمصلحة خصوم الرئيس شهاب، أي مع سليمان فرنجية ضد الياس سركيس.

■ ما هي علاقة شارل حلو بالشهابية، وكيف صار باسمها رئيساً؟

ـ جاء رئيساً بفضل فيليب تقلا. وكثيرون كانوا يعرفون تأثير فيليب تقلا على فؤاد شهاب الذي كان مقتنعاً تماماً بحكمته

وتوجهه. ولا شك في أن فؤاد بطرس اضطلع كذلك بدور أساسي عند فؤاد شهاب. هناك مجموعة أشخاص اضطلعوا بدور مهم في هذا الاختيار من المحيطين بفؤاد شهاب فأثروا على قراره.

■ مثل من؟

ـ كانت هناك إدارة مدنية الأبرز فيها فيليب تقلا وفؤاد بطرس ومجموعة كوادر شابة مثل شارل رزق وباسم الجسر. وهناك إدارة عسكرية كان مختبرها الأساسي المكتب الثاني الذي ترأسه أنطون سعد ومعه غابي لحود. فؤاد شهاب كان يرتاح إلى العسكر أكثر من ارتياحه إلى المدنيين. لذلك كان يرتاح إلى المدنيين الذين كان العسكر يرتاحون إليهم وفي طليعتهم الياس سركيس. العسكر كانوا يرتاحون إلى الياس سركيس.

■ هل كان فؤاد شهاب قابضاً على القرار؟

ـ بالتأكيد. والدليل على أنه عندما طار فؤاد شهاب طار العسكر. وعندما أجريت الانتخابات الرئاسية عام ١٩٧٠ من دون فؤاد شهاب كان العسكر قد توزع وتشتت. ولا ننسى أن الرئيس سليمان فرنجية بعد انتخابه في ١٩٧٠ طارد العسكريين. سامي الخطيب وغابي لحود هربا وحوكما. في اعتقادي أن شارل حلو لم يكن اختياراً. لكن الشهابية لم تعثر على أحد. كان رهان الشهابية على التجديد لفؤاد شهاب، خصوصاً

الشهابيين الأرثوذكسيين الأصوليين. لكن شهاب في آخر دقيقة خرج من اللعبة وأتى شارل حلو فلتة شوط. وطرح مثلاً فؤاد عمون وعبدالعزيز شهاب للرئاسة. لكن الاتفاق تم على شارل حلو، وأعتقد بأن الضاغطين أكثر على اختياره هم العسكر، إذ فضّلوا المجيء بالأضعف حتى يستطيعوا الحكم من خلاله. وهذا ما حاولوا القيام به، وهذا هو الانقلاب الذي قام به شارل حلو على الشهابية. وجد الشهابيون (العسكر) في شارل حلو الأضعف، خصوصاً أنه لم يكن حيواناً سياسياً ذا أخطبوط سياسي وعشيرة سياسية أو قدرات سياسية. شارل حلو ابن الكلمة لا ابن السياسة. فاختاروه واجهة ممتازة من خلالها يعملون. هم يعملون سياسة وهو يعمل ثقافة.

■ ما هو دور فؤاد بطرس والياس سركيس وموقعهما في الشهابية مع فؤاد شهاب وبعده؟

ـ كان فؤاد بطرس من الداعمين لمجيء شارل حلو.

■ وقصته مع شهاب؟

ـ بدأ معه. قصتهما مع شهاب متشابهتان. أتى بهما فؤاد شهاب من الإدارة إلى السياسة. فؤاد بطرس خرج من الإدارة بسرعة ودخل إلى السياسة بسرعة، في حين ان الياس سركيس خرج من الإدارة إلى السياسة لكنه بقي موظفاً في الادارة. وهذا هو الفرق. فؤاد بطرس كان في سلك القضاء وأخرجه منه فؤاد

شهاب ورشحه للسياسة فوراً وللنيابة. وكان الولد المدلل عند فؤاد شهاب، وعمل معه وزيراً للعدل. الياس سركيس لا. سحبه فؤاد شهاب من وزارة المال وأبقاه عنده. وقصة الياس سركيس مع فؤاد شهاب أخبرني إياها الياس سركيس: كان هناك تقليد في الجيش يقضي بتسهيل كل المعاملات وأوامر القبض المرسلة من وزارة الدفاع الوطني إلى وزارة المال من دون إخضاعها للتدقيق والمراجعة في وزارة المال. كانت تسوى لتوها. يومها كان الياس سركيس مفتشاً في وزارة المال. عام ١٩٥٨، تحول ملف من وزارة الدفاع إلى وزارة المال، فدقق فيه الياس سركيس ولاحظ فيه أخطاء أو عيوباً شكلية، فردّه إلى وزارة الدفاع. عندها استدعاه فؤاد شهاب وكان قائداً للجيش آنذاك واستفسر منه سبب رده الملف، فأجابه عن الأخطاء. فدقق فؤاد شهاب وتأكد منها. ومن يومها أثار الياس سركيس اهتمام شهاب الذي ما أن أصبح رئيساً للجمهورية حتى استدعى سركيس وأبقاه إلى جانبه في القصر الجمهوري نظراً إلى دقة عمله. ولم يكن يوحي الياس سركيس في المرحلة الأولى آنذاك بأن لديه طموحاً سياسياً. في ظل شارل حلو بدأ يطل كنقطة لقاء بين العسكر والمدنيين. فأخذ يجمع من حوله النواب الشهابيين والعسكر الشهابي. لذلك التقى هؤلاء عام ١٩٧٠ على ترشيحه للانتخابات الرئاسية. جميعهم أجمعوا، خصوصاً العسكر، على ترشيحه إلا رشيد كرامي. وهناك تفسيرات عدة حيال هذه النقطة. لكنني أعزو معارضة رشيد

كرامي، كما أعرفه، إلى عقله السياسي المحافظ والتقليدي. لأن في رأي رشيد كرامي، الموظف لا يصير رئيساً للجمهورية. لم يقل لي ذلك مرة. وكلما سألته كان يضحك دائماً من دون أن يجيب. وكان القول المنقول عنه وقتها أن الذي يبكل زر سترته أمامي لا يستطيع أن يكون رئيساً عليّ. هناك اعتبار البكوية والزعامة والتقليد والإرث عند رشيد كرامي. علماً أن بين الياس سركيس ورشيد كرامي تفاهماً كبيراً. ورشيد كرامي كان أول من رشح في ١٩٧٦ الياس سركيس لرئاسة الجمهورية، ومع ذلك لم يأتِ مرة رئيساً للحكومة في عهده وربما بسبب مسألة البكوية والموظف الذي صار رئيساً.

■ من هم تلامذة الشهابية الحقيقيون؟

ـ الياس سركيس وفؤاد بطرس طبعاً. أما من العسكر فالأكثر شهابية الذي لا ينفك يكرر ذلك هو غابي لحود، لكنه لم يمارس الحكم بعد شهاب. بعد المكتب الثاني عام ١٩٧٠ وملاحقته قضائياً ترك البلاد ولم يتبوأ أي مركز رسمي. أما الذين ظلوا يدّعون الانتماء إلى الشهابية ومارسوا الحكم فأبرزهم الياس سركيس وفؤاد بطرس. هناك شهابيون كثيرون لكنهم لم يمارسوا السلطة. الياس سركيس كان الأكثر شهابية. في أثناء رئاسته ظل كل الوقت يفكر، عند اتخاذه أي قرار، لو كان فؤاد شهاب محله ماذا كان يفعل؟ كان فؤاد شهاب بمثابة

عرابه السياسي. وكان يردد بأنه يستلهم من فؤاد شهاب قراراته. ويجري المقارنة بينه وبين فؤاد شهاب إزاء أي حدث أو قرار مهم. كان يحتاج إلى فؤاد شهاب عندما يريد أن يقرر. فؤاد بطرس شهابي حتى العظم في المعنى الدقيق للكلمة، خصوصاً عندما يطل كرجل دولة ونظرته إلى الدولة. اللواء أحمد الحاج كان يقول إن مرجعه هو فؤاد شهاب. بالنسبة إليه كان، من بين العسكريين الشهابيين، الأكثر اعتقاداً بأن فؤاد شهاب هو مرجعيته الفكرية، أكثر من سامي الخطيب الذي يعتبر نفسه شهابياً أيضاً، لكنه لم يَعتبر، أي سامي الخطيب، أن شهاب هو المرجعية أو أن هناك ثوابت شهابية. أحمد الحاج على نقيضه كان يرفض الخروج على المرجعية الشهابية. غابي لحود لم يمارس السلطة حتى تتبين شهابيته.

■ ما هي الثوابت الشهابية؟

ـ هي مفهوم فؤاد شهاب للدولة التي ذكرتها سابقاً، أضف إليها فكرة التعايش الإسلامي ـ المسيحي كإحدى مقومات الدولة. وكان الخطاب السياسي يركز على هذه النقطة لأن من دون التعايش الإسلامي ـ المسيحي لا قيام للدولة ولا لبناء الدولة. «الأنتي شهابي» كانت تركيبته ريمون إده وغسان تويني وميشال أبو جودة وكميل شمعون، عندما ربطوا بين العسكريتاريا ـ وهذا التعبير هو لغسان تويني في وصف الشهابية ـ والشيوعية. والفضل الأساسي في هذا الربط بين الشهابية والشيوعية هو

لريمون إده. لا شك في أنه حصل تضخيم لتجاوزات الشهابية. حصلت تجاوزات لكن ليس في عهد فؤاد شهاب بل في عهد شارل حلو نتيجة ضعف الرقابة الصارمة على الأجهزة العسكرية مما أدى إلى التجاوزات، لكن ليس على النحو الذي ضُخمت به وكأنها لا تطاق أو كأننا صرنا في سجن كبير كما لو أن الشهابية هي نظام حكم عربي كما شبهوها بذلك. وهذا غير صحيح. المأخذ الكبير عليها كان هو أن الشهابية تمس الحريات عن طريق العسكريتاريا. وكان هناك تخوف، لكن بنسبة أقل، من أن الشهابية ذاهبة في نطاق توسيع القطاع العام على حساب القطاع الخاص.

■ **هل عرفت الشهابية قبل الياس سركيس؟**

ـ رأيت فؤاد شهاب مرة واحدة مع موريس الجميل. كان ذلك قبل انتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠، وكان موريس الجميل وزيراً. زرنا شهاب في منزله في صربا. وما بقي من ذلك اللقاء مرتسماً في ذهني أن فؤاد شهاب يدخّن كثيراً والسيجارة لا تفارق يده وآثار التدخين على أصابعه. حمل على كل السياسيين دفعة واحدة. موريس الجميل من هذا النوع أيضاً، لكنه يختلف عن فؤاد شهاب لجهة اعتقاده بأن هناك جهلاً سياسياً، أي أن السياسيين جهّل تنقصهم المعرفة والثقافة. التقيا، فؤاد شهاب وموريس الجميل، على استغباء السياسيين. إلا أن فؤاد شهاب ينظر إلى هذه الزاوية من الناحية الأخلاقية،

أي أن السياسيين ذوو مصالح ومعظمهم «حرامية» وتنقصهم النظرة الوطنية. وأتذكر أنه قال لموريس الجميل إن البرنامج الذي وضعناه هو الأفضل، لكننا نسينا بعداً هو التربية والإنسان. فؤاد شهاب فهم في نهاية المطاف أنه يوجد، إلى أهمية الجيش والتنظيم المالي والقانون والدولة والإدارة والنظافة، تنمية الإنسان. وكان يتكلم عن هذا البعد بشيء من الحسرة كونه لم يحظ بالأهمية اللازمة. وكانت عنده حسرة على أفواج الذين تربوا على يديه أو شجعهم بأنهم يلهثون وراء السياسة ولا أحد يعمل في المضمار الوطني.

■ **متى عرفت الياس سركيس؟**

ـ أخذني إليه راجي عشقوتي في المرة الأولى في مصرف لبنان. عند دخولي حدّق فيّ ملياً، وقال لي بعد فترة قصيرة ما أعتبره مواجهة حميمة: هيدا إنت! قلت له: نعم، قال لي: شو متعبنا إنت! وأضاف: على أيامنا (المكتب الثاني) وأيام الرئيس شهاب كنا نلاحقك على أساس كنا نعتبرك من المخربين. ومعلوم أن الاقتراب والتماس مع الياس سركيس صعب جداً. فهو رجل بارد جداً ويحتاج إلى وقت طويل ليثق بالغير. كان فؤاد شهاب، أضاف الياس سركيس، كلما جيء بملف عنك يقول: حوّلوه عليّ. ومرة نبّه فؤاد شهاب بيار الجميل، وقال له إن هناك كتائبياً عندك يحركش بالطلاب ويطرح أفكاراً نعتبرها خطراً على النظام. علماً أن بيار الجميل لم يخبرني هذه الحادثة

على الإطلاق، وعرفتها من الياس سركيس. كان فؤاد شهاب يقرأ مباشرة كل المعلومات الواردة إليه عنّي. وهذا يظهر وجهاً آخر لفؤاد شهاب هو وجه اليمين الإصلاحي، لكنه في حقيقة واقعه يميني. وكان يخاف أن يظهر من اليمين، أي تحديداً من الكتائب ما يمكن أن يخرّب له عمله. كان يعرف مواجهة اليسار إلا أنه كان يهتم بالحيلولة دون حصول خروقات في صفه، أي من اليمين. وكان يعتبرنا خطراً.

لم يقل لي شهاب أي كلمة. وقد استغربت أنه لم يبد حيالي أي رد فعل. بالنسبة إليّ لم أعرفه عن قرب كثيراً، كنا مهتمين بالحركة الطالبية في الجامعة اللبنانية بين ١٩٦٣ و١٩٦٤. في تلك الفترة كانت الحركة الطالبية هي أهم تحرك في الشارع اللبناني، من إضرابات وتظاهرات، ذلك أنها كانت حاملة كل ثمار التغيير وطموحاته. يومها الحركة العمالية لم تكن متحركة لأن مطالبها كانت تنفذ، والدولة الشهابية أعطت العمال أكثر مما طالبوا به. على الصعيد الاجتماعي كانت الدولة متقدمة، وعلى الصعيد التربوي متخلفة.

■ ماذا كان يقول بيار الجميل عن فؤاد شهاب في الاجتماعات الحزبية داخل الكتائب؟

ـ كان بيار الجميل معجباً للغاية بفؤاد شهاب. وكانت تجمعهما أخلاقية الدولة ومفهومها، والجيش والحفاظ على النظام، وكان بيار الجميل الحليف والغطاء المسيحي لفؤاد شهاب. لم أسمع

مرة بيار الجميل ينتقد فؤاد شهاب على رغم الهجمة المسيحية التي حركها «الحلف الثلاثي». عام ١٩٦٤ كان بيار الجميل يقول عن انتخابات رئاسة الجمهورية: إذا نزل فؤاد شهاب أنا لا أنزل ضده. وإذا ترشح سواه فأنا سأترشح. وبالفعل ترشح بيار الجميل ضد شارل حلو. عام ١٩٧٠ عندما خاض بيار الجميل مع «الحلف»، أي مع كميل شمعون وريمون إده، انتخابات الرئاسة إلى جانب سليمان فرنجية وانتصر فرنجية واعتُبر هذا الانتصار لحزب الكتائب الذي وقف مع سليمان فرنجية ضد النهج، أتذكر تماماً أن بيار الجميل غادر مجلس النواب إلى بيت الكتائب في الصيفي، وكنت هناك وبدا وجهه أسود، وحاول شباب الكتائب حمله في أجواء هيصة واحتفالات بسقوط العهد الشهابي والياس سركيس، راح بيار الجميل يدفش هؤلاء الشباب بعصبية كلية وصعد إلى الدرج منرفزاً. وفي مكتبه كان شارد الذهن وحزيناً، ولم يقل أي كلمة. كان يحك وجهه وفي حال عصبية يعيش مرارة. وشعرت آنذاك كأنه يعاني ذنب اقترافه خطأ إسقاط الشهابية ومماشاة التيار المسيحي الهادف إلى إسقاط الشهابية. كان عقدة ذنب بالنسبة إليه. مكثنا معه نحو ربع ساعة في مكتبه، ثم غادره بعصبية.

■ هل تتذكر صورة، في تلك المرحلة، عن العلاقة بين الشهابية وحزب الكتائب؟

ـ كان فؤاد شهاب مصراً على أن يكون بيار الجميل أو من

يسميه برضاه في كل حكومة. أتذكر إحدى المرات التي عصيت فيها عملية تأليف حكومة، فنزل فيليب تقلا إلى بيت الكتائب لإقناع بيار الجميل بالمشاركة. وكثيراً ما كان غابي لحود وسواه من المكتب الثاني على صلة بين الشهابية والكتائب. وكانوا يشركون بيار الجميل في قرار الدولة ويطلعونه على المعلومات في الحكم. لكن لم يكن هناك خيط شخصي بين بيار الجميل وفؤاد شهاب. فهذا شيخ وذاك أمير. دائماً هناك مسافة بينهما، لكن كان يجمعهما الاحترام المتبادل والنظرة المتشابهة إلى الأمور. كان بيار الجميل يدافع باستمرار عن فؤاد شهاب، ويراعي من على يمينه كميل شمعون ومن على يساره فؤاد شهاب، ويقيم توازناً بينهما. لعب بيار الجميل اللعبة مزدوجة. في عهد فؤاد شهاب لعب لعبة «النهج» ضد كميل شمعون وريمون إده، وفي عهد شارل حلو لعب لعبة «الحلف الثلاثي» ضد «النهج». لكن دائماً كان بيار الجميل يلعب لعبة اقتناعاته. كان في خط فؤاد شهاب. وأخبرني مرة جوزف شادر أن فؤاد شهاب كان يتبنى معظم المشاريع التي تتقدم بها الكتائب ويطرحها باسم الدولة أو يعدّل فيها حتى لا يتبين أنها فكرة كتائبية وتقوم القيامة عليها.

■ **كان هناك فريق عمل للتنسيق بين الشهابية والكتائب! ممن كان؟**

ـ كان الياس ربابي أساساً، وبعض الشيء طانيوس سابا

وجورج عميرة. لكن في رأيي أفضل ضابط تنسيق كان بيار الجميل نفسه خصوصاً في مرحلة فؤاد شهاب. كانت القرارات تتخذ بين شخصين اثنين: فؤاد شهاب وبيار الجميل. وكان هناك علاقة موازية أقامها فؤاد شهاب مع كمال جنبلاط في الطرف الآخر. أمسك فؤاد شهاب بالمسيحيين من خلال بيار الجميل وبالمسلمين من خلال كمال جنبلاط. وعبرهما كان ينجح في تأليف حكوماته التي كانت حكومات وحدة وطنية. لم تكن أمام فؤاد شهاب خيارات كبيرة، ولم يكن أمامه إلا بيار الجميل. فهو في صراع مفتوح مع كميل شمعون منذ انتخابه رئيساً للجمهورية، أي منذ ١٩٥٨ والبعض يقول إن هذا الخلاف قام عام ١٩٥٢ عندما ترأس فؤاد شهاب وهو قائد للجيش حكومة انتقالية على أثر استقالة بشارة الخوري، إذ كان يرغب هو في أن يكون رئيساً للجمهورية، فحلّ محله كميل شمعون. وكميل شمعون عام ١٩٥٨ سلّم الرئاسة لفؤاد شهاب رغماً عنه. وتبلور هذا الصراع عام ١٩٥٨ عندما رفض شهاب زج الجيش في الحرب الأهلية آنذاك. لم يكن هناك مجال للتفاهم بين كميل شمعون وفؤاد شهاب. أما بين فؤاد شهاب وريمون إده فلم يصمد هذا التفاهم أكثر من سنة واحدة، بعدها لم تتوافق مزاجية ريمون إده مع فوقية فؤاد شهاب.

■ **هل ظلت العلاقة هكذا بعد فؤاد شهاب بين الكتائب والرئيس شارل حلو؟**

ـ مع شارل حلو تبعثرت العلاقة ولم تعد مضبوطة بعد فؤاد شهاب. الدولة لم تعد برأس واحد بل بأكثر من رأس وصارت هناك أكثر من قناة مفتوحة على الكتائب من الدولة ذاتها. الجيش يتعاطى مع الكتائب بطريقة، وشارل حلو يتعاطى بطريقة أخرى، ورشيد كرامي يتعاطى مع الحزب بطريقة. قبل ذلك كانت محصورة بين فؤاد شهاب وبيار الجميل.

■ شارل حلو هل كان شهابياً؟

ـ هناك قصة أنقلها عن خوري يسوعي. شارل حلو كان تلميذ اليسوعيين وعلاقته بهم حميمة، ويفخر بأن يكون يسوعياً بالمعنى السياسي والثقافي للكلمة. واليسوعيون يفخرون به ويعتبرونه رئيساً حقيقياً للجمهورية على رغم أن قيادات كثيرة تخرجت من مدارسهم. شارل حلو كان الأبرز، وكان له، على الطريقة اليسوعية، مرشد روحي. أحد الآباء اليسوعيين أخبرني أنه في السنة الأولى بعد انتخاب شارل حلو رئيساً، وانسجاماً مع التقليد المعمول به لجهة افتتاح رئيس الجمهورية السنة الدراسية في الجامعة اليسوعية، حضر شارل حلو الاحتفال محاطاً بالآباء اليسوعيين، فسأله أحد الآباء: ما هو أهم شيء تريد تحقيقه في عهدك؟ أجابه شارل حلو: إنهاء الشهابية. مما يدل على أن شارل حلو لم يكن شهابياً. وصل عن يد الشهابية إلى الرئاسة لكنه لم يكن مقتنعاً بها، علماً أن الدولة كلها لم تكن شهابية. وعندما أُتيح له تغيير التوازن في الدولة تخلّص

من الشهابية مما شجّع وصول سليمان فرنجية إلى الرئاسة على حساب الياس سركيس، وقبل ذلك كانت الانتخابات النيابية في ١٩٦٨.

■ هل كان الياس سركيس يحكم على الطريقة الشهابية؟

ـ نعم مع فارق هو أنه لم تكن عنده، كفؤاد شهاب، قوة الجيش. الياس سركيس تعاطى على طريقة فؤاد شهاب لكن من دون جيش. وهذه نقطة ضعف أساسية لم تسمح له بأن يمارس السلطة كتلك التي مارسها فؤاد شهاب. على الصعيد العربي كان الياس سركيس واضح الاتجاهات ويعتبر أن الاتفاق الذي حصل في ١٩٥٨ بين فؤاد شهاب وعبدالناصر يوازي الاتفاق الذي حصل في ١٩٧٦ بينه وبين حافظ الأسد، سورية حلت محل مصر في لبنان في ما يتعلق بالسياسة الخارجية اللبنانية وحافظ الأسد حل محل عبدالناصر في التعاطي بالشأن اللبناني.

وجرّب الياس سركيس أن يفعل مع حافظ الأسد ما قام به فؤاد شهاب مع عبدالناصر، أي أن فؤاد شهاب أعطى تقريباً لعبدالناصر السياسة الخارجية وعبدالناصر مشى مع فؤاد شهاب في السياسة الداخلية. في كل مرة يكون للبنان موقف خارجي كان فؤاد شهاب يمشي وفقاً لما يريده عبدالناصر، وفي كل مرة تقع مشكلة داخلية في لبنان كان عبدالناصر يمشي وفقاً لما يريده فؤاد شهاب. الياس سركيس حاول التوصل إلى الاتفاق نفسه. على الصعيد الخارجي تعليماته واضحة وهي: حيث

تكن سورية يكن لبنان في الموقفين العربي والدولي، وكان يدافع عن سورية أمام الغرب وأمام العرب الآخرين. وكان يعتبر في المقابل في السياسة الداخلية أن على سورية مساعدته، لكن هذا الشيء لم يكن يحصل تماماً لأن الفارق الكبير هو أنه لو كان عند الياس سركيس جيش لما استعان بالجيش السوري، ولكان التعاون بين لبنان وسورية متوازناً، لكن التوازن اختل بمجرد دخول الجيش السوري إلى لبنان بحيث صار جزءاً من التركيبة اللبنانية بدلاً من أن يكون جزءاً من العلاقة بين دولة ودولة.

■ **أين ضُرب عهد الياس سركيس؟**

ـ في «كمب ديفيد». كان الياس سركيس يتكل على تركيبة تقوم عليه وعلى سورية و«الجبهة اللبنانية»، خصوصاً حزب الكتائب داخل «الجبهة». كان يهمه استمرار التوافق السوري ـ المسيحي حتى يستمر هو في الحكم المتوازن في لبنان. هذه التركيبة ـ السيبة تختصر كل نظرية الياس سركيس وهذا هو التحالف الذي جاء بالياس سركيس رئيساً، فهو وصل إلى الرئاسة بفضل دعم السوريين و«الجبهة اللبنانية». في المقابل، في الطرف الآخر، كان الفلسطينيون يدعمون «الحركة الوطنية». وعندما كانت تتلبد الأجواء بين سورية و «الجبهة اللبنانية» وتحصل خلافات صغيرة كان باله ينشغل كثيراً. وبقدر ما يكون الخلاف صغيراً يكبر همّه. وعندما زار أنور السادات القدس قال لي: يا كريم،

خلص اختل كل شيء. السوريون والفلسطينيون يجتمعون معاً ومعهم «الحركة الوطنية»، والمسيحيون سيخافون من هذا التحالف ويزيد التباعد بينهم وبين سورية، والسيبة التي أقف عليها ستهتز. واستعمل هذا التشبيه: أنا سأنفسخ من جراء ذلك، رِجل عند سورية ورِجل عند «الجبهة». وكلما رشد كل من الطرفين إلى جهته أنفسخ أنا وتنفسخ معي الدولة. ومنذ ذلك النهار بدأ يقول: «أنا سأدير الأزمة، ولن أحلها». وطرح في ذلك الوقت شعار إدارة الأزمة لا حلّها. قبل ذلك كان متأكداً من أنه رئيس حل الأزمة، خصوصاً بعد قمتي الرياض والقاهرة عام ١٩٧٦ ومصالحة الرئيسين الأسد والسادات، وظل يتصرف على أساس حل الأزمة في ظل توافر الشروط الخارجية والتضامن العربي ودعم مصر لسورية في لبنان، فضلاً عن توافر الشروط الداخلية على أساس بناء الوفاق الوطني. وأصرّ في أول حكومة حاول تأليفها على توزير كمال جنبلاط وبيار الجميل، لكن بسبب الفيتو السوري على كمال جنبلاط آنذاك كان يتعذر عليه تأليف حكومة سياسية، فارتدّ إلى تأليف حكومة سُميت «تكنوقراط» برئاسة سليم الحص. كان الياس سركيس يريد تكرار تركيبة حكومة فؤاد شهاب عام ١٩٥٨ على أثر الثورة يكون فيها بيار الجميل وكمال جنبلاط ويحكم الياس سركيس من خلالهما في الداخل وبالاتفاق مع سورية في الخارج. وكان قد أمّن الظروف الخارجية للحل وبقيت الشروط الداخلية، حتى جاءت زيارة أنور السادات للقدس. يومها زرته

في بعبدا وكان وجهه أسود وقال لي: الآن يبدأ تحالف سوري ـ فلسطيني مع «الحركة الوطنية» سيقابله المسيحيون بالارتداد والسعي إلى التحالف مع إسرائيل.

■ **هل قال ذلك أمامك؟**

ـ طبعاً طبعاً. كان دائماً يخاف أن يرتد الخلاف السوري ـ المسيحي إلى تعاون بين المسيحيين وإسرائيل.

■ **هل كانت معلومات أم مجرد تقدير؟**

ـ كان تقديراً.

■ **هل كانت نظرة الياس سركيس إلى السياسيين كنظرة فؤاد شهاب إلى السياسيين؟**

ـ لا. كان الياس سركيس يرتاب بالسياسيين، وليس كفؤاد شهاب يرتاح إلى كل العسكريين. لم تكن عنده النظرة الفوقية كفؤاد شهاب في تصنيف السياسيين: إما حرامية أو أصحاب مصالح. كان سركيس يعتبر أن هناك سياسيين نظيفي الكف وأن هناك سياسيين سيئي السمعة. وهو يريد التعامل مع السياسيين النظيفي الكف. بالنسبة إلى الشهابيين هناك رجل دولة واحد هو فؤاد شهاب والباقون سياسيون.

■ **هل كان الياس سركيس مؤمناً بأن الشهابية تقود إلى الحل من خلال إدارة قوية؟**

ـ كان مقتنعاً بوجود «نيو ـ شهابية»، ويقول لي أريد أن أقيم الـ«نيو ـ شهابية». السركيسية هي الشهابية الجديدة.

■ **بماذا كان يميزها عن الشهابية الأم؟ بالشخص؟**

ـ ربما بالشخص ويمكن بالمتغيرات. على الصعيد الخارجي سورية محل مصر، وعلى الصعيد الداخلي كان يأخذ في الاعتبار قيام قوى جديدة مثل العنصر الشيعي الذي لم يكن في أيام فؤاد شهاب عنصراً مؤثراً. كان هناك كامل الأسعد وقبالته شيعياً نبيه بري. وهنا كان يقيم توازناً وقد وعى دور الشيعة والبعد الشيعي وكان من همومه. وكان همّ الياس سركيس الاقتصاد أكثر من الاجتماع. الأولوية عنده هي للاقتصاد والبناء والإعمار، في حين كان البعد عند فؤاد شهاب اجتماعياً وإدارياً. وكان يرعى مباشرة الليرة اللبنانية للإبقاء عليها قوية. وكان يهمه مجيء المساعدات الاقتصادية. وهذا لم يكن عند فؤاد شهاب. هناك مسألة أخرى هي أن فؤاد شهاب كان يعتبر نفسه زعيم الزعماء وأمير الزعماء. علاقته بالسياسيين كانت فوقية. كمال جنبلاط لم يكن يخاف إلا من فؤاد شهاب. وفرحته كانت كبيرة عندما سقطت الشهابية. بيار الجميل كان يهاب فؤاد شهاب. كميل شمعون كان في قطيعة تامة مع فؤاد شهاب وكان يخشى الاصطدام به ويكتفي بتلقي الضربات. إذاً كان زعيم الزعماء. أما الياس سركيس فكان رئيس جمهورية، ويعتبر أن الزعامة هي للآخرين. هو الرئاسة وهم الزعامة. لا بل كوّن فكرة مهمة عندما قال إن رؤساء الأحزاب هم رؤساء

الطوائف. وكما اعترف برؤساء الطوائف اعترف برؤساء الأحزاب، «أنا مش زعيم عليهم، بل رئيس جمهورية، أي رئيس وفاقهم، وألتقي حيث يلتقون، نقطة اللقاء بين الزعماء». وهو بالتالي يحكم من خلال توافق الزعماء. في حين أن فؤاد شهاب كان يعتبر أنه يستطيع إجبار الزعماء على التفاهم. كان فارضاً وفاق الزعماء على الزعماء. السركيسية هي دولة أضعف بأحزاب أقوى، في حين أن الشهابية هي دولة أقوى بأحزاب أضعف. خطأ فؤاد شهاب يوقع ميشال عون نفسه فيه. العسكر يعتبرون أنهم ليسوا في حاجة إلى حزب، وتالياً الإطار التنظيمي لهم هو الجيش والمؤسسة العسكرية. شارل ديغول فور تركه الحكم عمل على تنظيم حزبي، لأن الجيش للوطن والدولة. والديغوليون بعد ديغول اعتمدوا التنظيم الحزبي والشعبي للاستمرار. وهذا ما لم يفعله فؤاد شهاب ولا الشهابيون. أيام فؤاد شهاب كان المكتب الثاني هو الذي يهتم بالانتخابات النيابية والبلدية والاختيارية. وبعده استمر المكتب الثاني في هذا لأنه شعر بأن لا حاجة به إلى حزب، فظل يدير البلاد بهذه الطريقة، ومن خلال المؤسسة العسكرية تدار المؤسسة السياسية. وعندما طارت الدولة من أيدي الشهابيين في أول السبعينيات لم يكن عندهم نواة حزب للاستمرار، فتشتتوا.

■ **ماذا كان يقول الياس سركيس عن سليم الحص مثلاً؟**

ـ الياس سركيس نظر دائماً إلى سليم الحص كرجل اقتصاد

واختصاص أكثر منه رجلاً سياسياً على رغم أن سليم الحص انتقل سريعاً من الاقتصاد إلى السياسة، وما لبثا أن اختلفا في السياسة. ومع ذلك ظلت نظرة الياس سركيس إلى سليم الحص كرجل اختصاص واقتصاد. وكان يقلل من مسؤولية الأخطاء السياسية لسليم الحص على أساس أنه ليس رجلاً سياسياً. في ١٩٧٩ وصلا إلى حالة فراق سياسي حاد وكان لكل منهما منطقه الخاص. كان الرئيس سركيس يتسامح مع سليم الحص في السياسة. أول حكومة أراد سركيس تأليفها لم يفكر في سليم الحص رئيساً لها، بل كان يريده رئيساً لمجلس الإنماء والإعمار. وهذا المجلس وضعه الرئيس الحص بخط يده وأنا قرأته. أتذكر أننا مرة كنا نلعب البليارد، الياس سركيس وأنا، قال لي بعدما نظر إلى ساعته: سيأتي إلى عندي الآن الدكتور سليم الحص. يومذاك كان الياس سركيس لا يزال رئيساً منتخباً للجمهورية، وأردف: هذا شخص مهم وأريد منك أن تتعاون معه لأنه ممتاز. وأغدق عليه كل الصفات الحسنة. لاحقاً أطلعني الرئيس سركيس على ملف مجلس الإنماء والإعمار قائلاً لي إن سليم الحص هو الذي وضعه، كان ذلك في حزيران ١٩٧٦، كان الياس سركيس يريد سليم الحص إما رئيساً لمجلس الإنماء والإعمار أو وزيراً للتصميم العام بعد إلحاق مجلس الإنماء والإعمار بهذه الوزارة. وخلال خلافهما في ١٩٧٩ على الجيش وبشير الجميل ومصير «جيش لبنان العربي» كان الياس سركيس يدافع عن سليم الحص إزاء كل كلام عنه أو تعرض له.

كان يقول: ليس هذا هو تفكير سليم الحص، وهو واقع تحت ضغوط الفلسطينيين والرئيس ياسر عرفات. وظل يحمّل «أبو عمار» المسؤولية ويرفض الاعتراف بمسؤولية سليم الحص الذي بقي على رغم خلافهما يحفظ له كل تقدير.

■ وكيف كانت نظرته إلى بشير الجميل؟

ـ من الأزعر إلى رجل الدولة. في البدء لم يكن الياس سركيس يطيق سماع اسم بشير الجميل وكان يعتبره أزعر فعلياً، لكن بشير سرعان ما تطور بسرعة والتقط اللعبة. عندها بدأت تتغير نظرة الياس سركيس إليه وصار ينظر إليه على أنه بيار الجميل آخر، خصوصاً أن بيار الجميل كان يساعده. مثلاً في كل مرة تطالب الدولة بيار الجميل بموقف كان يحيلها على بشير. عندما كان يحصل إطلاق النار كان بيار الجميل يقول للدولة أنا موافق على وقف إطلاق النار لكن شوفوا بشير. كانت تضايق الياس سركيس إسرائيلية بشير الجميل. وهي مسألة دقيقة بالنسبة إلى الياس سركيس. وأذكر قولاً لالياس سركيس بعد كامب ديفيد عندما وجه مناحيم بيغن إليه وإلى الرئيس حافظ الأسد نداءً للاجتماع به في القدس. قال لي: الإسرائيليون يعتقدون بأن لبنان سيكون ثاني دولة تعقد معهم صلحاً منفرداً. لكنني أقول إنه سيكون الدولة الأخيرة. كان الياس سركيس يتكهرب من إسرائيل. شعبية بشير الجميل فرضت نفسها على الياس سركيس الذي كان يعجب بالأشخاص الشعبيين لأنه لم

يكن شعبياً. الإنسان يعجب دائماً بما لا يملكه. ومنذ ذلك الوقت بدأ يتعاطى مع بشير إلى أن نجح الأخير في خلق نموذج أمني في المناطق الشرقية وبدأ يتكلم في خطابه السياسي كرجل دولة. ومن وقتها بدأ الياس سركيس يقول: والله يا ريت يصير لنا رئيس مثل بشير! في مرحلة لاحقة صار يقول: يمكن يكون بشير! وفي المرحلة الأخيرة أخذ الياس سركيس يقول: لازم يكون بشير. والمعيار كان أن بشير الجميل هو الوحيد الذي يستطيع أن يؤمن وحدة لبنان ـ وهذا كان شرط الياس سركيس ـ أي مساحة الـ ١٠٤٥٢ كيلومتراً مربعاً للبنان، وثانياً أن يعيد هيبة الدولة. وهنا لعبت النزعة الشهابية دورها في الياس سركيس في أن يكون بشير هو الرئيس. الصورة المعطاة عن بشير أصبحت التوحيدي عوض التقسيمي، ورجل دولة عوض أن يكون رجل ميليشيا، كان الياس سركيس عندها يستحضر صورة فؤاد شهاب.

■ وعن كميل شمعون... هل انتقلت عدائية فؤاد شهاب له إلى الياس سركيس؟

ـ كان هناك ود مفقود بين الياس سركيس وكميل شمعون. كان كميل شمعون يتصرف بالعبسة مع الياس سركيس. والمحيطون به ـ وأنا لم أسمع شخصياً منه هذا الكلام ـ يقولون إنه يكفي أن يعبس كميل شمعون حتى يرضخ الياس سركيس. في المقابل كان الياس سركيس يعتبر كميل شمعون شراً لا بد منه. ولم يكن

يستطيع تجاهله لكونه رقماً صعباً في المعادلة. لكن لم يكن يرتاح إليه. كان هناك دائماً ود مفقود بين الرجلين ومن الجهتين نظراً إلى خلفية الصراع الذي كان بين كميل شمعون والشهابية. داني شمعون على عكس والده. كانت شخصيته تستهوي الياس سركيس. داني كان حبوباً ولم يكن متعصباً لموقف. يسمع ويتأثر بالكلام. وبعد أحداث الصفرا في ٦ تموز ١٩٨٠ التي نفذها بشير الجميل ضد حزب الأحرار لقي سركيس احتراماً كبيراً من داني شمعون. اذ أوقف سركيس اضطهاد بشير لداني شمعون وسعى إلى مصالحتهما بشكل مستمر.

■ هل كان الياس سركيس يراهن كفؤاد شهاب على الكتائب؟

ـ كان الياس سركيس يصف لي بيار الجميل بأنه رجل وطني. كان يقول لي: سليمان فرنجية أعرف وطنيته وكميل شمعون أعرف شعبيته وذكاءه وفهمه السياسي، وبيار الجميل قد لا تكون عنده كل الصفات هذه، لكن صفته الأساسية هي أنه رجل وطني. وأنا أساوي في ما بين هؤلاء الثلاثة، لكن أترك دائماً حبة زائدة لبيار الجميل. وهنا أيضاً تجربة الياس سركيس، الشهابية. الياس سركيس اعتبر في مرحلة أولى بشير الجميل بيار الجميل آخر نظراً إلى شعبيته المسيحية الكبيرة، وفي مرحلة ثانية اعتبره فؤاد شهاب آخر بعدما أصبح رجل الدولة القوي والموحد.

■ من هو فؤاد بطرس عند الياس سركيس؟

ـ إنه صانع السياسة الخارجية لالياس سركيس طوال ست سنوات، وكان حلّال المشاكل الداخلية. وهذا كان انطلاقة فهم مشترك بين الياس سركيس وفؤاد بطرس حول الديبلوماسية. كانا يكرران أن لا سياسة خارجية للبنان. كل سياسة خارجية تساهم في الوفاق الداخلي هي سياسة جيدة. وكل سياسة خارجية تؤدي إلى خلاف داخلي هي سيئة. كان فؤاد بطرس ينظّر لهذا المفهوم. السياسة الخارجية للبنان تنبع من سياسته الداخلية. لذا كانت المهمة التي كلّف الياس سركيس فؤاد بطرس بها هي المحافظة على التوازن الخارجي بين سورية والولايات المتحدة. وكان الياس سركيس وفؤاد بطرس يكرران أنه كلما تقاربت أميركا وسورية ارتاح لبنان، وكلما تباعدتا يتعب لبنان. وكان فؤاد بطرس يعتبر أميركياً عند السوريين وأحياناً أعتبر سورياً عند الأميركيين.

■ وجود فؤاد بطرس في الحكم سبب التباسات كثيرة بين الياس سركيس ودمشق؟

ـ طبعاً. وفي بعض الأوقات كان هناك اثنان قوبلا بإيحاء سوري لالياس سركيس بالتخلي عنهما، ولم يترجم هذا الايحاء مرة كمطلب. وهما فؤاد بطرس وجوني عبده. كان السوريون يعتقدون بأن التخلي عنهما مريح. هذه الرغبة لم تتحول يوماً

شرطاً سورياً للتعاون مع الياس سركيس. لكن الرئيس لم يكن يوماً في وارد التخلي عنهما.

■ **هل كان جوني عبده شهابياً؟**

ـ كان شهابياً متأخراً. من أيام قائد الجيش العماد إميل البستاني الذي كان جوني عبده أمين سره في وزارة الدفاع، وكان غابي لحود رئيس المكتب الثاني يتعاطى مع جوني عبده تحت شعار حماية رئيسه ويتجسس عليه. من هنا بدأت علاقة جوني عبده بالمكتب الثاني وبغابي لحود خصوصاً.

■ **كيف كان الياس سركيس يتخذ قراراته؟**

ـ رجال الرئيس عند الياس سركيس في المرحلة الأولى كانوا ثلاثة: فؤاد بطرس وسليم الحص وجوني عبده. وفي المرحلة الثانية اكتفى بفؤاد بطرس وجوني عبده. وهذان الرجلان في النهاية هما من يتخذ معه القرار النهائي. أما الفريق الأوسع فكان يعد لتحضير القرار أو لمعرفة ما إذا كان القرار المتخذ صحيحاً أم لا؟ كان هناك فريق له صفة جس النبض والتحليل. وهو ضم رينيه معوض وأحمد الحاج وسامي الخطيب وميشال إده وفاروق أبي اللمع وميشال المر. علماً أن فاروق أبي اللمع كان يشارك أحياناً في الفريق الضيق للرئيس سركيس، أي مع فؤاد بطرس وجوني عبده.

بارومتر البرلمان والسياسة المحلية كان رينيه معوض، الحركات

اليسارية والشيوعية لميشال إده. وأنا كنت أكلّف المهمات المتعلقة بالسوريين والفلسطينيين والمسيحيين.

■ **في يد مَن مِن المستشارين كان الملف السوري؟**

ـ كان في يد فؤاد بطرس وسامي الخطيب قائد قوات «الردع» وأنا.

■ **ومهمة جوني عبده؟**

ـ كل شيء. مثل فؤاد بطرس. وكان الياس سركيس يتكل على معلومات جوني عبده وتحليل فؤاد بطرس. وفي ما بعد صار يتكل أيضاً على تحليل جوني عبده الذي نضج سريعاً.

■ **وهل كان يحضر اجتماعات المستشارين ضباط في الجيش أو عسكريون؟**

ـ هناك مسألتان لم يخلطهما الياس سركيس بفريق عمله الموسع (وأستثني هنا فؤاد بطرس وجوني عبده)، وهما قائد الجيش وحاكم مصرف لبنان اللذان لم يكن يجتمع بهما في حضورنا. لأنه، أي سركيس، كان يعتبر هذين الرجلين يخصانه مباشرة كرئيس للجمهورية. بالنسبة إلى قائد الجيش كانت تتحكم به الخلفية الشهابية. وبالنسبة إلى حاكم مصرف لبنان فإن المنصب يعز عليه لأنه كان حاكماً لمصرف لبنان سابقاً. وكان سركيس يدير مصرف لبنان مباشرة.

■ وماذا تتذكر بعد؟

ـ كان سركيس يلعب البوكر على طاولة القمار وباندفاع قوي، ويلعب البريدج في السياسة، متأنياً في مواقفه وحساباته.

كان الياس سركيس يتصرف مع الجيش بخلفية شهابية بحتة، ويتعاطى مباشرة مع قائد الجيش، وفي حضور فؤاد بطرس وجوني عبده في بعض الأحيان. ولم يكن سركيس يريد فيكتور خوري قائداً للجيش. لكنه عيّنه بعد حرب. كان يريد أساساً العميد غابي لحود قائداً للجيش، وبعد لحود كان يفضل العميد حبيب فارس. لم يكن فيكتور خوري خياره، لكنه أتى تسوية بينه وبين «الجبهة اللبنانية» التي ضغطت وعارضت رافضة لحود نظراً لما يمثله بالنسبة إلى المكتب الثاني الشهابي سابقاً. لكن فيكتور خوري سرعان ما تصرّف في الجيش بالمنطق الشهابي.

الشهابية انتهت مع فؤاد شهاب كنظام سياسي. مع الياس سركيس حصل لها نوع من الولادة الثانية. لكن الآن الشهابية والسركيسية انتهتا. السركيسية أعني بها النيو ـ شهابية. وما بقي منهما هو المفاهيم والثوابت التي تدور حول بناء الدولة. الخط الوحيد الذي كان ممكناً ومتاحاً، أو الفرصة الأخيرة، هي لو أن رينيه معوض بقي على قيد الحياة، لكان كوكب حوله الشهابيين على طريقة الياس سركيس. في ١٩٧٠ بعد انتخاب سليمان فرنجية تبعثر الشهابيون ست سنوات حتى جاء الياس سركيس

ليجمعهم حوله. مع أمين الجميل تبعثروا مجدداً حتى انتخاب معوض. ومع اغتياله انهارت آخر فرصة للشهابيين. وأي تجميع لهم اليوم صعب جداً. الرموز إما تعبت أو شاخت أو تركت لبنان أو ضاعت. وأبرز من بقي منهم هو فؤاد بطرس وآخرهم في الوقت نفسه.

لا شهابية خارج السلطة. هي لعبة سلطة. لأن لا حزباً ولا تنظيماً لهم خارج السلطة التي وحدها تجمع الشهابيين. وعندما يخرجون من السلطة يفقدون وجودهم. وأعني بالسلطة الجيش والسلطة السياسية، جاءت بالسلطة مع فؤاد شهاب ولا تنهض إلا بالسلطة. قامت بالسلطة مجدداً مع الياس سركيس، وكان ممكناً أن تقوم أيضاً لو بقي رينيه معوض على قيد الحياة.

■ كل مشروع دولة لا بد من أن يأخذ بالخيار الشهابي والمفاهيم الشهابية للدولة؟

ـ أكثر الرؤساء اللبنانيين، من بشارة الخوري إلى الياس الهراوي، نجاحاً واستقراراً وتطويراً للدولة وهيبة لها هو فؤاد شهاب الرئيس والشخص ولا أقول الشهابية مع شارل حلو مثلاً، وعلى رغم الشخصية التاريخية لبشارة الخوري التي أتت بالاستقلال والشخصية الجماهيرية الكاريزماتية لكميل شمعون والشخصية المثقفة لشارل حلو والشخصية الحزبية لأمين الجميل، يظل فؤاد شهاب هو أنجح الرؤساء.

كان فؤاد شهاب رجلاً تنقصه الشجاعة وكبرياؤه أكبر من شجاعته. وأنانيته في ذاته طغت على المصلحة الوطنية. هو الوحيد الذي كانت عنده دبابة تخيف بمقدار ما يستطيع إجراء إصلاح دستوري تحميه هذه الدبابة. رفض شهاب التجديد له في الرئاسة. أبقى لنفسه صورة المتجرد والرئيس الناجح، لكنه ارتكاب في حق المواطن والوطن، لأنه كان حقق، بعد التجديد، الإصلاح في الدولة. وربما كان أقام دولة أكثر ثباتاً وقادرة على مواجهة الرياح الخارجية العاصفة. وربما لما حدثت حرب لبنان. كان قادراً على الثورة الدستورية في حماية الدبابة من دون أن يعترضه أحد، خلافاً لما قاله في بيان العزوف عن طلب التجديد لانتخابه بأنه لا يستطيع إجراء الإصلاح إلا بالدبابة. فإما الدبابة أو الإصلاح. هذا غير صحيح.

كان المكتب الثاني يعمل على تسويق شخصية فؤاد شهاب لدى اللبنانيين وطمر شخصية كميل شمعون لدى المسيحيين خصوصاً الموارنة. وكان المكتب الثاني يوعز للتلفزيون اللبناني عندما كان شهاب يحضر قداس الميلاد أو الفصح أن يبقي العدسة مسلّطة على رئيس الدولة حتى يرسم علامة الصليب على وجهه، أو عندما يتناول القربان. ومع ذلك فإن كميل شمعون بمجرد أن يدخل إلى أصغر كنيسة كان المسيحيون والموارنة خصوصاً يتهافتون عليه.

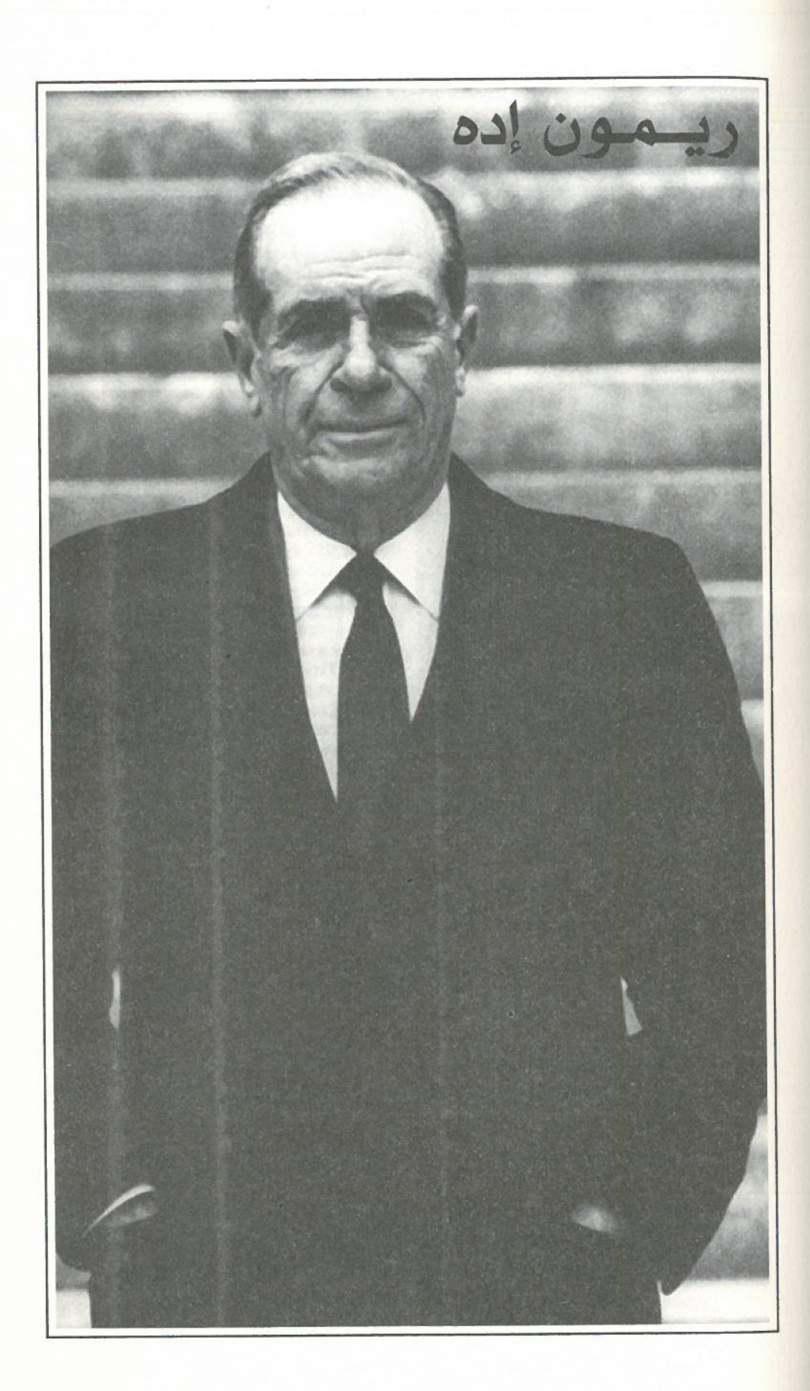
كان الياس سركيس يروي لي عن غصة في قلب الشهابيين وهي أنهم في الانتخابات النيابية عام ١٩٦٨ أنفق الشهابيون نحو نصف موازنة الدولة على انتخابات دائرة كسروان، فإذا بالناس ينتخبون «الحلف الثلاثي» ضد فؤاد شهاب والشهابيين.

كان فؤاد شهاب يرحب بكل ما مصدره فرنسي ويتكهرب من كل ما مصدره أميركي. وكان أسوأ ما ينتظره لقاءات القمة. كان يحب عبدالناصر وحده. وعندما دعا عبدالناصر أول مرة إلى قمة عربية عام ١٩٦٤ كان من حظ فؤاد شهاب أن انتخب شارل حلو. وقتها تمارض حتى لا يجتمع بالرؤساء العرب. وقد أخبرني ذلك الياس سركيس.

كان بينه وبين المسيحيين سوء تفاهم مفتوح ومات شهاب بحسرة أنه لم يحبّه المسيحيون ككميل شمعون.

أمرّ شيء على شهاب هو إلقاء الخطب في الاحتفالات والأعياد الرسمية والتقليدية. وكل مرة يدعى إلى إلقاء خطاب رسمي، كان يقول: حضّروا لي الفرض كالتلميذ في المدرسة. وكان هناك من يحرك له الكلمات في الخطاب. وكان الياس سركيس يخبرني بأنه من الذين كانوا يحرّكون لفؤاد شهاب نصوص خطبه، هو وتقي الدين الصلح. وكان ينزعج جداً من إلقاء الخطب أمام التلفزيون.

لم يكن شهاب يؤمن بالكلمة ولا يهتم بالخطب. كان فوقياً.



يعني أن على الناس أن يفهموا أننا نعمل من دون الحاجة إلى خطب.

عنده أن الحضارة هي فرنسا. وكان يصغي أكثر إلى من يتكلم الفرنسية.

ريمون إده: عميد المنفيين

اللبنانيون الذين ولدوا في السبعينيات وكبروا في الجمهوريات الضريرة وفي ظل زعامات الكسر والخلع لم تتح لهم فرصة العيش في ظل الديموقراطية التي ارتضاها اللبنانيون غداة الاستقلال. وساهمت حملة الهجاء المبرمجة التي استهدفت الجمهورية الأولى في طمس هذا الجانب الذي كان لبنان سباقاً فيه. لا خلاف على أن تلك الجمهورية حملت في داخلها خللاً كبيراً تكشّف على نحو فاضح في أواخر الستينيات، خصوصاً حين بدا أن توزيع السلطة لم يعد متناسباً مع الحقائق السكانية. ولا خلاف أيضاً على أن معظم أهل القرار في تلك الجمهورية افتقروا إلى القدرة على الاستباق، وهكذا سقطت الجمهورية نتيجة محاولة انتحار رافقتها محاولة اغتيال.

كانت الحرب مدمرة وجاء السلام مكلفاً. وإذا كان لا بد من الاعتراف لـ«الجمهورية الثانية» بإنجاز وقف الحرب فإنه لا بد أيضاً من تذكيرها بأن قيادة لبنان عشية القرن المقبل تستلزم استلهام الحقائق الديموقراطية التي كانت قائمة في لبنان. لهذا السبب، وأسباب أخرى كثيرة، كان لا بد من محاورة ريمون إده عميد حزب الكتلة الوطنية اللبنانية. ريمون إده رجل مُتعِب. هذا على الأقل ما يردده رؤساء الجمهورية والحكومات وجميع الذين خاصمهم أو خاصموه مع إقرار بعضهم بعراقة ممارسته البرلمانية وتسليمهم جميعاً بنظافة كفه. لم تطل إقامته في المقاعد الوزارية، لا بل إنها كانت عابرة. شارك في حكومتين رباعيتين استثنائيتين: الأولى برئاسة رشيد كرامي في عهد فؤاد شهاب والثانية برئاسة عبدالله اليافي في عهد شارل حلو، وفي الحالتين انتهت الرحلة باستقالته وخروجه.

لا تكتب قصة الحياة البرلمانية في لبنان من دون التوقف طويلاً عند دوره. في ١٩٥٢ أسقطه الرئيس بشارة الخوري لكنه نجح في السنة التالية في دخول البرلمان والإقامة فيه حتى ١٩٩٢، باستثناء عام واحد إثر سقوطه في انتخابات ١٩٦٤. قاطع الانتخابات النيابية الأخيرة وهكذا غاب عن برلمان

غاب عنه أولئك الذين كانوا يستحقون تسمية الأقطاب.

في الحكم كما في المعارضة، كان ريمون إده شديد التمسك بثوابت الاستقلال ومرتكزات الديموقراطية. ويوم كان المكان يتسع للمعارك السياسية لم يتردد في المجاهرة بما كان يهمس به الآخرون، وكانت الصحف تنشغل بنقل السهام التي يوجهها واللبنانيون يتناقلون تصريحات العميد ومواقفه الجريئة ونكاته اللاذعة. خصومه لا يبخلون عليه بالاتهامات وأولها العناد الذي عرف به وذهابه بعيداً في «الأحقاد»، على حد قول بعضهم، وافتقاره إلى الواقعية على حد قول البعض الآخر. ومنهم من يقول إنه يستسيغ لقب المعارض كي لا يحرق أصابعه في الحكم وكي يتفرغ لاصطياد أخطاء الآخرين. لكن عدداً غير قليل من هؤلاء يقر ضمناً بأن ريمون إده حذّر مبكراً من الأخطار المحدقة بالبلد.

في فندق «كوين إليزابيت» الباريسي طال الحديث وشمل محطات سياسية وشخصية. في الثانية والثمانين لم يتغير العميد، سألنا السياسي عن الرؤساء والزعماء وسألنا العازب الشهير عن الحب

والعزوبية والزواج. وأكد العميد أنه غير مرشح و«أرفض أن ينتخبني المجلس اللاشرعي الحالي».

■ ماذا عن علاقتك بالرئيس الياس الهراوي؟ ولماذا لا لقاء ولا حديث هاتفياً؟

ـ الياس الهراوي صاحبي، وفي المجلس النيابي كان يجلس في الجهة نفسها التي كنت أجلس فيها. لماذا لا يتصل؟ يمكن بيفزع. حين جاء إلى فرنسا ذهبت الى إسبانيا. خفت أن يتصل ويقول إنه آت لزيارتي. ويمكن أن لا يتجاسر على ذلك. أنا قلت إنه دستوري ولكن تنقصه شرعية التأييد الشعبي. ليس لديه أحد في البقاع ونجله سقط في الانتخابات. لم تعجبني طريقة وصوله إلى الرئاسة وجلوسه في أبلح. وأستغرب كيف قبل أن ينتخب قبل دفن رينيه معوض.

بالنسبة إلى انتخابات رئيس الجمهورية أقول إنه لم يتغير شيء عن الانتخابات النيابية. ماذا تغير لنغير رأينا. انتخاب رئيس الجمهورية يجب ألا يحصل من مجلس لم نعترف به. المجلس والحكومة أمر واقع. أنا لا أعترف برئيس المجلس نبيه بري. الحل هو الضغط لانسحاب المحتل الإسرائيلي وحين ينسحب الإسرائيليون لن يستطيع السوريون البقاء. عندها نجري انتخابات نزيهة وينتخب المجلس الجديد رئيس الجمهورية. إذا لم تحصل انتخابات فالحل هو أن يجتمع هذا المجلس، لا

أعترف أنا به لكن العالم يعترف، ويعدل البند الأول من المادة ٤٩ من أجل التمديد سنة للرئيس الياس الهراوي وعلى أن يحصل التمديد سنة فسنة بانتظار انسحاب الجيش الإسرائيلي. طبعاً المقصود هو الضغط وإثارة انتباه العالم ليمارس ضغوطاً على إسرائيل. ثم إن الياس الهراوي اعتدنا عليه واعتاد علينا. أما عشرات الطامحين إلى الرئاسة فيجب عليهم دفع تكاليف إعادة تعبيد طريق الشام التي تهرّأ الزفت عليها من كثرة ذهابهم وإيابهم.

■ اسم العماد إميل لحود مطروح جدياً؟

ـ أنا لا أعرفه كثيراً والذين يعرفونه يقولون إنه شخص آدمي. والده كان صديقي. أنا موقفي معروف وأنا ضد دخول العسكر في السياسة وضد ترشيح عسكري لرئاسة الجمهورية لأن خراب الجيش ينجم عن وجود عسكري في قصر الرئاسة.

■ متى تعرفت إلى الرئيس رفيق الحريري ولماذا تؤيده؟

ـ تعرفت عليه في العام ١٩٧٧ أو ١٩٧٨. كنا في عشاء مع آخرين. لم يكن في الحجم الحالي. قالوا لي إنه رفيق الحريري ويعمل في السعودية. لم أره بعد ذلك باستثناء دعوة اجتماعية لبيتها في منزله في ضاحية باريس. ومرت سنوات من دون أن نلتقي. في أيلول ١٩٨٩ اتصل بي وقال أنا رفيق الحريري. قلت له: ما غيْره، صرلك زمان ما حاكي معي. فأجاب: أريد

الاطمئنان إلى صحتك فهل هذا ممنوع. قلت: لا ليس ممنوعاً وصحتي جيدة وأريد أن أطمئنك مش رايح على الطائف، مش رايح، مش رايح. وانتهت المكالمة. أنا رفضت الذهاب لأنني لا أستطيع تصور انتقال المجلس النيابي إلى خارج البلاد للبحث في مصير لبنان. طبعاً قالوا إنه لم يكن باستطاعة المجلس الاجتماع في لبنان وأنا أقول لو رغبت أميركا لحدث ذلك.

وتبين أنني كنت على حق. في المشروع الأول وردت عبارة «انسحاب الجيش السوري» لكنها استبدلت بعبارة «إعادة تمركز». وبموجب النص الذي أقر يستطيعون التمركز في بيتي. سورية تعتبر أن السلطات اللبنانية طلبت منها الدخول إلى لبنان وهذا غير صحيح. فبيار الجميل هو الذي طلب من القيادة السورية في ٦ كانون الأول ١٩٧٥ إرسال الجيش السوري إلى لبنان كي تخلصه من وجود الفلسطينيين. وتذكرون أنني أدليت يومها بحديث إلى صحيفة «لوموند» قلت فيه إن لبنان «كان تحت الانتداب السوري وصار الآن مستعمرة سورية».

واعتبرت في ١٩٩٢ أنه لا يجوز إجراء الانتخابات النيابية في ظل احتلال العدو الإسرائيلي لأجزاء من جنوب لبنان والبقاع الغربي وفي ظل وجود ٤٠ ألف جندي سوري. وأبلغت البطريرك الماروني بأننا سنقاطع الانتخابات ونصحته باتخاذ الموقف نفسه لأن الانتخابات ستربط لبنان بمواضيع عديدة وخطيرة وبالتالي يجب مقاطعة الانتخابات بانتظار تحرير الوطن

خصوصاً أن ولاية المجلس تنتهي في كانون الاول ١٩٩٤ وهو مجلس لا غبار عليه لجهة انتخابه في ١٩٧٢. في فرنسا مددوا للمجلس النيابي خلال الحرب العالمية! لم يكن هناك خيار غير التمديد للمجلس ولم تكن هناك حاجة ملحة للانتخابات لكن جاء الأمر فحل المجلس نفسه. هذه طريقة غير دستورية لا سابقة لها، فالمجلس اختاره الشعب. حصلت الانتخابات وبلغت نسبة الذين شاركوا فيها ١٣,٧٨ في المئة من الذين يحق لهم الاقتراع فقلت إن هذا المجلس لا يمثل الشعب اللبناني.

الهراوي انتخبه مجلس ١٩٧٢ ولهذا قلت إنه دستوري. وهذا تفسير خاص بي. الحريري عين بموجب مرسوم موقّع من رئيس الجمهورية الدستوري لكن الحريري لديه ما هو أكثر مما يمتلكه الهراوي وهي شرعية مستندة إلى تأييد الشعب له فقد أيده ٨٠ في المئة من اللبنانيين لدى تكليفه برئاسة الحكومة.

أيدت الحريري ليس لأنه غني وهو اغتنى بعرق جبينه في السعودية وخارجها. للحريري شركات في فرنسا وذات يوم طالبته السلطات بضرائب باهظة فاحتجّ وقال لهم إما أن تثبتوا أن الضرائب صحيحة وأدفعها وإما أقفل شركاتي. اعتذرت الحكومة الفرنسية ومنحته لاحقاً وسام جوقة الشرف. الحريري هو الثري الوحيد الذي درّس على حسابه طلاباً يقولون إن عددهم وصل إلى ٣٠ ألفاً. هناك من يقول إنه فعل ذلك لأسباب انتخابية وإنه درّس أبناء طائفته لكن هناك إقلية مسيحية

بينهم. وأنا أقول إنه ساهم في منع انخراط هؤلاء في الميليشيات وتخرجوا أطباء ومهندسين.

من الصعب اتهام الحريري بأنه جاء إلى السلطة ليسرق. ليس محتاجاً وثروته تقدر بـ ٤ مليارات دولار. أنا شاهدت على التلفزيون كيف استقبله الرئيس بيل كلينتون باحترام. في أميركا الرجل الناجح ليس من اخترع الكهرباء أو الهاتف بل من لديه ثروة. طوال السنوات الثلاث الأولى من عهد الياس الهراوي لم يكن هناك مشاريع فهي بدأت مع الحريري ولم تكن سهلة فالدولة طفرانة. كان المفروض أن تستملك الدولة وسط مدينة بيروت لكنهم اضطروا إلى تأسيس شركة «سوليدير». العلاّمة البروفسور جورج فيديل قال لي إن لبنان دولة مفلسة لا يقرضها أحد ولكن يمكن أن يقرضوا الشركة. وهذا ما حصل. أنا أسأل لماذا لم يستطع أصحاب الأملاك وبالاتفاق مع المصارف تأسيس شركة لإعادة الإعمار تتولى تمويلها تلك المصارف؟ ولماذا لم يكلفوا شركة مثل «دار الهندسة» لإعداد المشروع؟ الحريري في النهاية رجل عمل وقدرة مالية وأنا لو كنت مكانه لما استطعت أن أفعل ما يفعل. أنا أسمع كثيراً عن الشركات والعقارات واتهامات للحريري بأنه يأكل البلد. أطلب فقط أن يثبت لي أصحاب الاتهامات ما يقولونه وعندئذ سيكون موقفي واضحاً. في قصة شراء العقارات لماذا يركزون فقط على من يشتري ويتناسون من باع. وهنا سأعطي مثلين: ميشال الخوري وهو غني باع للحريري بيت عمه الذي كان يسكنه والده بشارة

الخوري رئيس الجمهورية. ودوري شمعون باعه منزل والده الرئيس كميل شمعون في السعديات وهذا البيت تاريخي كالأول. ربما كان الأفضل أن لا يشتري الحريري عقارات بعد توليه رئاسة الحكومة لكنك لا تستطيع منعه من شراء عقار قرر صاحبه أن يبيعه له.

هذا لا يعني أنه ليست لدي ملاحظات على الحريري فلدى إعلانه عن التشكيلة الحكومية أعربت عن استغرابي لتعيين إيلي حبيقة وهو مجرم كما وصفته عدة كتب بالإنكليزية والفرنسية واعتبرت تعيينه إساءة إلى الدولة والطائفة المارونية (. . .). وهناك من يقول إن حكومة الحريري لا تقرر وإن القرار موجود في دمشق. هذا صحيح وقد يكون الحريري اعتقد أنه سيستطيع أن يفعل شيئاً. لكن الحريري أوقف التدهور الاقتصادي وهذا ليس مسألة بسيطة.

جاء الحريري إلى رئاسة الوزراء كرجل أعمال ناجح ولم أسمع أنه ادعى بأنه رجل سياسة. وهو بالتأكيد رجل يحب العمل وفاعل خير أيضاً وأنا أعرف قصصاً كثيرة في هذا المجال. حين اعتكف قلت إن ليس هناك في الدستور شيء اسمه اعتكاف. في الدستور هناك استمرار أو استقالة. ثم أعلن الحريري لاحقاً استقالته وجلس في منزله ثم صعد إلى الشام ورجع متراجعاً عن استقالته وهذا لا يليق. في هذا الموضوع أنا أفكر وطنياً، فمن كان بإمكانه أن يفعل ما فعله؟

■ **أين ولد ريمون إده وأين تعلم؟**

ـ ولدت في الإسكندرية في ١٥ آذار/ مارس ١٩١٣. والدتي من آل سرسق ووالدها جورج لطف الله سرسق كان من السراسقة الموجودين في الاسكندرية. توفي جدي سرسق وبقيت جدتي في القصر هناك. كانت والدتي تعيش مع والدي إميل إده في بيروت لكنها وبحسب التقاليد ذهبت لدى أمها لتضع مولودها. درست أمي في لندن وكانت تتحدث الإنكليزية جيداً. ودرس والدي الحقوق في معهد «اكس ان بروفانس» في فرنسا وكان متفوقاً إلى درجة أن الجامعة تحملت ومنذ السنة الثانية نفقات دراسته على رغم أن جدي ابراهيم إده كان ثرياً. عمل والدي محامياً في لبنان لدى شركات فرنسية وكان محامي قنصل فرنسا، وتعرّف إلى والي بيروت التركي سامي بكر بك وكانا يلعبان البريدج نحو ٣ مرات أسبوعياً في نادي الاتحاد الفرنسي قرب ملهى الكيت كات. ذات يوم تلقى والدي رسالة من أمي تطلب منه فيها أن يستعد لأنها ستلد بعد شهرين وأن يطلب من اسطنبول تأشيرة للخروج من لبنان. كان والدي مشبوهاً كغالبية الموارنة الذين يتعاطون السياسة، وكان العثمانيون يعتبرونهم خونة. أعطى الطلب لسامي بكر بك. أخبرني والدي أنه كان يزعج طاولة البريدج من كثرة ما يكرر أن زوجته ستضع صبياً. حين كبرت مازحته قائلاً: لو كنت تعرف الصبي الذي سيأتي لما تحمست إلى هذا الحد. بعد مدة حصل والدي على التأشيرة وأكمل استعداداته. أحرق أوراقه الخاصة

لأنه كان يعمل في السياسة. وكان والدي محامياً أيضاً للبواخر الفرنسية. وذات يوم صعد والدي إلى الباخرة وبعث بخبر لسامي بكر بك يقول فيه إنه سيسافر ولن يأتي في تلك الليلة إلى النادي. عندها نزل الوالي إلى النادي قبالة البحر قبل الوقت المعتاد وخرج إلى الشرفة ليرى الباخرة، وعندما وصلت إلى المنارة قال لقوميسيير البوليس بالتركية: «أوقف هذا الكلب إميل إده». استغرب الناس استخدام كلمة كلب. وحكى لي والدي لاحقاً أن الوالي فعل ذلك كي لا يتهم بالموافقة على سفره خصوصاً بعدما كان قد تلقى أمراً بإلغاء التأشيرة.

وصل والدي إلى الإسكندرية وأقام فيها طوال الحرب الأولى. قام بنشاط سياسي وألّف حركة سورية ـ لبنانية للمقاومة. ثم جاء الشيخ بشارة الخوري الذي تدرج في مكتب والدي في بيروت. كانوا كلهم طفرانين في حين كانت جدتي غنية. كان والدي يجمع كل يوم أربعة أو خمسة لبنانيين على الغداء ويتحدثون في السياسة ويقولون: «بدنا نحرر لبنان». لم تكن جدتي في الاسكندرية مهتمة بالسياسة وكانت من آل الزهار في صيدا. خطفها جدي من مدرسة راهبات الناصرة وكان عمرها خمسة عشر عاماً. وعثر والدي لبشارة الخوري على عمل لدى محاميين كبيرين هما جول كاتسيفليس وريمون شميل.

كان والدي معجباً برئيس جمهورية فرنسا آنذاك ريمون بوانكاريه. وربما اعتقد أنه إذا سماني ريمون فسيكون لي

مستقبل مثله. هكذا أصبحت أول لبناني يدعى ريمون! ثم شاع الاسم وصاروا أيضاً يسمون أولادهم «عميد».

بعد انتهاء الحرب رجع والدي إلى لبنان مع جيش أللنبي وعن طريق حيفا في فلسطين. ذات يوم وبعد عودتي من مدرستي لدى الآباء اليسوعيين قالت لي أمي: «في خواجه جايي لعندنا وبدك تبسلو إيدو». فذكرتها بما قالته لي سابقاً وهو أن أقبّل يد المطران فقط وتحديداً الخاتم في يده اليمنى، وسألتها إن كان الزائر مطراناً. وحين أجابتني بالنفي قلت إذاً لن أقبّل يده فأحالتني على والدي الذي قال لي قبّل يده لأنه خلّص حياتي وهكذا وافقت. وأحياناً كنت أذكر والدي بأنني السبب في إنقاذه لأنه ربما كان أُعدم لو لم يسافر.

■ **ماذا تذكر من أيام دراسة الحقوق؟**

ـ المشكلة آنذاك كانت أن الفحص يجرى مرة واحدة في السنة في تشرين، وإذا لم تنجح في الامتحان الخطي فلا تستطيع الانتقال إلى الامتحان الشفوي وعليك الانتظار إلى السنة التالية. كانت تأتي هيئة فاحصة من معهد ليون في فرنسا وكنا نحصل على ليسانس الحقوق من ذلك المعهد. بفضل صلوات أمي نجحت في الفحوص الثلاثة. كنا نقضي الصيف في صوفر أي في المنزل المستأجر الذي ظل فيه والدي حتى عندما أصبح رئيساً للجمهورية في ١٩٣٦ ولم يستأجر قصراً. كنت أستعد للامتحان ولا أخرج من البيت لمدة ثلاثة أشهر ولا أحلق ذقني

ولم يكن ذلك شائعاً. طبعاً كنت أحضّر في الشتاء المحاضرات ولكنني كنت أذهب إلى الصيد أيضاً وهذا ما جعلني أعرف لبنان كله من النهر الكبير إلى شبعا. وكنت أهتم أيضاً بالبنات. أحياناً كانت تأتي واحدة منهن، خلال فترة الاستعداد للفحص في الصيف، وتناديني من تحت الشباك فأحلق ذقني وأذهب معها.

كانوا يجمعون في الفحص الخطي في معهد الحقوق تلامذة السنة الأولى والسنة الثالثة وكانت الطاولة تتسع لمقعدين.

شاءت الصدف أن يجلس إلى جانبي في الامتحان شارل حلو وهو أكبر مني، وكنت أعرفه من أيام اليسوعية. طبعاً أخذ ثلثي المقعد وترك لي مكاناً بسيطاً. تولى مراقبة الامتحان يومها القاضي الأستاذ إرين وكان يتوكأ على عصا، ومن صوتها يعرف الطلاب بقدومه فيكفّون عن الكلام ومحاولة تبادل المساعدة. يفترض أن يأخذ كل طالب مغلفاً يحتوي على ثلاثة أسئلة. فتحت المغلف وبفضل صلوات أمي عرفت واحداً من الأسئلة الثلاثة. دائماً كانت ذاكرتي عاطلة والحقوق قصة ذاكرة، فالذكاء يلعب دوره لاحقاً لدى ممارسة المحاماة. نكزني شارل حلو وقال لي: «صرت كاتب خمس صفحات؟». فقلت له: «نعم وما تحكي معي. إذا شافنا الأستاذ فسيعتقد أنني أنا أسألك». ابتعد إرين فسألت حلو ماذا يريد. قال: كيف اخترت السؤال؟ فأجبت: اخترت السؤال الذي أعرفه. فأجاب:

مشكلتي أنني أعرف الثلاثة ولا أعرف أي واحد سأختار.
فمازحته قائلاً: خذ السؤال الموجود في الوسط.

■ هل كنت مهتماً بالسياسة؟

ـ كل عمري كنت أكره السياسة لأنني رأيت ماذا كان يحدث في البيت. كان والدي محامياً كبيراً أمام المحاكم المختلطة وعمل في الجنايات. الدعاوى التجارية الكبرى كانت مع الأجانب وكان يكرس قسماً من وقته للسياسة. حصلت على الليسانس في الحقوق في ١٩٣٤ وتدرجت لمدة سنتين في مكتب والدي في شارع اللنبي أي في المكتب الذي تدرج فيه أيضاً (الرئيس) بشارة الخوري و(الرئيس) كميل شمعون وعبده عويدات وفريد دحداح. أعطى ذلك المكتب ثلاثة رؤساء للجمهورية وكان يمكن أن يعطي رئيساً للحكومة هو عبده عويدات، وهو شخص ذكي لكن مشكلته كانت أنه سنّي من الجبل ودرج سنّة بيروت على اعتبار رئاسة الحكومة وقفاً عليهم. طبعاً جاء رياض الصلح، وأصله من صيدا، ثم جاء عبدالحميد كرامي من طرابلس والآن جاء رفيق الحريري من صيدا لكن لم يحدث أن جاء رئيس للحكومة من جبل لبنان.

■ ما هو أهم حب في حياتك؟

ـ دعني أفكر (يبتسم العميد ويحاول استعادة الشريط الطويل). كنت في السابعة عشرة في أول علاقة حب وهي كانت مع سيدة

لبنانية وكانت علاقة بريئة. كانت سيدة متحفظة وأنا بدوري لم أطالب بأكثر من ذلك لأنني كنت أعتبر ما يتخطى البراءة نوعاً من قلة الاحترام. استغرقت تلك العلاقة نحو ستة أشهر. كان الخروج في بيروت صعباً، وسيارتي معروفة، بعدها كرّت العلاقات. الحقيقة أنني كنت أتفادى العلاقات مع اللبنانيات لتفادي موضوع الزواج.

أنا تعرضت لإطلاق الرصاص تسع مرات في حياتي. قلت ربما ليس هناك امرأة تستطيع احتمال أسلوبي في العيش. ثم إن أخي تزوج وأنجب وهناك من يحمل اسم العائلة.

■ ماذا كنت تهدي إلى النساء؟

ـ أولاً أنا لم أكن غنياً في يوم من الأيام. لم تكن عندي قدرة على تقديم هدايا الماس والخواتم الثمينة وغيرها. كانت الهدايا مجرد تذكارات صغيرة لا أكثر. واعتقدت دائماً أن على المرأة التي تحبني أن تفعل من أجلي أنا لا من أجل ما أنفقه عليها.

■ وماذا تحب في المرأة؟

ـ أهم ما يستوقفني في المرأة هو عيناها ويداها. قبل كل شيء ان تكون مهضومة ومش مسطولة وان يكون طبعها قريباً من طبعي. الأناقة الزائدة لا تهمني كثيراً.

■ ماذا تذكر من بدء ممارستك لمهنة المحاماة؟

ـ سأروي لك حادثة. حين تولى والدي رئاسة الجمهورية سمح لي بالترافع أمام المحاكم المختلطة فقط لأن القضاة كانوا تابعين للمفوض السامي الفرنسي، ومنعني أن أترافع أمام المحاكم اللبنانية لأن القضاة كانوا تابعين للسلطة اللبنانية. وكان حين أخذت الليسانس قد هنأني، ووفقاً للتقليد أخذني إلى العدلية القديمة ليعرفني إلى نقيب المحامين ثم ذهبنا، والدي ونقيب المحامين وأنا، في جولة على رؤساء المحاكم والنيابات العامة. خلال خروجنا من قصر العدل شاهدت مقاعد حجرية على يمين الباب ويساره فقلت له من كان يجلس هنا؟ فقال شهود الزور. فسألته كيف؟. فأجاب أنه أيام العثمانيين كان الأهم في القانون هو الشهادة. أي أن دور المحامي الشاطر كان أن يقنع القاضي العثماني بأن يكلفه إثبات حق موكله عن طريق الشهود. قلت له هل كنت تتصرف هكذا؟ فقال لا، شريكي من بيت الشوشاني كان يختار. وحكى أن الوحيدين الذين كان ممنوعاً عليهم أن يشهدوا في المحاكم هم الدروز لأنه أمام منصة القضاء كانت هناك طاولة عليها كتب التوراة والقرآن والانجيل ولم يكن باستطاعة الدرزي أن يحلف اليمين، إذاً لا شهود زور عند الدروز. أعجبني الدروز وأنا كبرت بينهم في صوفر.

عندما نلت الليسانس قبّلني والدي وقال: سأعطيك نصيحة لا تنساها في حياتك وهي «أن القانون صارم لكنه القانون» وهي حكمة رومانية قديمة.

واتبعت أنا النصيحة كمحام وطبقتها لاحقاً كسياسي ولذلك ضميري مرتاح. أنا أكره الكذب وأكره الوسخ ولذلك حين كنت وزير داخلية وكانت بلدية بيروت تابعة لي كنت أوقف السيارة وألمّ ورقة الكلينكس عن الطريق.

■ هل كدت تتزوج ومتى قررت البقاء عازباً؟

ـ كان الجيش الفرنسي موجوداً وكان الضباط الفرنسيون يذهبون إلى تدمر وحمص وحماه ويتركون النساء في بيروت حيث البحر والرمل والشمس واللبنانيون موجودون. وكانت النساء يتلقين أخباراً عن خيانات الأزواج فحصلت عمليات طلاق.

لسوء الحظ أو لحسن الحظ جاءت امرأة فرنسية لا أعرفها وقالت أنا لدي ثقة فيك. جاءت إلى المكتب وكانت تريد أن تطلّق زوجها وتحصل على تعويض. ربحت لها الدعوى ودفعت لي أتعابي. بعدها صارت تقول إذا أردتم الطلاق فليس لكم إلا المحامي ريمون إده. اكتشفت أن الزواج يبدأ عشقاً وغراماً ثم تكون النتيجة الطلاق. رأيت زواجاً مدبراً من الأهل ونتيجته الطلاق. رأيت زواجاً بهدف المال ونتيجته الطلاق. أمي كانت قديسة. كانت تذهب كل يوم للصلاة في كنيسة الوردية. تأتي عندي في السابعة والنصف صباحاً وتجلس على طرف سريري وتقول صليت لك من أجل أن تتزوج. وأنا كمحام كنت أصبحت خبيراً في الزواج لا أريد أن أعمل مثل غيري وأغيّر طائفتي من أجل أن أطلق. فليتزوج شقيقي بيار

وأختي أندريه وهي تزوجت فرنسياً من آل مونييه، وتزوج أخي فتاة من آل الراسي وهي برازيلية من أصل لبناني.

حين بدأت انتخابات ١٩٤٣ وكانت على أساس المحافظة، كان المسيطر ممثل بريطانيا العظمى السير إدوارد سبيرز وهو الذي أخذ في طائرته سنة ١٩٤٠ ديغول إلى لندن. وكان يأتي إلى منزلنا ويلعب بريدج مع والدي في أوائل ١٩٤٢، وكان يتكلم الفرنسية بطلاقة. ذات يوم قال سبيرز لوالدي لن أستطيع أن أزورك وألعب البريدج. فسأله عن السبب فقال أنا ممثل تشرشل، وطلبوا مني أن نؤيد الشيخ بشارة الخوري وسأعتذر منك. صار معروفاً أن بشارة الخوري مدعوم من الانكليز ومن النحاس باشا. وانتخب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية على رغم أن الأكثرية كانت لوالدي. بعض النواب يذكّرونني ببقرات قب الياس. عندما كنت في سن الـ ١٤ كنت أصطاف في قب الياس عند عمتي لويزا في بيت جدي إبراهيم إده وكنت أركب حصاناً وأذهب إلى السهل وأصطاد عشرين أو ثلاثين ترغلة. كنت أجيء عندما ترجع البقرات عند الغياب من السهل إلى بيادر قب الياس وأرى الراعي يعدّ البقرات، فسألته ذات يوم كيف ترجع البقرات إلى زريبتها؟ فأجاب: أنا أوصل البقرات إلى البيدر وهي تتدبر أمرها. أعجبتني البقرات، فرغم الزواريب تعرف أماكنها. أحياناً أذهب مع طلوع الشمس وأرى البقرات تخرج إلى البيدر وتنتظر الراعي. فسألته: إذا جمعت البقرات في بيدر ثانٍ فهل تعرف كيف ترجع إلى زريبتها؟ فقال لا.

المقصود أن بعض النواب إذا أردت أن تغير شيئاً في أسلوبهم يضيعون. كلهم ينتظرون الناطور.

■ هل عشقت في شبابك؟

ـ في سن الـ ١٧ عشقت سيدة أرثوذكسية متزوجة والطلاق موجود عند الأرثوذكس وممنوع عند الكاثوليك. أمي عارضت وقالت متزوجة وأكبر منك؟ وخضعت لأمرها. أغلب علاقاتي العاطفية كانت مع أجنبيات تجنباً للمشاكل.

ذات يوم كانت لديّ دعوى في مصر أمام المحاكم المختلطة في ١٩٤٦ وقلت لوالدي أنا سأترافع ضد صديقك ريمون شميل الذي كان من أكبر المحامين في مصر، فأجابني والدي: لا يمكن أن تربح الدعوى ضده. ذهبت إلى مصر ونزلت في فندق شيبرد. وعند الليل وأنا أدخل إلى الفندق وكنت أريد أن أنام استعداداً لمرافعة اليوم التالي أخذت مفتاحي ولكنني رأيت فتاة شقراء زرقاء العينين ودموعها على خديها. سألت الحاجب فقال «أذّيتها» تلغراف والآن تبكي. رجعت صوبها وسألتها هل أستطيع مساعدتك؟ فقالت هل تسقيني شامبانيا؟ فأجبتها: شرط أن توقفي البكاء لأن عينيك جميلتان والبكاء يلحق ضرراً بهما. فقالت إنها تريد أن تشرب الشامبانيا قرب الهرم. أوضحت لها أن لدي عملاً في الصباح لكنها أصرت. أنا ومنذ زمن أعتقد أن العيون الزرق تأتي بالمصيبة ولكنني قبلت وذهبنا. كان المكان مكتظاً وكل الطاولات مأخوذة وهناك طاولة شاغرة محجوزة

للملك فاروق. قلت للسفرجي أنا كنت مع الملك فاروق وقال لي ان أجلس على طاولته. وجلسنا. كانت الأوركسترا تعزف في تلك الأيام ٣ أشياء: «تانغو» ثم استراحة لعشر دقائق ثم «فوكس تروت» واستراحة وبعدها «فالس». جاء دور التانغو، وفجأة تقدم شاب وقال لها نريد أن نرقص، فذهبتْ معه وجلستُ أنا مع القنينة كالمسطول! ثم عادت واعتذرت وقالت إن الشاب صديقها في المقاومة الفرنسية وكانت تقول عن نفسها بأنها شيوعية. ثم قامت ورقصت مع شاب آخر. تضايقت وقلت لها شامبانيا «شربتي وما بقى بدك تبكي». رجعنا بالتاكسي الساعة الواحدة والنصف وقلت لها إذا خسرت الدعوى فسيكون ذلك بسببك، وإذا ربحتها يكون بسببك، فردّت: أنا أجلب الحظ. ذهبت إلى غرفتي.. وفي التاسعة صباحاً ذهبت إلى المحكمة وترافعت جيداً وشعرت أنني سأربح الدعوى. كانت قد قالت لي: سأدعوك هذا المساء إلى المسرح وانتظرتني عند مدخل الفندق وبدت أجمل من السابق. وذهبنا إلى المسرح. جلسنا في الصف الثالث وذهبت ولم ترجع.. وحين فتح الستار رأيت ممثلة تشبهها. ثم جاء ولد وقال: الست ميشيل عايزة تشوفك. وتبين أنها الشخصية الرقم واحد وقرأت اسمها ميشيل (...) فقلت لها لماذا لم تقولي لي ذلك منذ البداية. كانت تمثل مسرحية «بشارة مريم» لبول كلوديل. قالت نتعشى معاً؟ فقلت لها نعم ولكن في مكان آخر. ومشي الحال.

ذهبت إلى المحكمة في اليوم التالي فقالوا الحكم بعد ثلاثة أيام. ربحت الدعوى فقبّلني ريمون شميل وهنأني وقال: أنا نادراً ما أخسر دعوى ومسرور لأنني خسرتها أمام ابن صديقي إميل إده. فذهبت إلى الاسكندرية وكانت ميشيل تلعب الرواية نفسها. وذهبت الفرقة إلى بيروت فقلت لأمي سأدعوك لحضور مسرحية حلوة لبول كلوديل فقبلت، أما أبي فقد كان يفضّل البريدج. وذهبنا إلى «الغران تياتر» وكانت ميشيل تلعب الدور الرئيسي، وبعد الفصل الأخير أخرجت أمي مسبحتها من جزدانها والدموع تنزل من عينيها، فقلت لها جئنا لتنبسطي فلماذا تبكين، فقالت إنني أصلي كي يبعث لك الله ببنت مثل هالبنت. أوصلت أمي إلى البيت وقلت لها أنا ذاهب للعشاء مع ميشيل لأن الظاهر أن الله استجاب لطلبك. في اليوم التالي جاءت أمي إلى قرب سريري وكررت أنها صلت لي كي يرسل لي بنتاً مثل ميشيل. قبل أن تسافر الفرقة قلت لأمي قررت أن أتزوج البنت. فقالت: هل تتزوج ممثلة؟ فقلت لها انت درست في لندن وهؤلاء بنات عائلات. فطلبت أن أفاتح والدي. جاء فقلت له أنا ربحت الدعوى والبنت كان وجهها خيراً. اقترحت على أبي أن يدعوها إلى الغداء مع آخرين من الفرقة. حصلت الدعوة وكان والدي يحدّث ميشيل وأنا أغمزها وتردّ: ماشي الحال. بعد الغداء أدخلني والدي إلى مكتبه وقال لي بنت ذكية ولديها علاقات كبيرة في باريس ولكن لا تقرر شيئاً قبل أن تتعرف إليها أكثر في باريس. أنا كنت آتي إلى فرنسا شهراً في

نهاية السنة. كانت تقيم قريباً من هذا المكان (فندق «كوين إليزابيث») وكنا نلتقي يومياً تقريباً. ذات يوم ابنة عمي التي كانت متزوجة من جنرال فرنسي وكانت تقيم في النمسا دعتني لمناسبة عيد رأس السنة لزيارتها، فقلت لميشيل أن تذهب معي إذا كانت تريد فقالت: إذا لم يخلص فستاني الجديد فلن أذهب. فقلت لها كيف تعتبرين نفسك شيوعية وأنت تملكين عشرات الفساتين في غرفتك؟ قلت لها إذا لم تكوني في الساعة التاسعة من صباح غد للمغادرة فمعناها كل شيء انتهى بيننا. اتصلت بها في الثامنة صباحاً فقالت الفستان لم يصل بعد.. وذهبت وحدي.

وبعد العيد سافرت إلى لوزان للاجتماع مع موكلي وجلست في بهو الفندق وتفحصت أحد الكتيبات على الطاولة، فوجدت فيه أن الذي أنقذ سويسرا من الحرب ومكّنها من المحافظة على حيادها ليس جبالها أو جيشها وإنما قانون سرية المصارف. أنا محامي مصارف ولم أكن أعرف ما هي سرية المصارف. فسألت موكلي وشرح لي. وحاولت العثور على كتاب عن سرية المصارف فلم أجده في المكتبات في جنيف. رجعت إلى باريس والتقيت ميشيل وتغدينا معاً وقلت لها: طالما فضّلت عليّ الفستان موضوعنا انتهى.

وعندما انتخبت نائباً سنة ١٩٥٣ تذكرت أن سويسرا لم تتعرض للغزو من قبل الجيش الألماني بفضل قانون سرية المصارف،

وهكذا تمكنت من المحافظة على حيادها. عندئذ فكرت أن مصلحة لبنان هي أن يصبح «سويسرا الشرق». عندئذ وتحديداً في ١٩٥٤ تقدمت باقتراح قانون لتأسيس سرية المصارف وصوّت عليه المجلس النيابي سنة ١٩٥٦. هذا القانون كان السبب في ثروة لبنان وازدهاره ولكن لم يمنع تعرضه للاحتلال. إنني صاحب تسعة اقتراحات قوانين صوّت عليها المجلس ولكن الأهم هو قانون سرية المصارف.

■ **هناك من يقول لماذا لا يصعد العميد إلى طائرة متجهة إلى لبنان؟**

ـ قد تكون لديّ مشكلة وهي أنني لست من مدرسة مسح الأحذية. مهنة مسح الأحذية مهنة شريفة لكن ليس في السياسة. أنا هنا في باريس لا أعمل محامياً. كل هذه الملفات التي تراها ملفات سياسية وأنا على اتصال دائم مع حزبي وأصدقائي. أحاول من خلال وجودي هنا أن أخدم بلدي. أجري اتصالات بواشنطن والفاتيكان وفرنسا. لديّ هدف واحد هو تحرير لبنان: أي انسحاب الجيش الإسرائيلي أولاً تنفيذاً للقرار ٤٢٥، وبعدها لا يعود هناك مبرر لوجود الجيش السوري. أنا أيّدت موقف الرئيس حافظ الأسد في قمة الاسكندرية حين طالب بانسحاب إسرائيلي كامل من الأراضي السورية واللبنانية وتطبيق القرار ٤٢٥.

ثم إن ظروف وجودي هنا معروفة. لقد أطلق جماعة زهير محسن (الأمين العام لمنظمة «الصاعقة») النار عليّ في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٦ وأصبت في فخذي. وتعرضت لمحاولة اغتيال ثانية في ١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٦ وأصبت في حذائي. زارني زهير محسن في فرنسا قبل ستة أشهر من مقتله.

بعد محاولة الاغتيال الثانية زارني سفير مصر وسلمني دعوة من الرئيس أنور السادات وكان ذلك قبل عيد الميلاد بقليل. وكان كمال جنبلاط قد زارني في تشرين الأول وأطلعني على لائحة قال إن الأسماء الواردة فيها هي برسم القتل. فقلت له مازحاً: أنا عندي لائحة وفيها اسمك قبل اسمي. ذهبت إلى مصر وقابلت الرئيس أنور السادات الذي وضع في تصرفي طائرة الهليكوبتر التي أهداها نيكسون لعبدالناصر. زرت أبو سمبل وسألني ماذا أريد أن أرى؟ فقلت له خط بارليف. وزرنا المكان برفقة ضباط شاركوا في القتال. بعدها زرته لأشكره فسألني إلى أين أنت ذاهب؟ فقلت إلى بيروت فأجاب: مش ممكن، فرددت: وهل أنا سجين؟ عندها نادى مرافقه الذي جاء بحقيبة وأخرج منها ورقة شبيهة باللائحة التي أطلعني عليها كمال جنبلاط، فقلت له أطلقوا النار عليّ مرتين فقال «ولكن الثالثة ثابتة». وكنت حين دعاني السفير قد اتصلت بكمال جنبلاط وقلت له تعال لنسافر، فقال لا. عدت واتصلت به من عند الرئيس السادات وقلت له لماذا لا تأتي ونؤلف نواة حكومة في

المنفى؟ فاعتذر. كلفني السادات مهمة لدى «الكي دورسيه» وجئت إلى فرنسا، فكرت في حكومة بالمنفى واتصلت بصائب سلام وكامل الأسعد وكمال جنبلاط، ولو جاؤوا لربما كنا استطعنا أن نفعل شيئاً. جئت إلى باريس في ٤ كانون الثاني/يناير ١٩٧٧.

حاولنا قبل ذلك كل ما في استطاعتنا، ففي ١١ تموز/يوليو ١٩٧٦ دعوت إلى اجتماع في منزلي حضره الرؤساء عبدالله اليافي وصائب سلام ورشيد كرامي (الذي كان يومها رئيساً للوزراء) ورشيد الصلح وعدد من النواب بينهم مخايل الضاهر. أعلنّا تشكيل «جبهة الاتحاد الوطني» وأذعنا وثيقة شددت على رفض تقسيم لبنان وطالبت بانسحاب الجيش السوري من كل الأراضي اللبنانية. وهناك قصة طريفة، فقد وضعت أنا عبارة انسحاب الجيش السوري من «جميع» الأراضي اللبنانية، فرد الرئيس كرامي بالقول إنه لا يقال جميع الأراضي بل «كل» الأراضي، فوشوشني صائب بك قائلاً: «مشّيها أحلى ما يبطل» فوافقت على وضع (كل) محل (جميع). والواقع أن موافقة الحاضرين على المطالبة بالانسحاب كانت حدثاً كبيراً. وكان تقي الدين الصلح الوحيد الذي حضر ولم يوقّع وقال لي: «أنا لدي ظروف خاصة».

على أي حال أنا لم أكن يوماً صديقاً لسيبويه وكان إدوار حنين، رحمه الله، يسعفني في المرحلة الأولى. لكن حين سمعت

جمال عبدالناصر يخطب بالعامية تشجعت وذات يوم ألقيت خطبة استمرت ثلاث ساعات.

■ **تقيم منذ ١٩٧٧ في فندق، ألم يحاول أحد مساعدتك مالياً؟**

ـ أنا أقيم في فندق لأسباب مالية.

■ **الإقامة مكلفة ألم تتلقّ عرضاً مثلاً من أي جهة؟**

ـ إذا كانت هناك دعاية من هذا النوع أو قال أحدهم لك ذلك فقل لي عن اسمه لأرفع دعوى ضده. لم يعرض علي أحد أي شيء لسبب بسيط وهو أنهم يعرفون أنني لا أقبل. أنا بعت بعض الأراضي الزراعية وكان الدولار بـ ٣ ليرات. إنني لا أعيش بأسلوب باذخ أو مكلف ولا ألعب القمار. أنا محام لكنني لا أمارس المحاماة في فرنسا. لدي مكتب في بيروت وأملك أراضي زراعية في البقاع، في عانا وتل أخضر، ولدي بيت في قب الياس ورثته عن جدي ابراهيم إده وبيت في بيروت ورثته عن والدتي لودي سرسق. إن شغلي الشاغل منذ ١٧ عاماً في باريس إيجاد طريقة لتحرير وطني.

■ **كيف كانت علاقاتك مع كميل شمعون؟**

ـ تعرفت إلى كميل شمعون باكراً وأحببته، وكنت في تلك الأيام صغيراً. تدرب كميل شمعون على ممارسة المحاماة في

مكتب والدي إميل إده. كان يصطحبني معه إلى الصيد. والحقيقة أنه كان صياداً ماهراً. رحلات الصيد كانت في جبيل ثم في البقاع وبعده في سورية. في ١٩٤٣ كان والدي يفضّل شمعون على بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. انتخب والدي رئيساً للجمهورية (١٩٣٦ ـ ١٩٤١) وفاز بصوت واحد في المجلس الذي كان مؤلفاً من ٢٥ نائباً. غالبية الناس قالت إنه صوّت كميل شمعون.

تعاونّا من أجل إسقاط بشارة الخوري في إطار الجبهة الاشتراكية الوطنية التي جمعت كميل شمعون وكمال جنبلاط وأنا، وانضم إلينا عبدالحميد كرامي. أقفلت بيروت لمدة ثلاثة أيام وسقط بشارة الخوري.

كانت العلاقة جيدة مع كميل شمعون لكنني كنت حذراً في التعامل معه لأنه سياسي يملك قدرة على المناورة. عندما خاض انتخابات الرئاسة أيده حزبي (الكتلة الوطنية اللبنانية) واقترع شقيقي بيار له. أما أنا فكان بشارة الخوري قد أسقطني في انتخابات جبيل (١٩٥٢). كميل شمعون وكمال جنبلاط مشيا معنا أنا وشقيقي في جنازة والدي وكنا يومها في شبه عزلة. تولى شمعون الرئاسة فخلا مقعده النيابي في الشوف وكان بديهياً أن يؤيد جورج عقل أمين سر الكتلة الوطنية. من أجل إرضاء كمال جنبلاط جاء شمعون بإيلي مكرزل فاختلفنا. طبعاً إن محاولته إسقاط بعض الأقطاب لشعوره بأنهم لا يمكن

أن يوافقوا على التجديد له كانت خطأ كبيراً. كان كميل شمعون سياسياً محترفاً وصاحب أعصاب قوية ويعرف كيف يواجه الخسارة أو الضغوط. وكان له حلفاء من الطوائف الأخرى. طبعاً في السبعينيات لم أوافق على سياسته. في موضوع إسرائيل لم يكن ممكناً أن نتفق.

■ هل كنت تغار من شعبية كميل شمعون؟

ـ أنا لا أرى سبباً للغيرة. لبنان لا يقوم أصلاً على فكرة الزعيم الوحيد. وأحب أن أذكر هنا أن شمعون وزوجته زلفا كانا أفضل «كوبل» رئاسي. حين ذهب إلى البرازيل وبريطانيا وغيرهما من الدول كنا نفتخر بأنه يمثل لبنان.

■ أبرز حروبك كانت مع الشهابية، ما هي قصة العلاقة مع فؤاد شهاب؟

ـ لم تكن المشكلة مع شخص فؤاد شهاب فهو نزيه، لكن غلطته الأولى كانت رفضه أي مسّ بالمكتب الثاني، وميله إلى الاستماع إلى ما يقولونه. لولا هذه النقطة لكان عهده ربما من أفضل العهود. لم يحاول فؤاد شهاب الدخول في صفقات مالية ولم يتهم بسرقة أموال الدولة. أقول ذلك لأن الإنصاف واجب على السياسي حين يتحدث.

أولاً أنا أعتقد بأن المكتب الثاني لعب دوراً في إثارة أحداث ١٩٥٨ وفي إطالة أمدها وأنه كان يحصل على أسلحة من

عبدالحميد السراج وكان الهدف إيصال فؤاد شهاب (قائد الجيش آنذاك) إلى رئاسة الجمهورية، وأيّدته مصر وفرنسا، وهو كان متزوجاً من سيدة فرنسية، ثم إن الأسطول السادس الأميركي كان منتشراً على شواطئ لبنان. الأميركيون يحبون الديموقراطية في بلادهم أما في الخارج، وعلى الأقل في تلك الأيام، فقد كانوا يحبون العسكر. ترشحت في انتخابات الرئاسة ضد شهاب ولم يستطع الحصول على أكثرية الثلثين الضرورية للفوز في الدورة الأولى، وحصلت دورة ثانية وانتخب. بعد فوزه ألقيت كلمة قلت فيها إنني ترشحت حفاظاً على النظام اللبناني الديموقراطي ولئلا يقال إن مدفعية الأسطول السادس هي التي عيّنت رئيس الجمهورية اللبنانية.

■ لكنك شاركت في الحكومة الرباعية الشهيرة؟

ـ نعم. سأروي لك كيف. ألّف فؤاد شهاب بعد فوزه الحكومة الأولى برئاسة رشيد كرامي وضمت ١٢ وزيراً. ولم تعش سوى بضعة أيام، كان وزير الداخلية فيها يوسف السودا، وهو محام لامع خصوصاً في الجنايات. حظ يوسف السودا سيئ فهو ماروني من بلدة بكفيا ولم يقبل آل الجميل بتوزير ماروني من بلدتهم. قبلوا لاحقاً بتوزير روجيه شيخاني لأنه كاثوليكي. في اليوم الثاني على تعيينه وزيراً استيقظ السودا على أصوات ندب فخرج إلى الشرفة وإذا به يرى نحو ٥٠ ولداً من حزب الكتائب يحملون نعشاً كتب عليه: يوسف السودا.

هذا ما رواه لي فؤاد شهاب الذي قال إن السودا توجه فوراً إلى منزله وقال له: «جئت لأستقيل». قال له شهاب: أريد أن أذكرك بأنك وزير للداخلية وسيضحك الناس لو عرفوا القصة. تستطيع أن تطلب قوة من الدرك وإذا لم تستطع القيام بالمهمة ضد هؤلاء الأولاد نرسل لك قوة من الجيش. هدأت أعصاب السودا واستقل سيارته ذات اللوحة الحكومية الزرقاء وصعد إلى منزله في بكفيا وتغدى ونام. عندما استيقظ طلب من زوجته مناداة السائق لإعداد السيارة للقيام بنزهة. وكان رد السائق أن «الأرذال الكتائب رموا السيارة في الوادي وراحت ألف شقفة». انفعل السودا واتصل بشهاب وقال له: «في هذا الصباح كنا بالتابوت والآن توفيت سيارتي ولا أعرف إذا كانت الدولة ستعوض عليّ. على كل حال أنا استقلت، استقلت، استقلت».

بعدها اتصل بي فيليب تقلا (وزير الخارجية) وقال إن الرئيس شهاب كلّفه الاتصال وإنه يريد أن يراني. بعد ساعة ذهبت إلى مقره في صربا. دخلت فرأيت كل الوزراء وكان الأمير مجيد أرسلان متجهماً. لم أكن أعرف شهاب جيداً وأعتقد بأنها المرة الرابعة التي كنت ألتقيه فيها. قلت له أنت تريد رشيد كرامي رئيساً للوزارة فلماذا لا تختار صائب سلام؟ فأجاب: «بيزعجني، يجي مع القرنفلة ويضع رجلاً على رجل ويدخن سيجاره الطويل وينفخ الدخان في وجهي. أنا متفق مع رشيد كرامي. أسلمه طرابلس ويفعل ما يراه مناسباً وخارجها يتشاور

مع مجلس الوزراء». بدا واضحاً أنه متمسك بكرامي وأن القصة ليست قصة دخان فهو كان مدخناً.

بقيت في القصر حتى الثالثة صباحاً. طلب مراراً أن يراني وسألني هل وجدت حلاً؟ فأجبته أنت بمن تتمسك؟ فقال: برشيد كرامي وفيليب تقلا. بعد نصف ساعة نادوني وقال: طلع معك شي؟ فأجبت: سأقول لك لماذا سقطت الحكومة الأولى، لقد جئت بالمتراس الإسلامي (رشيد كرامي) ولم تمثل المتراس المسيحي (في ثورة ١٩٥٨) وإذا رغبت في تمثيله فليس هناك إلا بيار الجميل (رئيس حزب الكتائب). نظر شهاب إليّ باستغراب وقال: أنت تطلب إذاً إشراك بطرس الأكبر (بيار الجميل). أجبت: أنا أفعل ذلك لأقول إنني لا أقدم مصلحتي الشخصية على مصلحة البلاد، ثم إنني أرى أن مصلحة عهدك في بداياته تقتضي ذلك وأقترح أيضاً الحاج حسين العويني.

شعرت بأن الاقتراح وجد صدى لدى شهاب فسألته: ما هي أصعب وزارة في رأيك؟ فأجاب: الداخلية. وقال: هل تقبل بأن تكون وزيراً؟ فأجبت نعم شرط أن تكون حقيبتي الداخلية. اقترحت أن تكون الحكومة رباعية لإحداث صدمة نفسية وأشرت إلى أن فيليب تقلا سيخرج من تلقاء نفسه لمجرد معرفته بأنني سأشارك في الحكومة. سأل شهاب عن موقف صبري حمادة فتعهدت أن أتولى إقناعه. في الثانية والنصف

فجراً أيقظت الرئيس حمادة فسأل ما القصة؟ فقلت له هناك سؤال: ماذا تفضّل أن تكون وزيراً أم رئيساً لمجلس النواب؟ وأوضحت له أن الحكومة المقترحة رباعية وستضم اثنين من الستّة واثنين من الموارنة، وكررت له السؤال. بعد نصف ساعة قال إنه يفضّل أن يكون رئيساً للمجلس، وهو منصب للشيعة، لكنه أضاف: أنت تقترع ضدي، فقلت له سننتخبك وتحدث إلى شهاب.

بيار الجميل كان في بيت الكتائب. اتصلت به وقلت له هناك مشروع لحكومة رباعية تضم كرامي والعويني وأنا وأنت. قال: أعطني خمس دقائق. بعد ثلاث دقائق فقط اتصل وأعلن موافقته، وبعد نصف ساعة وصل مع جوزف شادر. قبل ذلك قلت لشهاب إنني أريد وزارة الدفاع أيضاً لأنني قد أحتاج إلى الجيش فالبلد خارج من ثورة وقد لا تكفي قوة الدرك للامساك بالشارع. فقال مازحاً: إذا أعطيناك الجيش فمن يضمن أنك لن تقوم بانقلاب عليّ، ووزارة الدفاع سنعطيها للحاج حسين العويني. وهكذا ولدت الحكومة الرباعية.

■ لم يدم شهر العسل مع شهاب طويلاً؟

ـ بعد تشكيل الحكومة الرباعية سألني شهاب كيف سنبدأ العمل؟ فقلت له يجب أن نصدر مراسيم اشتراعية. لم يعرف ما هو المقصود لأنه عسكري. شرحت له الموضوع وحصلنا على صلاحيات استثنائية وبدأنا بتنظيم الدولة.

طرحت مشروع قانون إعدام القاتل. وشرحت المشروع في مجلس النواب وقلت أنا أفكر في الضحية قبل المجرم، وأوردت الحجج، وكان قانون العفو قد مرّ بالأكثرية. ألغيت في المشروع الأسباب التخفيفية لكنني أبقيت الأعذار المحلّة مثل الدفاع عن النفس وجريمة الشرف. وبفضل قانون الإعدام الذي طلبت فور صدوره لصق نصه في مراكز البلديات والمختارين لإحداث صدمة نفسية، هدأت الامور. الرئيس شارل حلو ألغى قانون الإعدام الذي اقترحته أنا لكن الرئيس رفيق الحريري أعاده.

بعد جلسة مجلس الوزراء كان شهاب يستبقيني ونتحدث عن المسائل المطروحة. ذات يوم، بعد الوحدة المصرية ـ السورية، قال لي «طالبين مني أن أزور عبدالناصر شو رأيك أن أزوره في الشام»؟ قلت له دعني أفكر. زرته في اليوم التالي وقلت له: «حين انتخبت رئيساً هنأك ببرقية وتستطيع أنت اليوم أن ترسل برقية. عسكرياً أنت جنرال وهو بكباشي». استمع شهاب ولم يقل لي من طلب منه أن يزور عبدالناصر. شعرت بأنه يريد لقاء عبدالناصر فاقترحت عليه أن يعقد اللقاء في الشريط المحايد عند الحدود اللبنانية ـ السورية وأن يطلب من الجيش نصب خيمة هناك وأن تراعى كل الأصول التي تحترم لدى لقاء بين رئيسي دولتين مستقلتين. أبقينا الأمر سراً وجرت اتصالات بين أنطون سعد (رئيس المكتب الثاني) والسرّاج. بعدها بنحو خمسة أيام أبلغ شهاب مجلس الوزراء وقال إن

الوفد المرافق له سيضم رشيد كرامي وحسين العويني. بعد الجلسة قلت له كيف لا تأخذني معك؟ فقال لا أستطيع بسبب عدم وجود وزير للداخلية في الجهة المقابلة. فأجبته أن السراج نائب لرئيس الوزراء ووزير للداخلية فراح يقدم أعذاراً.

في أثناء ذلك بدأت تدخلات المكتب الثاني وحاول أنطون سعد أن يتصرف كأنه وزير للداخلية. ذات يوم أرسل وراء فيليب خير وقال له: «يا (...) أنت تلقي قصيدة ضد فؤاد شهاب عند كميل شمعون». ضربه فيليب خير لكن العسكر أوسعوه ضرباً ورموه قرب فرن الشباك ولحسن حظه عثر عليه أحد المارة. كنت في مجلس الوزراء وجاء شقيق فيليب خير باكياً وأخبرني أنهم نقلوا شقيقه إلى منزلي وأنه في وضع صعب. همست في أذن شهاب وتركت الجلسة وذهبت إلى منزلي. عدت ليلاً وقلت لفؤاد شهاب: أنا آت لتقديم استقالتي. أنطون سعد يريد زرع الخلاف بيننا وهذا سينزع سمعة عهدك. فقال إنه يمكن اتخاذ إجراء مسلكي ضد انطون سعد لمدة ستين يوماً. بعدها أصرّ شهاب عليّ للذهاب إلى حفلة يقيمها السفير البريطاني. صافحت السفير وإذا بي أرى أنطون سعد بلباسه العسكري، سألته ماذا تفعل هنا؟ فأجاب: أنا مكلف بمهمة. عدت إلى البيت وقلت لشهاب هل أنت على علم بذلك؟ فقال إنه حتى ولو كان هناك إجراء مسلكي يمكن تكليف الضابط بمهمة. فقلت له أفهم أن يرسل في مهمة إلى جرود الهرمل ولكن ليس إلى حفلة السفارة، فاتصل بقائد الجيش آنذاك عادل

شهاب وتحدث معه بخصوص أنطون سعد. قال لي شهاب أنت عنيد فقلت له نعم.

بعد مقتل نعيم مغبغب كان لا بد من إجراء انتخابات لملء المقعد الذي خلا بغيابه في منطقة الشوف (١٩٥٩). شدّدت أمام فؤاد شهاب على إجراء انتخابات نزيهة واتخذنا الإجراءات اللازمة. ممارسات القائمقام دفعتني إلى كف يده. لكن الجيش منع دخول الصحف التي نشرت الخبر إلى المنطقة وحدثت تدخلات. وهكذا استقلت من الحكومة الرباعية. لولا أنطون سعد لكانت أحسن حكومة.

■ **هناك من يقول إن شهاب كان طائفياً؟**

ـ لم أشعر بذلك بالمرة. كان يهتم بالمناطق ويحرص على مراعاة المسلمين وأقام علاقة قوية مع رشيد كرامي. شهاب كان نزيهاً والمصيبة جاءت من المكتب الثاني ومن رفضه وضع حدود له.

■ **والرئيس شارل حلو؟**

ـ أنا لم أر بين رجال السياسة في لبنان من يوازي شارل حلو في ثقافته. إنه صاحب ثقافة واسعة. مشكلته في نقص الشجاعة لديه. كان المكتب الثاني يريد عهده مجرد استمرار لعهد فؤاد شهاب أي أن يحكم من ورائه. حلو لا يحب الحسم والمواقف المكلفة والسياسة تحتاج إلى هذا النوع من المواقف. ذاكرته

قوية إلا حين يريد أن ينسى. لا صحة لما يتردد عن أنه شجع قيام الحلف الثلاثي. لم يأخذ أحد رأيه قبل قيام الحلف.

■ كيف جاء سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية في ١٩٧٠؟

ـ انتهت ولاية شارل حلو وكان الهم الأول إنهاء حكم الأجهزة وتدخل العسكر في السياسة. سبقت ذلك انتخابات ١٩٦٨ والنجاح الذي حققه الحلف الثلاثي الذي ضمني مع كميل شمعون وبيار الجميل. طبعاً حلم الرئاسة راود كميل شمعون مجدداً لكن مروره كان مستحيلاً، والأمر نفسه بالنسبة إلى بيار الجميل. كان يفترض بهما أن يدعماني لكن ذلك لم يكن وارداً بالنسبة إليهما لأنني ماروني من جبل لبنان ورئيس حزب. طبعاً كانت المعركة دقيقة من حيث الأصوات. وفضّل شمعون والجميل مارونياً من الشمال هو سليمان فرنجية.

كان جبل لبنان، أي من جبيل إلى المختارة، أساس السياسة التقليدية. رجحت كفة سليمان فرنجية في اجتماع عقد عند كاظم الخليل في عاليه. قال كميل شمعون لماذا نتعب بريمون إده فهو ضد الإنكليز والأميركان. وأنا بدوري أيدت سليمان فرنجية لأنه مشى معي ضد المكتب الثاني. بعدها أيد صائب سلام فرنجية وكان صديقاً له. رشيد كرامي ربما كان يفضلني. بعدها عقد اجتماع في مبنى جريدة «النهار» وكان اجتماع حسابات انتخابية لضمان توفير الأصوات والنجاح. أنا لم أكن

«مستقتلاً» على رئاسة الجمهورية، كنت أريدها لإجراء إصلاحات وتغيير الأسلوب الذي كان قائماً.

■ لم تشارك في الحكم في عهد الرئيس فرنجية؟

ـ الحقيقة هي أنني لم أكن مقتنعاً بانتخابه لكنني أيدته بسبب موقفه من المكتب الثاني. ذات يوم كنت أريد إقامة مرفأ سياحي في جبيل وحين سألت عن اعتماد مخصص له بقيمة مليونين ونصف مليون ليرة قالوا لي استخدمه الرئيس في منطقته. ذهبت إلى القصر الجمهوري وسألته فأجابني: «يا عميد شو نحنا قاسمين»! أجبته: «لولا صوتي أنا لما نجحت في انتخابات الرئاسة» فرد قائلاً: «أنا ما كنت نجحت لولا صوتي أنا». فقلت له مبروك عليك هالصوت ولن تراني عندك بعد اليوم. وهذا ما حصل.

أقول ذلك وأكرر أنه كان من الطبيعي أن أؤيد سليمان فرنجية ضد الياس سركيس الذي كان أمضى عمره مع فؤاد شهاب ومع العسكر الذين كانوا يريدون وصوله لضمان استمرارهم. وفي عهد الرئيس فرنجية وتحديداً في ٢٥ أيار مايو ١٩٧٦ أطلق عليّ مسلحون كتائبيون النار وأصابوني في قدمي. كنت عائداً من جبيل وطاردوني من نهر ابراهيم إلى ضبيه. لم يفعل فرنجية شيئاً وأنا لم أتقدم بشكوى، فحتى هذه لا يستحقها حزب الكتائب.

■ في تلك المرحلة تردد ذكر «النهار» كثيراً؟

ـ كنتُ أتردد عليها في شكل يومي تقريباً. أذهب إليها ليلاً، وهي قريبة من منزلي، لأعرف ما هي الأخبار الموجودة ولأتحقق من أن أخباري ستنزل كما يجب. كان غسان تويني صديقاً لأخي بيار ونشأت بيننا علاقة شخصية وسياسية.

كنت أبدأ زيارتي لـ «النهار» بمكتب ميشال أبو جودة حيث كان يلتقي تقي الدين الصلح ومنح الصلح وأبو أياد وعدد من السياسيين. أهم مطبخ سياسي في البلد كان في «النهار» التي لعبت دوراً مهماً في معارضة تسلّط المكتب الثاني.

■ هذا يعني أن علاقتك مع ميشال أبو جودة كانت قوية؟

ـ ميشال أبو جودة هو الذي أطلق عليّ لقب «ضمير لبنان». غسان تويني يقول إنه هو أول من أطلق اللقب. أنا لم أعرف صحافياً بمقدرة ميشال أبو جودة. يبدأ نهاره بالإذاعات والصحف ويمضي نهاره في انتظار كتابة مقاله في العمود الأخير من الصفحة الأولى. كان واسع الثقافة ومطلعاً على السياستين الداخلية والخارجية أكثر من أي صحافي آخر. يعرف لبنان وسياسييه ومشاكله ويعرف العالم العربي أيضاً. لقد فتح مدرسة في الكتابة وربما لهذا السبب حاول الجيل الذي جاء بعده أن يقلده. كاتب كبير ومفكر كبير.

غسان تويني كان أستاذه وجاء به إلى الصحافة. وكانت

السفارات ووكالات الأنباء تقرأ ما يكتبه غسان وميشال لتعرف ماذا يجري. وغسان كان لامعاً وجريئاً في المعارك. كثيرون كانوا يشترون «النهار» ليروا ماذا كتب ميشال أبو جودة ويستهلّون بزاويته قراءة الجريدة. أحياناً كنا نغرق في النقاشات وميشال معنا لكنه غارق في كتابة مقاله، وكان عندما ينتهي منه يقرأ لنا ونتناقش فيه. كميل شمعون كان يتردد على «النهار» أيضاً وألبير مخيبر. وأنا كنت أبدأ نهاري بقراءة مقال ميشال حتى وإن كنت قرأته في الليلة الماضية.

■ هناك من يقول إن «الحلف الثلاثي» كان بداية الحرب الأهلية في لبنان ويربطون بين قيامه ونكسة ١٩٦٧، ماذا كان الغرض منه ومن هو صاحب الفكرة؟

ـ لا صحة أبداً لهذه التحليلات. كان الهمّ الأول إيصال أكبر عدد ممكن من النواب لمنع المكتب الثاني من الاستمرار في التدخل في السياسة وإدارة البلاد. ولإيصال هذا العدد من النواب كان لا بد من تحالف انتخابي وتحديداً في الجبل. والقوى الأساسية التي كانت موجودة هي كميل شمعون وبيار الجميل ونحن. أول من طرح الفكرة كان إدوار حنين، لكن الذي بلورها ونفذها هو كاظم الخليل نائب رئيس حزب الوطنيين الأحرار الذي يتزعمه كميل شمعون.

طرح كاظم الموضوع عليّ ولم أمانع. كنت أريد أن أحارب «المكتب الثاني» فقد كان (العقيد) غابي لحود حاكماً و(الرئيس)

شارل حلو ساكتاً. كنت أريد إيصال ستة نواب من حزب الكتلة الوطنية إلى المجلس ولم أكن قادراً على ذلك إلا بالاتفاق مع شمعون والجميل. وكان على لوائح هذا التحالف أحمد إسبر ومحمود عمار (شيعيان) وبشير الأعور (درزي) وغيرهم. طبعاً قيام تحالف بين زعماء الموارنة أزعج بعضهم، وبينهم كمال جنبلاط، لكن علاقتي معه استمرت.

القول بأن «الحلف الثلاثي» كان بداية الحرب ليس صحيحاً. وأنا خرجت من الحلف بعد سنة. اختلفنا على رئاسة المجلس بين كامل الأسعد وصبري حماده. حسابات كميل شمعون كانت رئاسية وبيار الجميل أيضاً. (يضحك). أنا لا يمكن أن أتهم بالتستر على الكتائب. وفي السبعينيات هاجمت الكتائب بسبب علاقتهم بالسوريين ثم بالإسرائيليين، لكن القول بأن الحلف هو بداية الحرب هو مجرد اتهام.

■ ألم تساهم معركتكم ضد الأجهزة في إضعاف هيبة الدولة في مواجهتها لاحقاً مع المنظمات والميليشيات؟

ـ أريد أن أسألك هل تقوم هيبة الدولة على التجسس على المكالمات الهاتفية وعلى التدخل في الانتخابات والضغط على المواطنين؟ ثم لا تنس ما حدث في ١٩٥٨، فقد ساهم «المكتب الثاني» في افتعال الأحداث لإيصال فؤاد شهاب (قائد الجيش آنذاك) إلى رئاسة الجمهورية.

■ كان اسمك مطروحاً ضد الياس سركيس في ١٩٧٦؟

ـ ظروف وصول الياس سركيس معروفة. كميل شمعون وبيار الجميل قبلا به لأنه موظف من بلدة الشبانية وليس زعيماً من جبل لبنان. قاطعنا الانتخابات يومها بسبب الضغوط وجلسنا في منزلي ومنزل صائب سلام وكنا نتبادل الزيارات. الياس سركيس كان «آدمي» وحريصاً على أموال الدولة. حين جاء بعد الرئاسة إلى باريس كنت أتصل وأسأل عن صحته.

■ والرئيس أمين الجميل؟

ـ لا سلام ولا كلام. خرّب البلد ونسف العملة. ذهب ١١ مرة إلى الشام وقال (نائب الرئيس السوري) عبدالحليم خدام إنه لن تعقد قمة أخرى. قبل نهاية ولايته ذهب إلى دمشق على أمل إقناع الرئيس حافظ الأسد بالتمديد له وحين لم يحصل ذلك شكّل حكومة عسكرية وكان ميشال عون كارثة. كانت مهمة عون الوحيدة أن يؤمن انتخاب رئيس للجمهورية لكنه فعل كل شيء كي لا تحصل الانتخابات. ذات يوم قلت لفؤاد شهاب: بسببك أنت سيترشح قائد الجيش كلما حصلت انتخابات رئاسة. أنا عارضت أمين الجميل منذ اللحظة الأولى وتحدثت عن دور أرييل شارون (وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك) والشروط التي رافقت وصوله. رأيي فيه معروف ولا حاجة إلى تكراره. كثيرون سايروه ومشوا معه ثم انقلبوا عليه. أنا كان موقفي واضحاً منذ اللحظة الأولى.

■ وكيف كانت علاقتك مع الرئيس عبدالله اليافي؟

ـ رجل مستقيم وكان لوالدي ولدان روحيان هما عبدالله اليافي وحبيب أبو شهلا لأنه كان يريد أن يخلص من طقم العائلات القديمة، وهما رجعا من فرنسا بدكتوراه في الحقوق. أعرفه منذ الصغر. في أيام شارل حلو شكّل اليافي حكومة رباعية. حاول حلو تقليد شهاب: اليافي رئيساً ومعه حسين العويني وزيراً للخارجية وبيار الجميل وأنا.

اختلفت مع عبدالله اليافي بعد ضرب المطار. أنا أستمع في السابعة والربع صباحاً إلى إذاعة إسرائيل بالفرنسية. وقعت عملية فدائية آنذاك في أثينا أدت إلى تدمير طائرة إسرائيلية واعتبرت إسرائيل أن الحكومة اللبنانية مسؤولة. أعطيت أوامر لإدمون غصن مدير المطار باتخاذ إجراءات لضمان سلامة الركاب في حال حصول اعتداء.

كان هناك اجتماع يوم السبت، وهو مجلس وزراء استثنائي، من أجل درس زيادة الرواتب. قلت لشارل حلو أنا لدي شيء أهم، لدي إحساس بأن إسرائيل ستضرب المطار. كنت يومها وزيراً للاشغال العامة. أنا أطلب من الرئيس اليافي (الذي كان وزيراً للدفاع بالوكالة لأن الحاج حسين خارج البلاد) أن يأمر قائد الجيش العماد إميل البستاني باتخاذ الاحتياطات العسكرية اللازمة دفاعاً عن المطار. قال اليافي: لا أنا لن أفعل ذلك.

عندئذ انسحبت من جلسة مجلس الوزراء وذهبت إلى الغرفة المجاورة لدرس ملفاتي.

في الخامسة إلا ربعاً دعاني ضابط إلى مجلس الوزراء وأبلغني الرئيس حلو أن مجلس الوزراء وافق على نسبة ٣,٣٨ زيادةً للرواتب، فقلت له أنا أقترح أربعة. فقال شارل حلو إذا تم الاتفاق بالأكثرية رفعت الجلسة، فصرخت: أنا بدي رئيس الحكومة يتصل بقائد الجيش وإلا أستقيل. فقال شارل حلو نطلب من بطرس ديب (المدير العام في القصر الجمهوري) أن يتصل بقائد الجيش. جاء ديب فقلت له أن أبلغ قائد الجيش أنه وصلت معلومات، فضرب بيار الجميل على الطاولة وقال: ما في معلومات. فقلت له هذا إحساسي وطلبت من ديب أن يبلغ بستاني ضرورة اتخاذ إجراءات لحماية المطار. فسأل شارل حلو رئيس الحكومة هل هو موافق فرد بالإيجاب. اتصل ديب بالعماد بستاني أمامنا في مجلس الوزراء.

بعد ذلك ذهبت إلى جبيل وعدت ليلاً للعشاء في المنارة. اقترب مني شخص وقال: اسمح لي بأن أهنئك على أعصابك. نزلت من السيارة فرأيت الدنيا بيضاء فوق المطار بسبب الحريق. قدت سيارتي التي لا تحمل لوحة حكومية. وضعت يدي على منبه السيارة وذهبت إلى مستديرة شاتيلا. عسكر على الطرقات. عند مدخل المطار قلت للضابط: «شو قاعدين عمتعملوا هون خللي الصحافيين يصوروا»... وأمرت بفتح

الأبواب ودخل مصورو الصحف والتلفزيون. حكى لي الضابط ماذا حدث، فقال ألصقوا متفجرات على الطائرات. فسألته ماذا فعلت؟ ـ كان سبقني شارل حلو وعبدالله اليافي وبيار الجميل ولم يفعلوا شيئاً ـ قال الضابط إنه اتصل بالقيادة وأجابوه: معنا خبر. قلت له اعتبر انني ضربتك كفين واحد لك وواحد للقيادة. لو لم آت لما شاهد العالم صور الاعتداء الإسرائيلي.

وبدأت التحقيق والاهتمام بتسهيل هبوط الطائرات. طلبت من الرئيس صبري حماده أن يجمع مجلس النواب في اليوم التالي صباحاً وكان يوم أحد، وعقد الاجتماع في قصر الاونيسكو وحكيت القصة وهنأني كميل شمعون واحتجّ كمال جنبلاط على موقف الجيش وهنأني. خلال جلسة مجلس النواب دخل غابي لحود ومعه ورقة لعبدالله اليافي وهي تتحدث عن معلومات عن حشود إسرائيلية على الحدود. فقلت لعبدالله اليافي إن هذا الخبر من اختراع المكتب الثاني لوقف الجلسة ولأن النواب يوجهون انتقادات إلى قيادة الجيش.

بعد الجلسة ذهبنا إلى شارل حلو في قصر الرئاسة في سن الفيل، وكنا عبدالله اليافي وبيار الجميل وأنا، وجاء حسين العويني. قلت للرئيس شارل حلو: اطلبوا إميل بستاني هاتفياً للحضور. لم يأت البستاني واعتذر. قال إن لديه مراسم دفن، فتناول السماعة عبدالله اليافي وقال له «يا مون جنرال» فضربت على الطاولة وقلت: له «قل له جنرال وليس مون جنرال».

عندئذ أرجأ الرئيس حلو اجتماع مجلس الوزراء إلى الخامسة مساء. اجتمع مجلس الوزراء وجاء اميل البستاني متأخراً. وقف له الجميع باستثنائي أنا. قلت له لماذا لم تنفذ أوامر مجلس الوزراء. فقال هناك أشياء لا أستطيع أن أقولها أمام أي كان. فقال له شارل حلو: الأستاذ إده وزير ونحن نريد أن نعرف. فكرر البستاني أنه لا يستطيع أن يتحدث أمام أي كان. طالبت بأن يحال على المحكمة العسكرية فانسحب إميل البستاني. فطلبت تقديم شكوى إلى مجلس الأمن، وفي ٣١ كانون الأول ١٩٦٨ صدر قرار عن مجلس الأمن رقمه ٢٦٢ ونص على حقنا في التعويض. أنا اقترحت أن نطلب قوات دولية ولم يوافق اليافي فقدّمت استقالتي.

■ **تربطك علاقة قديمة مع الرئيس صائب سلام. ما قصة هذه العلاقة؟**

ـ علاقتي مع صائب بك قديمة وقوية وتقوم على الاحترام المتبادل. اتفقنا في محطات واختلفت مواقفنا في أخرى. يحدث أن نتعاتب ونتجادل على الهاتف لكن العلاقة تبقى. صائب زعيم وصاحب كلمة. ممتاز كرئيس للحكومة وجريء. في عهد سليمان فرنجية دخل شخصياً دائرة الهاتف وضرب بقدمه باب غرفة التنصت على المكالمات ووجدها مليئة بالعسكر. هذا عمل لا يقدم عليه إلا رجل من قماشة صائب سلام. إنه ذكي وجريء. بدأ صائب سلام حياته دستورياً وكان

صديقاً لكميل شمعون واختلفا لاحقاً لأن كميل شمعون مارس ضغوطاً لإسقاط صائب سلام وأحمد الأسعد وكمال جنبلاط لشعوره بأنهم لن يمشوا في مسألة تعديل الدستور وتمديد ولايته. بشارة الخوري زوّر الانتخابات في ٢٥ أيار/مايو ١٩٤٧. شمعون فضّل أسلوب الضغط.

ذات يوم كنت ذاهباً إلى الصيد، ولدى مروري قرب مستشفى البربير اقترب مني الشرطي وقال: يا عميد صائب بك موجود وقد ضُرب على رأسه. يومها حصل صدام وضربه أحد رجال الأمن بعقب البندقية. وضعت صائب بك في السيارة ونقلته إلى مستشفى أوتيل ديو بسبب وجود صديقي الدكتور بشير سعادة هناك. قطّب سعادة جرحه وقدم له الاسعافات اللازمة. بدأت العلاقة منذ ذلك التاريخ واتفقنا على الوقوف ضد التجديد لكميل شمعون.

تكررت اللقاءات بيني وبين صائب سلام. العلاقة الشخصية لا تعني تطابق المواقف. اختلفت مواقفنا، فأنا مثلاً عارضت اتفاق القاهرة (بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٦٩) وعارضت اتفاق ١٧ أيار اللبناني ـ الإسرائيلي في ١٩٨٣ وكان لصائب سلام موقف مختلف. لم يقترع صائب سلام لبشير الجميل لكنه صوّت لأمين. أقول ذلك وأكرر أنك في تلك الأيام كنت تتفق مع زعماء وتتخاصم مع زعماء وكان هناك رجال أصحاب مواقف. القصة اليوم مختلفة تماماً

(يضحك العميد). إنهم يقفون في الصف كتلامذة المدارس ولا أحد يرفع أصبعه حتى لطرح سؤال. كانت هناك حكومات ومعارضات وأحزاب ومجلس نيابي.

■ **وعلاقتك مع الرئيس رشيد كرامي؟**

ـ كانت حسنة. آدمي كثير ونزيه. كانت علاقته ممتازة مع فؤاد شهاب. مرن. رجل دولة. كان يحتفظ بحقيبة المال ويحافظ على أموال الدولة كما يحافظ على ماله الخاص. رجل أمين.

اختلفت أنا ورشيد كرامي على الزواج المدني. أنا ضد إلغاء الطائفية السياسية، أنا طوال عمري أطالب بدولة علمانية والدستور اللبناني دستور علماني لا ينص على دين الدولة أو دين رئيس الدولة.

كان صائب سلام يريد وقف الثورة (١٩٥٨) وقال: بدك يقنع رشيد كرامي. فقلت له أنت تقنعه فقال: لا أنت تذهب إلى طرابلس وتأتي به. اتصلت بأحمد الداعوق وأحمد الأحدب وقلت لهما أنتما تحت حمايتي حتى بلدة أنفه. وبعدها أنتما تتوليان المسألة. ذهبنا في سيارتي ووصلنا إلى أبو سمرا حيث كانت قيادة رشيد كرامي. قال لي أحمد الداعوق: جئت بي إلى هنا، أنا بالأمس كنت في الشانزيليزيه. فجأة قفز عسكري من الجيش وقال قف. خاف أحمد الداعوق. فسألنا إلى أين نذهب؟ فقلت إلى رشيد أفندي. قال على مسؤوليتكم، فقلت له لم نطلب منكم أن تحمونا.

كان رشيد كرامي في صورة الثائر وذقنه طويلة. اختليت به وقلت له أرسلني صائب بك، لم يعد يريد المعركة، وأنت أيضاً، وفؤاد شهاب سينتخب رئيساً. حلق ذقنه وخلع القمباز ولبس الثياب الإفرنجية وجاء بسيارته. وعندما وصلنا إلى أنفه صعد إلى سيارتي. ولدى وصولنا إلى جونيه قال لي رشيد يجب أن أمر على فؤاد شهاب (الذي لم يكن بعد انتخب رئيساً). مر عليه وانتظرنا نحو نصف ساعة. بعدها خرج رشيد كرامي وقال لي: «يبدو إنو مش ماشي. بيظهر ما استوت».

وصلنا إلى بيت صائب سلام، فصرخ المحتشدون هناك: يعيش الأفندي يعيش العميد وحملونا. دخل رشيد كرامي على صائب. بحثا عشر دقائق. ثم دخلت على صائب فقال لي مش ماشي فحكيت له. كان شهاب متمسكاً برشيد لأنه مدين له. ربما يومها لم يكن عبدالناصر قد وافق. طبعاً كان عبدالحميد السراج يرسل أسلحة إلى انطوان سعد لتستمر الثورة وكان الجيش يطلق النار في الهواء. ومن التاسعة صباحاً حتى الظهر كانت الكتائب تطلق النار على البسطة، ومن الظهر حتى الثالثة كان الجيش يطلق النار على الجميزة والبسطة، ومن الثالثة إلى السادسة تطلق البسطة النار على الجميزة. ولولا حياد الجيش بهذه الطريقة لما أصبح فؤاد شهاب رئيساً.

■ **كمال جنبلاط؟**

ـ كمال جنبلاط فيلسوف كبير، وصاحب ثقافة واسعة، كان

يعتبر نفسه أهم من كل الزعماء العرب وأهم من عبدالناصر. كان يقول لي شو دارس عبدالناصر؟ قلت له الدستور لا يمنعك من ترشيح نفسك لرئاسة الجمهورية وأنا سأصوت لك إذا ترشحت.

تعرفت إلى كمال جنبلاط حين كلفني والدي بمهمة لدى والدته الست نظيرة التي كانت أهم سيدة في لبنان. ذهبت من صوفر إلى المختارة وبعد وصولي انفجرت «قنبلة» في دار المختارة. نادت الست نظيرة يوسف الطاهي فأجابها بسيطة: وإذا بهم يجيئون بسجادة يحملون فيها كمال جنبلاط وكان عمره ١٣ أو ١٤ عاماً. كان تعلم دروس الكيمياء ويحاول صناعة الصابون فانفجرت الماكينة. هكذا تعرفت إليه. ثم ترشح على لائحة إميل إده في ١٩٣٤ ونجح، ثم مشى مع بشارة الخوري على رغم تأييد والدته لإميل إده. وحين ولد وليد جنبلاط ذهبنا إلى المختارة. كنت أعاتب كمال لأنه يريد من وليد أن يعيش متقشفاً مثله وأن يقرأ الكتب نفسها.

سياسياً لم نكن على اتفاق. له موقف ولي موقف. كان كمال جنبلاط صعباً لكنه كان زعيماً وجريئاً حين يقرر اتخاذ موقف. حاول ذات يوم إقناعي بالذهاب إلى الهند ليعرّفني إلى صديقه «الغورو»، فقلت له لماذا؟ فأجاب بأنه سيقول لك يوم وفاتك فأجبته: هذا أمر لا يهمني. كمال جنبلاط رجل آدمي ومثقف وصاحب ضمير. صداقته صعبة. كل واحد منا له طبع مختلف. كان يخاف كثيراً من الموت. ذات يوم أخذني إلى

غرفته وكان ينام على الأرض وحوله كتب وشموع. كتب أفلاطون وفلاسفة آخرين.

علاقتنا بالمختارة قديمة واستمرت مع وليد. ظروف وليد صعبة فصعود «القوات» إلى الجبل لم يترك له خيارات كثيرة. تمر في هذه العلاقة غيوم ونختلف على بعض المواقف، لكن العلاقة سابقة للحاضر. وليد جنبلاط سياسي لامع وجريء.

■ وعلاقتك مع الرئيس رشيد الصلح؟

ـ إنه صديقي لكنه لا يعتبر نفسه مضطراً إلى الصراحة أو قول الحقيقة. ذات مرة قلت له لقد شرشحت الكذب في هذا البلد. طبعاً هذا الكلام من الماضي (يضحك).

■ والرئيس كامل الاسعد؟

ـ كانت العلاقة معه عادية تقريباً. ربما بسبب اختلاف الأمزجة. علاقاتي مع صبري حمادة كانت أفضل على رغم كونه دستورياً. كامل الأسعد ذكي لكن مشكلته هي في اعتقاده بأن الذكاء غير موجود لدى الآخرين جميعاً. وكنت أفضّل أن لا يترشح في انتخابات ١٩٩٢ لئلا يفشل.

■ هل تحب الموسيقى والغناء؟

ـ أنا أحب البيانو وكنت أعزف عليه. أحب شوبان وموزارت وبيتهوفن. وفي الغناء أحب فيروز وصباح والزجل والعتابا.

■ وماذا عن الألوان؟

ـ أنا أحب الأزرق والأبيض.

■ وماذا تقرأ؟

ـ أشياء كثيرة. إضافة إلى الصحف أقرأ كتباً عن لبنان وعن إسرائيل لأنك يجب أن تعرف عدّوك، وأتابع ما يجري في روسيا وما كان يعرف بيوغوسلافيا. أقرأ بالعربية والفرنسية. وأنا لا أحب الأميركيين سياسياً لأنهم خرّبوا وطني.

■ هناك من يتحدث عن نكبة الموارنة، فما قصة هذه النكبة؟

ـ نكبة الموارنة أنهم سببوا نكبة لأنفسهم. الرؤساء الموارنة مسؤولون عن الحوادث. بيار الجميل جاء بالسوريين وكميل شمعون بالإسرائيليين، ولأنهم وافقوا على اتفاق القاهرة واخترعوا الميليشيات.

■ هل تشعر بأنك ظلمت؟

ـ لا، أنا معتاد على خيانة الأصدقاء وأهم تعبير «اتق شر من أحسنت إليه». هناك قلة وفاء لكن هذا الشيء لا يزعجني، أنا ضميري مرتاح، حزبي لم يقتل ولم يسرق ولم يخن، وأنا لم أتسبب في قتل ولم أؤيد من قتل. والدي تعرض للظلم ومررنا في حالة من العزلة لكن هذه القصة قديمة والذين قاطعونا استندوا إلى روايات مغلوطة.

■ **كيف تنظر إلى محاكمة سمير جعجع؟**

ـ أنا لا أستطيع الكلام في مسألة هي الآن في يد القضاء. أستطيع أن أبدي ملاحظة على ما ينشر في الصحف. قال متهمون إنهم تعرضوا لعمليات تعذيب وإنهم أُرغموا على توقيع إفاداتهم وعيونهم معصوبة. كان على المدعي العام أن يطلب حالاً تأجيل الجلسة وأن يجري تحقيقاً خصوصاً في ما أثاره جريس الخوري. رأيي في سمير جعجع معروف ومنشور، ولكن كان على النيابة العامة أن تحقق في ما ذكر عن التعذيب وانتزاع الاعترافات بالقوة.



ريمون إده مع المؤلف



إده مع صائب سلام وغسان تويني



ومع بيار الجميّل



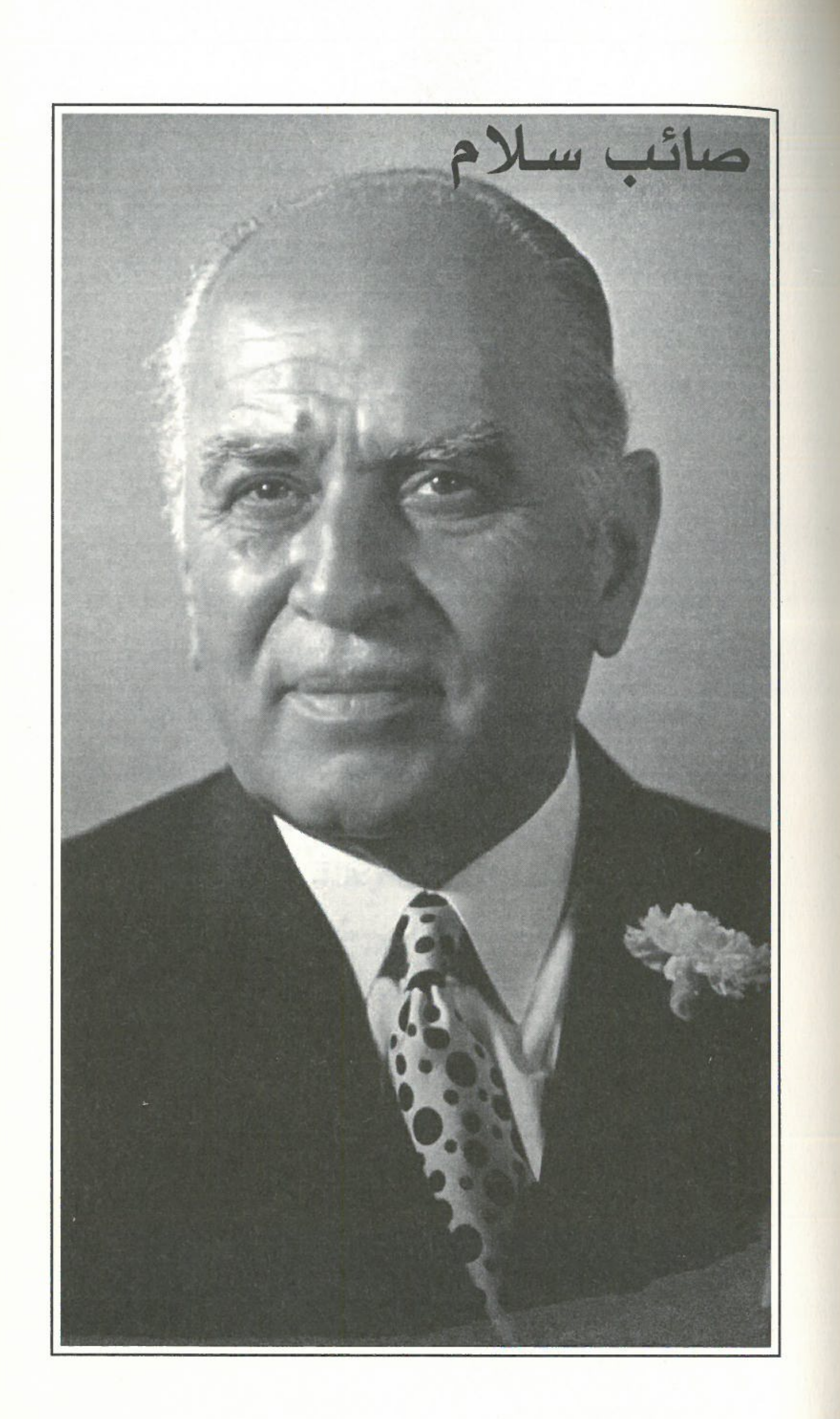
في باريس



ريمون إده وكميل شمعون



ريمون إده وكمال جنبلاط


صائب سلام

صائب سلام: البيروتي العتيق

تغرب شمس القرن وبيروت، كما البلاد بأسرها، مكسورة مهيضة الجناح. وقصة هذه المدينة تكاد تختصر قصة الوطن. ارتكبت من الأحلام ما لا طاقة لها على احتماله. وارتكبت من «الآثام» ما يتعذر غفرانه لها. فتحت مبكرة بوابة الأسئلة والشكوك والقلق. انتخبت وعارضت وتظاهرت وبالغت. ثم صدر القرار بالاحتماء منها عن طريق إضرام النار في أحشائها. وفي الحرب كما في السلم لم تعزها القدرة على التهور.

لا أريد الانزلاق في الكتابة التي تبرئ اللبنانيين مما حل بها وبهم وكأن الحرب لم تكن سوى نزاع بين غرباء على الملعب اللبناني. ولا أريد أبداً الانزلاق إلى الكتابة التي تسرف في تجريم اللبنانيين وجلد الذات لتبرئة الآخرين.

يشعر اللبناني بأن من التجني إنكار حجم الجهود التي تبذل لإعادة الإعمار وترميم ما تضرر في سباق مع الوقت لتمكين المدينة من خوض السباق الاقتصادي في الشرق الأوسط الجديد المقترب وإن تأخرت المواعيد. لكن الزائر يشعر أيضاً بأن ترميم حجر المدينة لا يواكبه ترميمٌ لروحها ولوظيفتها كمختبر لإعادة إنتاج المعادلة اللبنانية والقرار. ربما لهذا السبب تمتزج الآمال بقدر غير قليل من الخوف أو يمتزج الخوف من المستقبل بقدر من الآمال. وسيظل السؤال عن مستقبل المدينة ومستقبل دورها معلقاً ليس فقط في انتظار تبلور سلام لا تشارك في صنعه، بل أيضاً في انتظار اتضاح حجم التغيير الذي سيدخله السلام على الأدوار ومرتكزاتها ولغة التعامل مع الواقع الجديد.

من المبالغة أن يتطلع اللبنانيون إلى استرداد بيروت السابقة، خصوصاً أن دورها آنذاك ارتسم في ظل معطيات مختلفة داخلياً وإقليمياً ودولياً غير قابلة للتكرار. ومن المبالغة أيضاً الاعتقاد بأن ما حل بالمدينة قضى على كل ما تختزنه من إمكانات النهوض والعثور على دور جديد، وهو بالضرورة متواضع وشرطه أن تلحق ورشة ترميم الروح بما بلغته ورشة ترميم الحجر. كانت بيروت مدينة

وفكرة ومشروعاً مفتوحاً وامتحاناً. وكانت شراكة عيش ومصالح. لم تكن مدينة اللون الواحد، لهذا ينام قدر من التحدي في كيانها. طرحت على سكانها تحدي قبول الآخر والاعتراف بالاختلاف وألزمتهم فكرة منتصف الطريق والتنازل لجعل اللقاء ممكناً والاستمرار ممكناً. أخرجت الجبل من عزلته ومخاوفه وجعلته يحاور المدى الأوسع. ودفعت أبناء المدى الأوسع إلى الالتفات إلى هذه الخصوصية اللبنانية فتغير الإثنان كثيراً أو قليلاً.

حين يكون الحديث عن سر المدينة، وهو سر الوطن، لا يخطئ الصحافي الزائر العنوان، فصائب سلام هو الشاهد الكبير، والطريق إلى ذاكرة المدينة يمر بذاكرته.

ولد صائب سلام بعد ولادة القرن بخمسة أعوام. كان على مشارف الشباب حين أعلن لبنان الكبير، وكان في المعترك السياسي حين ولد الاستقلال. ويوم اندلعت الحرب في ١٩٧٥ كان صائب بك قد طلق رئاسة الحكومة ليبتعد لاحقاً عن العمل السياسي اليومي من دون الابتعاد عن العمل الوطني ومحطاته. الحوار معه يعيد تذكير اللبنانيين بزمن الأقطاب ومواقفهم وبزمن كان لديهم فيه رجالات

من قماشة بشارة الخوري ورياض الصلح وكميل شمعون وكمال جنبلاط وغيرهم. لا الرجال يتكررون ولا الظروف تتيح التكرار.

شهدت دارة آل سلام في المصيطبة محطات تركت بصماتها على الحياة الوطنية والسياسية في لبنان. ففيها انعقد مؤتمر الساحل الذي سجل فيه المسلمون اللبنانيون اعتراضهم على إعلان «لبنان الكبير». وفيها التقى نواب لبنانيون وأوكلوا إلى صائب سلام رئاسة حكومة ظل بعدما اعتقلت سلطات الانتداب كبار المسؤولين اللبنانيين واقتادتهم إلى قلعة راشيا عشية الاستقلال. وهي كانت رمزاً للمقاومة في ثورة ١٩٥٨ وإليها التجأ السياسيون والبيروتيون حين طوّق الإسرائيليون بيروت في ١٩٨٢. وفي الحياة السياسية للبنان المستقل كان صائب سلام قطباً كبيراً، قوياً في الحكم ولامعاً في المعارضة.

■ ما هي العلاقة التي تربط بين صائب سلام وبيروت؟

ـ إنها بالدرجة الأولى علاقة محبة، وهي غالية على قلبي كثيراً. وباستطاعتي القول إنها علاقة متبادلة. أنا قلبي مفتوح لأبناء بلدي الذين وجدت من جانبهم، ولا أزال، محبة غمرتني. حين أقول بلدي لا أقصد الجدران والشوارع بل

الناس وروح بلدي. حين عدت بعد غياب عشر سنوات شعرت بأن هذه المشاعر المتبادلة موجودة وقوية، وهذا شيء يفرح قلبي ويرضي ضميري. العلاقة مع الناس لا تُصنع بين ليلة وضحاها، وشرط استمرارها هو الثقة والمحبة والوفاء.

■ ماذا تعني لك بيروت؟

ـ أنا في الواقع أعتز بلقب «بيروتي عتيق» الذي يطلقونه علي، وها أنا في الواحدة والتسعين. ومن تقديري لهذا اللقب تعرف موقع بيروت في قلبي.

المقصود بـ«بيروتي عتيق» أبناء بيروت، وإذا جاز التعبير إنتاج بيروت روحياً واجتماعياً وثقافياً وكل ما يصدر عن هذا المجتمع. ويعزّ علي أن أرى، بعد كل الذي عاشته بيروت والذي انقضى والحمد لله، أن بعض آثار التخريب لا تزال قائمة وأن مجالات إعادة الإعمار لا تزال كبيرة، إعادة الإعمار ماشية ونتمنى لها الخير. بيروت صاحبة اسم رنان. هناك مدن كثيرة في العالم أكثر منها نشاطاً في نواح عدة وأكبر منها حجماً، لكن لاسم هذه المدينة رنة في أوروبا وأميركا وسائر العالم. هذا الاسم لم تحصل عليه عبثاً أو صدفة وإنما بفعل ما كانته وما فعلته، لكن اليوم، أقولها بألم، تأخرت كثيراً. أين الأجانب الذين كانوا يتدفقون ويأخذون منها ويعطون: مثلاً حي الفنادق حالته مؤلمة. غالبية الفنادق كانت تعج في السابق بالسياح والزوار وها هي الآن مدمرة أو محروقة. رهاني هو

على اللبناني وأنا لم أخف عليه في يوم من الأيام، لكنه مر في ظروف صعبة. تذكر كم كانت وطأة الميليشيات وكيف كانت تتقاتل في الأحياء بالأسلحة الخفيفة والثقيلة. حدثت معارك دبابات في شوارع بيروت وأحيائها. لا أعرف عدد المدن التي تستطيع احتمال ما تحملته بيروت، ولولا عراقة هذه المدينة وعراقة أهلها لقضت الحرب على كل شيء. ولعل المقصود بتعبير «بيروتي عتيق» هو التمسك بالروح التي طبعت هذه المدينة وبالقيم التي يؤمن بها أهلها.

■ **لنبدأ من السبعينيات، في أي اجتماع تقرر ترشيح سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية؟**

ـ ترشيح سليمان فرنجية لم يتقرر في اجتماع موسع. حصل في اجتماع عقد هنا حول طاولة الزهر. كنا نلعب الطاولة أنا وفرنجية وبقربنا جوزف سكاف ونسيم مجدلاني. كان موقف كمال جنبلاط متردداً تماماً ويردّ على موضوع فرنجية بنعم وبعدها بلا، ثم يكرر المسألة. قلت لفرنجية أنا أرشحك ونمشي فيها. قال أنا لا أصوت لحالي. قلت له الآن ليس وقت هذه المسائل. سنمشي حتى ولو حصلت على ثلاثة أصوات. فوجئ جنبلاط واتصل بي مستفسراً فأكدت له النبأ. قال نحن لم نتفق على ذلك فأجبته أنت رفضت أن تتفق. نريد أن نعرف على أي خط سنسير. ريمون إده لا يزال يعاتبني حتى الآن. كان مريضاً وموجوداً في صوفر. أرسلت له نسيم مجدلاني وجورج أبو عضل على ما أعتقد. اتصل بي العميد واقتنع ومشى وصوّت معنا.

■ **لماذا فرنجية بالذات؟**

ـ لأنه كان من «كتلة الوسط» التي كانوا يسمونها الكتلة السلامية.

■ **تردد أن ترشيح سليمان فرنجية انطلق من اجتماع آخر؟**

ـ القصة كما حكيتها لك. اللقاءات اللاحقة كانت لجمع المؤيدين والحسابات الانتخابية.

■ **شكلت في أول عهد فرنجية «حكومة الشباب».**

ـ حاولت تشكيل حكومة من النواب فراحوا يتبغددون ويضعون الشروط. هذا لا يقبل إلا بهذه الحقيبة وذاك بتلك. أعطيتهم مهلة فلم يغيروا موقفهم. أنا كان لدي فريق من الشباب، على غرار ما يفعل الأجانب، أستشيرهم ونفكر معاً ويعدّون دراسات. عندما تعذر تشكيل الحكومة من النواب صعدت إلى القصر وحملت التشكيلة إلى فرنجية.

■ **من لعب أيضاً دوراً رئيسياً في وصول فرنجية؟ كميل شمعون مثلاً؟**

ـ أيده، لكنني لا أعتقد بأن دوره كان استثنائياً.

■ كان فرنجية ماهراً في لعبة الطاولة؟

ـ نعم.

■ وماذا كانت اللعبة المفضّلة لديه، فرنجية أم محبوسة؟

ـ كان يفضل المحبوسة وكنت ألعب معه على رغم أنني كنت أفضّل الفرنجية.

■ استقلت في ١٩٧٣ بعد أحداث فردان؟

ـ نعم.

■ ولم تتولّ أي مسؤولية بعد ذلك؟

ـ قررت ألا أتولى رئاسة الحكومة وأعلنت أنني طلقتها.

■ وكيف كانت العلاقة مع فرنجية؟

ـ كانت العلاقة بيننا قوية وسابقة لوصوله كما ذكرت. وعملنا في البداية على توطيد ركائز الديموقراطية بعد ما تعرضت له على يد الأجهزة. كانت بيننا مشاورات متبادلة. تدخلات بعض المحيطين به أضرت. ثم جاءت حادثة فردان فطالبته بإقالة قائد الجيش لكنه تمسك به. بذلنا جهوداً كبيرة لتجنيب البلاد مجزرة ثم استقلت. طبعاً أجرينا في ١٩٧٢ انتخابات نيابية لم يستطع أحد إنكار ما تميزت به من نزاهة. حرصنا لمدة طويلة على إبقاء الصراع بيننا خفياً، ولأنه كان يجري خلف الستار ومن دون أن يشعر به أحد سميته صراعاً يابانياً.

■ ولم تشارك في الحكم في عهد الرئيس الراحل الياس سركيس. كيف كانت علاقتك معه؟

ـ عندما قلت إنني طلقت رئاسة الحكومة كنت أعني ما أقول، لهذا لم يكن مطروحاً أن أعود إليها. علاقتي معه كانت مليحة. الياس سركيس شخص آدمي. أعتقد بأن مشكلته كانت أنه صار رئيساً واحتفظ في الوقت نفسه بشخصية الموظف، لكنه شخص آدمي وصاحب خلق. الحقيقة أن سركيس كان ضعيفاً وجاء في ظروف صعبة.

■ لم يعرض عليك رئاسة الحكومة؟

ـ لا.

■ شهد هذا البيت محطات بارزة في تاريخ لبنان، كم كانت قاسية عليك أحداث ١٩٨٢ حين حاصر الإسرائيليون بيروت؟

ـ كانت من أقسى ما عرفته من معارك. أنا أنام عادة نحو سبع ساعات. في تلك الفترة كنت أنام نحو أربع ساعات. احتلال إسرائيلي ودبابات إسرائيل تقصف من حول البيت. كان الصحافيون من لبنانيين وأجانب يتقاطرون على المنزل وكنت أهاجم ترويكا المجرمين، بيغن وشامير وشارون، وكانت تلك الهجمات تتردد في كل العالم بواسطة الإذاعات والتلفزيون.

■ وهل كان خروج الفلسطينيين من المدينة المحاصرة قاسياً؟

ـ كان شارون في ١٩٨٢ يريد هدم بيروت على رأس الفلسطينيين ورأسنا معاً. بذلت جهوداً حثيثة وكان همي أن تسلم المقاومة الفلسطينية ويسلم بلدنا. تعالت أصوات آنذاك تقول إنه رمانا في الخارج من أجل إنقاذ بلده. هذا غير صحيح. لقد خرجوا بسلاحهم الكامل معززين وهم يرفعون شارة النصر وقمت بوداعهم على المرفأ وتوجهوا إلى أماكن أخرى لمتابعة العمل من أجل قضيتهم. كانت هجمة شارون ضارية. وكنت أطل من منزلي فأرى اللهب من البر والبحر والجو.

■ حكي عن صدام يومها بينك وبين أبو عمار؟

ـ حصلت صدامات عدة.

■ خرجت ذات يوم غاضباً أمام الموجودين وفهم الصحافيون أن الخلاف مع أبو عمار؟

ـ نعم ورفضت أن ينشر التلفزيون الصورة لأنني أردت عدم تهييج المشاعر. مع ذلك قبل أن يغادر (عرفات) جاء ليلاً وودعني. كان يحمل تحت إبطه «عصا الماريشالية». أصر على تقبيل يد زوجتي تميمة وقال لها هذه أثمن ما عندي أقدمها لك عرفاناً بالجميل. وترك معظم أغراضه عندنا.

■ هل كانت هناك مواقف لبنانية متشنجة في الاجتماعات، هل كانت الحركة الوطنية صعبة في تلك المرحلة؟

ـ الحركة الوطنية صعبة أصلاً. وكمال جنبلاط كان صعباً. أسس الحركة الوطنية وترأسها وهذا شأنه، ولكن ما شأن أبو عمار ليترأسها معه. اصطدمنا مع أبو عمار كثيراً. حركة كمال جنبلاط يجب أن تكون على مسؤوليته وأنت ما علاقتك يا أبو عمار فكيف تترأس الحركة معه؟!

ذات يوم في ١٩٨٢ كان هناك جمع أعتقد في هذا المنزل. تحدث أبو عمار عن خطوات تصعيدية، فقلت له الحرب تحتاج إلى سلاح ومال. فرد: «المال موجود، البنك المركزي تحت حمايتي وحراستي. أفتحه لكم». فقلت له هذا لا يجوز يا أبو عمار، فأجاب: «تردّون هذه الأموال لاحقاً». طبعاً أنا لم أوافق في أي يوم من الأيام على خطوات غير واقعية، خصوصاً أن البنك المركزي مؤسسة لبنانية أساسية ولا يجوز المس بها.

■ اتخذت في بعض الأحيان مواقف متشددة، لكنك في الأزمات الكبرى كنت تبادر إلى الانفتاح. ما قصة الاجتماع مع بشير الجميل بعد انتخابه رئيساً، علماً أنك قاطعت تلك الانتخابات؟

ـ كنا نجتمع هنا أكثر من ٥٠ شخصاً، بينهم سليم الحص وشفيق الوزان ورشيد الصلح وحسين الحسيني ووليد جنبلاط

ونبيه بري وجبهة المحافظة على الجنوب (عبداللطيف الزين ومحمد صفي الدين وأخوان لهما) واتفقنا على مقاومة محاولة بشير الجميل الوصول إلى الرئاسة، لكنه جاء رئيساً وفرض فرضاً. بدأ (المبعوث الأميركي) فيليب حبيب يبعث إلي برسائل مفادها أن الرجل انتخب رئيساً فلماذا لا يكون هناك حوار معه. أبلغت المجتمعين بتفاصيل ما يقترحه حبيب فسألوني عن رأيي فيه فقلت أريد أولاً الاستماع إلى رأيكم. قال فريق من الحاضرين نحن لن نقبل، وإذا اجتمعت به فسنصدر بياناً موجهاً إلى المواطنين. وكان من هذا الفريق سليم الحص ورشيد الصلح. فقلت لهم إننا لسنا حزباً وهذا اللقاء لا يعني تقييد تحركي السياسي.

في اليوم التالي جاء وفد يمثل المعارضين. قالوا قابله بتفويض منا، فقلت لهم إنني لست مقيداً بإرادة حزبية ولا تحتاج كل خطوة مني إلى تفويض. وشعرت بأن الرجل بات رئيساً للجمهورية على رغم مقاومتنا له ومقاطعتنا جلسة الانتخاب. اجتمعنا أنا وبشير في القصر الجمهوري وبطلب من الرئيس سركيس مدة ساعتين ثم خرجنا للغداء وعدنا إلى الاجتماع. يومها التقط التلفزيون صورة له وهو يفتح لي باب السيارة. وكنت قد قلت له إن التلفزيون يطاردنا. تعرف أن صورة من هذا النوع تترك انطباعاً معيناً لدى الجمهور. خلال الاجتماع تحدث بشير طويلاً وركز على أن صفحة الحرب يجب أن تطوى نهائياً. وقال: «أنا صرت رئيساً للجمهورية ولا أقبل أن

أكون رئيساً للموارنة أو رئيساً للمسيحيين. مسؤولياتي تلزمني أن أكون رئيساً لكل لبنان وكل اللبنانيين وأن أتعامل معهم بالتساوي بغضّ النظر عن الطوائف والمذاهب والمناطق». وقال إنه يريد بناء دولة توفر المشاركة بين المسيحيين والمسلمين وتكون مؤسساتها قوية وتعيش في ظل نظام ديموقراطي. وحرص على القول إنه لم يعد قائداً لـ«القوات اللبنانية» وأنه يتعهد بالتصرف كرئيس دولة من خلال المؤسسات الشرعية وبعيداً من روح الانتقام أو الثأر، وأنه يريد أن تبسط الدولة نفوذها على أراضيها.

تحدثت أنا عن الأجواء التي رافقت انتخابه ومعارضتنا الصريحة له والمخاوف والهواجس التي أثارها وصوله وما يطرحه من أسئلة.

■ **وماذا قال عن إسرائيل؟**

ـ قال إنه لا يريد التحالف مع إسرائيل أو انتهاج سياسة إسرائيلية، لا بل قال أكثر من ذلك. حكى كيف مارست إسرائيل ضغوطاً عليه. ونقل إليّ ما حدث في اجتماع نهاريا وكيف وجه مناحيم بيغن (رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك) إليه كلاماً قاسياً وتهديدياً. اعتبر أن مساعدة اللبنانيين له تساعده على الوقوف في وجه هذه الضغوط، وقال: «أنا أريد بلدي وأريد أن أكون رئيس جمهورية لبنان»، ربما كان صدر عنه خير كثير وربما صدر شر كثير، لم يحكم لنمتحن نياته.

■ هل اصطدمتم خلال اللقاء؟

ـ لا، لم يحصل أي اصطدام. وافقني على كل ما طرحته. وقال لن أفعل شيئاً إلا بموافقتك، وتحدث عن التوازن والتوافق الإسلامي ـ المسيحي.

■ هل طرح فكرة إبرام معاهدة سلام مع إسرائيل؟

ـ لا، على العكس، قال لي إن كلام بيغن كان مهيناً له لأنه رفض السير كما يريد بيغن. وبعد ٤٨ ساعة اغتيل بشير.

■ هل شدد في الاجتماع على وحدة لبنان واحترام مشاعر المسلمين؟

ـ شدد كثيراً على هذه الناحية، وقال مرات عدة إنه لا يريد أن يكون رئيساً لقسم من اللبنانيين. قلت له: سأضرب لك مثلاً، تأتي مئة منحة دراسية فيعطي ٩٥ في المئة منها للمسيحيين و٥ في المئة للمسلمين فرد: نعطيها مئة في المئة للمسلمين. أجبته: لا فالمطلوب هو الإنصاف لتعزيز التعايش والروابط بين اللبنانيين.

■ هل طلبت منه شيئاً محدداً يتعلق بالحكومة؟

ـ لا لم يصل البحث إلى هذه النقطة فلا أنا طرحت ولا هو طلب.

■ بعدها ساهمت في وصول شقيقه الرئيس أمين الجميل؟

ـ نعم، لأنني كنت آمل أن يكون إيجابياً ومفيداً للبلد، لكنه خيبني تماماً. أنا لا أحقد على رغم كل شيء. لكنني أقول، وبصراحة، إنني لا أشعر ولو بذرة من التقدير لهذا الرجل لا بل على العكس من ذلك. أسلوبه دفعني إلى مقاطعته. خلال جلسات الحوار الوطني في جنيف أو لوزان تدخّل الأخ عبدالحليم خدام (وزير خارجية سورية آنذاك) وتمنى أن أقبل اللقاء معه فوافقت. في اللقاء قلت بصريح العبارة: منذ سنة ونصف السنة وأنا أحملك على ظهري ليس تجاه المسلمين فقط بل أيضاً تجاه المسيحيين. قل لي أي نصيحة ولو صغيرة قبلتها مني. وإذ بأمين الجميل يردّ خارج الموضوع ويقول «أنت تلقيت مئة مليون ليرة»، وكانت قد وصلت قبل أيام المنحة السعودية للمقاصد. انتابني غضب شديد ورحت أسأله، لماذا تفوّه بهذا الكلام، وقلت له: هل تريد أن تقول أمام الأخ عبدالحليم إنني أتلقى أموالاً؟ وقلت له هذه الأموال ليست لصائب سلام بل أتت تحت ضوء الشمس وفي رابعة النهار لمؤسسة محترمة وإدارتها أمينة وموثوقة.

■ كيف تنظر إلى الوضع اليوم؟

ـ أرى أن الوضع مستقر ويتجه إلى المزيد وهذا هو المطلوب. علاقتنا طيبة مع سورية وضروري أن تكون طيبة لأنهما توأمان

لا ينفصلان، خصوصاً أن على رأس سورية اليوم الرئيس حافظ الأسد الذي يحافظ على موقف سورية الوطني لا سيما في مفاوضات السلام.

■ من كنت تحترم من خصومك السياسيين؟

ـ الذي يحترم نفسه.. ولا أريد أن أسمي.

■ حصلت علاقات لاحقاً مع كميل شمعون بعد عداء طويل؟

ـ أنا لا أحقد. والذي جمعنا هو العميد ريمون إده. يومها أعلنت حملة عنيفة على المكتب الثاني وفؤاد شهاب ولي خطاب شهير في الكارلتون في هذا الموضوع.

■ مَنْ مِنَ السياسيين اللبنانيين كان صياداً ماهراً؟

ـ كميل شمعون.

■ وسليمان فرنجية؟

ـ كان صياداً، لكنه لم يشتهر بذلك، اشتهر بفروسيته أي بأخلاق الفروسية.

■ من هو السياسي الذي كان صديقاً دائماً لك أو حليفاً؟

ـ ألا تذكر ما قاله غلادستون؟ قال: «في السياسة ليس هناك صداقة دائمة أو عداوة دائمة».

■ ظهر واضحاً أنك تدعم التفاهم القائم بين الرئيسين الياس الهراوي ورفيق الحريري؟

ـ هذا التفاهم بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء مطلوب.

■ هل ترى أن الرئيس الحريري حقق الآمال التي علقت عليه؟

ـ أعتقد بأن الحكم ككل حقق أشياء لا بأس بها ويسعى إلى تحقيق أشياء أخرى.

■ لنرجع إلى بدايات لبنان المستقل.. متى توليت رئاسة الحكومة؟

ـ المرة الأولى كانت في ١٩٤٣، وهي كانت أشبه بحكومة احتياطية أو حكومة ظل، وذلك حين اقتاد الفرنسيون رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وعدداً من الوزراء إلى قلعة راشيا وبقي الأمير مجيد أرسلان وحبيب أبو شهلا خارج الاعتقال. اجتمع ٣٥ نائباً هنا في هذا المنزل وقرروا أنه في حال اعتقل الاثنان أيضاً، أن أكون أنا رئيس حكومة، وشكلت حكومة من ستة أشخاص بينهم هنري فرعون. لكن هذه الحكومة لم تمارس.

أول حكومة رسمية برئاستي كانت في ١٩٥٢ وذلك عندما استدعاني الرئيس بشارة الخوري في نهاية المطاف وكلفني تشكيل الحكومة. قلت له، يومها: «منذ تسع سنوات وأنت

تعارض وصولي إلى رئاسة الحكومة وأنا أعرف قصة الاستطلاعات والاستشارات النيابية وكيف تجرى. الوضع صعب ورأسك في الميزان. لأسباب وطنية سأحاول أن أساعدك على تخليص رأسك إذا قدرت». والحقيقة انني جربت وبإخلاص. لم يمشِ الحال يومها وطار بشارة الخوري. استمرت المحاولة أربعة أو خمسة أيام لكن الوضع الشعبي كان قد تخطى محاولة ايجاد مخرج. أذكر أن الاجتماع الأخير بيني وبينه كان في مكتبه في عاليه، كنت قد قدمت له كتاب الاعتذار. قال لي حاول أن ترى النواب الذين كانوا مع أحمد الأسعد. فقلت له سأراهم، لكنني لا أعتقد بأن ذلك سيغير شيئاً فموقف الشعب اليوم مختلف. أوضحت له أن وضعه وصل إلى مأزق. تردد في البداية ثم قرر الانسحاب وسلم قائد الجيش فؤاد شهاب موقتاً.

■ **بشارة الخوري لجأ إليك مضطراً؟**

ـ نعم، على رغم أنني أيدته يوم كان السباق بينه وبين إميل إده أيام الفرنسيين. كنا نقف ضد تيار إده والفرنكوفيل. جرت محاولة لترشيح كميل شمعون. جاء بشارة الخوري إلى هنا وأيدته فقال لي طوقت عنقي بالفضل من الآن والى أبد الآبدين. تبين أن كل ذلك كان كلاماً سياسياً.

■ **وساهمت في انتخاب كميل شمعون.. لماذا؟**

ـ أيدته لأنه كان آنذاك «فتى العروبة الأغر» وكان مأمولاً أن

يكون رئيساً جيداً. وهو في البداية كان كذلك، وشكلت حكومة في بداية عهده. بعدها لجأ شمعون إلى ممارسات غير مقبولة. وفي ذلك الوقت قمت بتسجيل سابقة. كلف عبدالله اليافي بتشكيل حكومة فلم يتمكن من ذلك. زارني في البيت وكان لديه تعبير يستخدمه وهو «اليأس إحدى الراحتين». سألته لماذا أنت يائس؟ فأجاب: «لا يريدون السماح لي بتشكيل الحكومة». فقلت له: «أنا سأكون معك». ذهل وكرر السؤال فرددت بالإيجاب. كان موقفي مستهجناً آنذاك فكيف يقبل رئيس سابق للحكومة أن يكون وزيراً في حكومة برئاسة غيره. أسند إلي منصب وزير دولة.

■ **توليت رئاسة الحكومة في عهد فؤاد شهاب وأيدت وصوله؟**

ـ أرى أنني كنت سبباً كبيراً في مجيء فؤاد شهاب. لم يكن وصوله سهلاً. وان دماه. وان دماه. **أولاً** لأن الحكم العسكري ليس حكماً صحيحاً ولا يمكن ان يلائم لبنان، **وثانياً** لأنني لمست منه تصرفات غريبة الشكل. هناك من يحرص على تحويله إلى أسطورة. أنا أتصدى لهذه المحاولة ليس فقط لأن الرجل ليس أسطورة بل أيضاً لأنه ضد الاسطورة ونقيضها: ضيّق الأفق وصغير وضعيف الثقافة. رددوا باستمرار الشهابية الشهابية. أنا لا أرى ما هي الشهابية. الشهابية هي في النهاية تملق لرئيس الجمهورية.

■ **هل صحيح أنه انزعج من إصرارك على تدخين السيكار؟**

ـ السيجارة تزعج أكثر من السيكار. وهو كان يحمل دائماً سيجارته. ثم ما علاقته بالقرنفلة؟

■ **أمضيت عهد شارل حلو وأنت خارج الحكم؟**

ـ (يضحك) ذات يوم وقعت أزمة وزارية وارتبك (الرئيس) شارل حلو. كان يريد تكليفي برئاسة الحكومة لإنهاء الأزمة ولم يكن قادراً على ذلك بسبب موقف الشهابيين والأجهزة. قلت له إنني لا أقبل إلا أن أشكل الحكومة هذه المرة. كانت تربطني صداقة بحبيب كيروز ونسيم مجدلاني فطلبت منهما أن يبلغاه استنتاجاً من عندهما وهو أنهما يعرفان أن صائب سلام يريد تشكيل الحكومة لكنه لن يعارض في حال تكليف عبدالله اليافي. أنا في الحقيقة لم أكن أريد تشكيل الحكومة وهو لم يكن قادراً على تكليفي، لكن هذا السيناريو كان من ضمن تحركي السياسي. في عهده كان العقيد غابي لحود (رئيس الشعبة الثانية ـ المخابرات) يدخل إلى الغرفة التي تشكل فيها الحكومة ويقترح أسماء ويطالب بحذف أسماء. هذا ما قاله عبدالله اليافي وما أعلنته أنا في خطاب الكارلتون الشهير.

■ **هل كانت علاقتك قوية بعبدالله اليافي؟**

ـ كان عبدالله «كويس» كشخصية وكسياسي، لكنه كان سريع

الغضب والانفعال. المسؤولية تستدعي ضبط الأعصاب، خصوصاً إذا كان هناك من يحاول أن يثيرك ويخرجك عن طورك. كنت أهتم بمساعدته. والحقيقة أن على السياسي أن يتوقع صعوبات يومية في بلد كلبنان وأن لا يسارع إلى الغضب أو اليأس.

■ **لماذا وصفت علاقتك برئيس الوزراء الراحل رشيد كرامي بأنها «مكَرّ مفرّ مقبل مدبر معاً». هل السبب كثرة الاحتكاكات؟**

ـ نعم كانت تحصل احتكاكات كثيرة، خصوصاً في مجلس النواب. كانت غمزاته قاسية وقارصة. ذات يوم قال: «لقد استثرته فغضب». فضربت على الطاولة وقلت له: الرجل الذي لا يغضب (...). إن رشيد كرامي بلا شك شخصية وكان رجل دولة.

■ **متى بنيت هذه الدار؟**

ـ لا أعرف متى شيّد الطابق السفلي بالضبط وهو بناء من عقد. آخر من سكنه كانت شقيقتي الكبرى. ابني تمام حوَّل طابق العقد إلى قاعة واحدة. هذا المكان اشتراه جدي وكان قبل ذلك يسمى برج المصيطبة. وسبب التسمية أن المصيطبة هي إحدى التلال الثلاث في بيروت، وهي برج المصيطبة وتلة الزيدانية وتلة الأشرفية. غيّرت العمارات الشاهقة اليوم معالم

المدينة، خصوصاً بعد بناء الأسمنت والبنايات المرتفعة. والمصيطبة هي تصغير مصطبة. كان هناك قربنا مكان خلاء يسمونه العمارة، وكنا نلعب فيه ونحن أطفال ونتساءل عن اسمه. والمقصود بالعمارة المكان الذي تصنع فيه السفن. كانوا يعمرون الأسطول البحري هنا قبل إنزاله إلى البحر لأنهم لو فعلوا ذلك قرب البحر لسطا القراصنة عليه أو أحرقوه، وفي الزمان كان القراصنة من اليونان وغيرهم. هكذا كانوا يجهزون المراكب ثم يأخذونها جراً إلى البحر.

جدي اشترى بناء العقد الذي كان يسمى برج المصيطبة وبنى الطبقة الأولى واستمر سنين طويلة على تلك الحال، أي حتى سنة ١٩٢٠ تقريباً. والمؤسف أنه في حيّنا وحده كان هناك نحو ٣٦ بيتاً تشبه بيتنا لجهة الطراز، لكن كل ذلك تغير. أنا أتألم حين أرى وضع المدينة الحالي. أين بيروت التي ولدنا فيها ونشأنا؟

■ **أين ولدت تحديداً؟**

ـ من بين كل إخوتي أنا الوحيد الذي ولد في زقاق البلاط. الظروف الصحية لوالدتي كانت تقتضي مداراة من قبل والدتها. نحن ١١ ولداً وكلهم ولدوا هنا وبيني وبين من هو أكبر مني ٤ سنوات. والدي سكن قرب منزل أهل والدتي في زقاق البلاط بهدف تسهيل العناية بوضعها الصحي. وولدت هناك لكنني نشأت هنا أي إنني مصيطباوي. كانوا يسمون المصيطبة حي

الدبش، وبيروت بنيت أساساً من حجارة المقالع لا من الاسمنت. منطقة شارع فردان مثلاً كانت في الأصل مجموعة مقالع. كان لدى أهل المصيطبة حمير ينقلون عليها الدبش أي حجارة المقالع. ولعل التسمية أرادت الإشارة أيضاً إلى خشونة طباع أهل المصيطبة. والحمد لله أننا بين زقاق البلاط الناعمة اللطيفة، وبين المصيطبة الخشنة. جمعنا الصفتين معاً.

■ **ربما هذه النشأة هي التي أعطتك الصلابة في الحياة السياسية؟**

ـ من دون أن تنسى مسحة النعومية من زقاق البلاط.

■ **نشأت في بيت سياسي، ما هي أول فكرة تعلمتها عن لبنان؟**

ـ لبنان لم يكن موجوداً حين نشأت في أيام العثمانيين. عشت ١٣ عاماً في ظل العثمانيين أي حتى سنة ١٩١٨ الموعد الذي رحلت فيه تركيا وجيوشها. كانت بيروت بلداً صغيراً هادئاً شوارعه عادية وكانت المدينة القديمة موجودة ولا تستطيع السيارات أو العربات دخول أزقتها؛ وهي تغيرت كثيراً. كانت هناك أسواق للحدادين والنجارين وغيره.

■ **وأين تعلمت؟**

ـ في مدارس عدة. كانت هناك فترات اضطراب أيام نشأتي.

فأحياناً كانت المدرسة تغلق فننتقل إلى أخرى. تعلمت في مدارس المقاصد وفي مدرسة المخلص للآباء المخلصين وفي المدرسة البطريركية الكاثوليكية في حيّنا ثم في الكلية الأميركية التي أقفلت في أيام العثمانيين وعدت إلى مدرسة المقاصد الثانوية ثم وصلت إلى السوفومور في الجامعة الأميركية، وهناك مرارة في نفسي لأنني توقفت عن الدراسة فترة لأن والدي لم يكن يملك القسط، لأن حمله كان ثقيلاً والعائلة كبيرة ونضاله المستمر يسبب له المتاعب. حين تحسنت أحواله وكان في بريطانيا أرسل في طلبي ودخلت جامعة لندن حيث درست الاقتصاد، واضطررت أيضاً للتوقف قبل التخرج. حاولت قدر الإمكان أن أثقف نفسي عبر القراءة التي تمكنك من الاطلاع على الدنيا بأحداثها ومستجداتها الثقافية والعلمية والأدبية والتكنولوجية. بعد الدراسة عدت في ١٩٢٨ إلى بيروت ثم ذهبت إلى فلسطين. كان هناك امتياز اسمه امتياز الحولة. وضعت كل جهدي هناك وأفنيت خمس سنوات من عمري. الامتياز تركي وأنكره الانكليز حين جاؤوا. أمضيت هذه الفترة بين الفلاحين والبدو وكنت أمضي أحياناً ١٨ ساعة على ظهر الحصان، وكنا نتعرض لأخطار كثيرة. نجحنا إلى حد بعيد. كان من شروط الامتياز أن نجفف المستنقع المحيط بالبحيرة. جففنا ٢٢ ألف دونم لكننا اضطررنا في النهاية تحت ضغط الانكليز ومن ورائهم اليهود، والتهديدات المتكررة إلى المغادرة. مجرى نهر الأردن يخرج من البحيرة إلى جسر بنات

يعقوب، هدمنا الجسر القديم وبنينا مكانه جسراً حديثاً ونظفنا النهر. كنت أنام عند الفلاحين على وسادات لم يعد البياض ظاهراً فيها وتنبعث منها رائحة كريهة. قامت الدنيا لاحقاً على موضوع الحولة وقالوا إننا بعنا أراضي الحولة في فلسطين. لم نملك في الواقع يوماً أراضي في الحولة. تحت ضغط الانكليز واليهود اضطر والدي إلى التنازل عن الامتياز. عدت إلى بيروت وبدأنا الانغماس في السياسة لأنني فتحت عيوني في بيت يعدّ نفسه معنياً بالشؤون العامة الوطنية والسياسية. أنا أذكر ما سموه الحرية في ١٩٠٨. أذكر معالم الزينة في بيروت وكيف كان أنصار والدي يحملونني وعمري ثلاث سنوات، فلا أرى إلا شخصاً يصعد إلى المنبر وآخر ينزل. وكان الخطباء قلة وبينهم الشيخ مصطفى الغلاييني والشيخ اسكندر العازار وفليكس فارس.

■ **ماذا بقي في ذاكرتك من مشاهد الحرب العالمية الأولى؟**

ـ أذكر تماماً سنوات المجاعة. تلك المشاهد تبقى محفورة في الذاكرة. تصور أننا كنا نمشي ليلاً من منزل عمي في الحرج خارج بيروت إلى هذا المكان فلا نسمع على جنبات الطرق إلا الأنين. جثث ممدة لمن قضوا جوعاً وأشباح وهياكل لمن شارفوا على الموت لتعذر الحصول على كسرة خبز. كان طنبر (عربة) البلدية يمر والعامل الذي يقوده مهدد بالموت جوعاً.

يجمعون الجثث ويرمونها وأحياناً يلقون معها ببعض من كان يئن. تصور قسوة المشهد: رجل جائع يئن ويُحتضر ثم يلقى بين الجثث. مرحلة عصيبة وفظيعة.

جاء جمال باشا السفاح، وأعدم أحرار العرب في ساحة الشهداء في بيروت ودمشق.

■ ماذا حصل في بيروت بعد عمليات الشنق؟

ـ كان من الصعب على أي كان أن يقوم برد فعل. الحكم ظالم وقاس ومتسلط وهو نفى الكثيرين من أبناء بيروت إلى الأناضول. جاء جمال باشا إلى المنطقة كقائد عام، وبحجة أنه يريد فتح قناة السويس ودخول مصر. طبعاً كان أعجز عن القيام بذلك. كان جمال باشا قائد المنطقة الرابعة، أي سورية الطبيعية بكاملها.

■ هل تعتبر تلك الأيام أقسى ما عاشته بيروت؟

ـ أظن ذلك. مشاهد المجاعة رهيبة. كان لدينا شاب من أهل الحي ذهب والده إلى الحرب وقتل. باع الشاب كل ما في منزله حتى وصل إلى بيع القرميد. ولجأ في النهاية إلى بيتنا بعدما كان يأكل من القمامة فآوته والدتي. كان هناك والٍ اسمه عزمي بك، رجل حازم، وكان الناس في بيروت يضبطون ساعاتهم على موعد مرور عربته من منزله إلى السرايا. وكان يبذل جهده بالذهاب شخصياً إلى حوران ويأتي بالقمح لإعاشة الأهالي.

■ لم يتكرر شيء من هذه المشاهد في الحرب العالمية الثانية؟

ـ كانت قاسية لكن لم تحدث مجاعة.

■ متى تعاطيت السياسة للمرة الأولى؟

ـ تعاطيتها إلى جانب والدي أولاً. نحن كما قلت كنا ١١ ولداً. ربما كنت الأقرب إلى والدي. سجن مرات عدة وتعرضت رقبته لخطر المشنقة أيام جمال باشا لولا تمسك الوالي عزمي بك به خشية إفقاد أهل بيروت مسؤولاً مهماً عنها.

وأرسل والدي إلى المنفى مرتين. وبعد ظلم الأتراك جاء الفرنسيون وتابعوا اضطهاده.

كان لولاية بيروت في عهد العثمانيين ثلاثة نواب في «مجلس المبعوثان» هم والدي وميشال سرسق وكامل الأسعد الجد، آخر إقطاعي في البلد شكلاً وفعلاً. وكانت هذه الولاية تمتد من اللاذقية إلى نابلس وحدود متصرفية القدس الممتازة. سجن والدي في أيام الفرنسيين. وضعوه في السرايا وكانوا يفتشون الخبز الذي نحمله إليه مع الطعام. جاء فوزي باشا العظم (وهو مبعوث (نائب) أيضاً وزميل له) لزيارته في السجن وسأله ماذا تقرأ؟ فأجابه: أقرأ سر تقدم الانكليز الساكسونيين. قال هذه الجملة وجن جنون الفرنسيين.

في أيام جمال باشا أرسلوا في طلب والدي إلى المجلس

العرفي في مدينة عاليه. كنا نمضي وقتاً في قرى الزبداني في سورية تفادياً لأساطيل الغرب. كنا في منطقة الزبداني وفي قرية مضايا ثم انتقلنا إلى قرية بقين. في إحدى الليالي طوّق ٢٠٠ جندي تركي البيت. أخوتي الثلاثة الكبار اقترحوا أن يقاوموا. نحن نتقن الصيد لكن كانت أي محاولة للمقاومة ضرباً من الجنون. لا أزال أذكر أنه حين مشى والدي مع العسكر، وكان يفترض الانتقال من الزبداني إلى محطة السكة الحديد، على الحمار، نادته والدتي وقالت له «يجب ان أعطيك مفتاح البيت». وكانت تقصد البيت في بيروت وهو كان يتردد عليه. التفت والدي وقال لها: «ومن سيرى البيت بعد اليوم؟». تصور وقع مثل هذا الكلام على طفل مثلي.

جئنا إلى بيروت وأخذوا والدي إلى الديوان العرفي. أذكر ما رواه نوري العرب وفيه أنه ذهب ليلاً مع مدير البوليس في بيروت ومدير البوليس في الشام لإحضار أبو علي. حين وصلوا قالوا له إنه مطلوب فقط للشهادة، فقال لهم: وهل تحتاج الشهادة إلى حضوركم بهذه الطريقة، ومع هذا العدد من الجنود للقيام بهذه المهمة؟ في الطريق التقوا بسيارة جمال باشا على طريق الشام فنزل الثلاثة وذهبوا إلى سيارة جمال باشا، وحين عادوا قالوا لأبو علي: إلا تريد أن تقابل الباشا أو تكلمه؟ فرد: «لا شغل لي معه وإذا كان له شغل معي فليكلمني هو». أعدم جمال باشا أشخاصاً عدة، وحتى ليلة الشنق كانت رقبة والدي مرشحة للإعدام. تدخل عزمي بك وقال لجمال باشا: «إذا

كنت تريد إعدام أبو علي فأنا سأتخلى عن منصبي وأعود إلى اسطنبول». وهكذا نجا. نُفي والدي أيضاً في أيام الفرنسيين إلى دوما في أعالي البترون، وكانت الرحلة تستغرق تسع ساعات في السيارة آنذاك. وألزموه أن يثبت وجوده في مركز الأمن الفرنسي هناك عند الصباح وعند المساء. ذات يوم جاء القومندان الفرنسي من طرابلس واستدعاه وقال له: يقولون إنك تنزل إلى بيروت ليلاً وتقابل الانكليز وترجع صباحاً، فأجاب: أنتم الفرنسيين إذا قالوا لكم الجمل في البيضة تحفرونها بحثاً عنه. الرحلة إلى بيروت تستغرق تسع ساعات للذهاب ومثلها للعودة. كيف أذهب وأنا أثبت وجودي كل صباح ومساء عندكم؟ كان في الإقامة الجبرية. حين أخذه الفرنسيون لم نعرف إلى أين ذهبوا به، وفي تلك الأيام كانوا ينفون الناس إلى جزر السيشل. أخذوه إلى سجن القلعة في بيروت، وفي اليوم الثاني اكتشفنا أنهم أخذوه إلى الزنزانة. ثم صاروا يسمحون له بالخروج إلى الباحة. ذات يوم كنت ألتقط صورة له فسمعت ضجة مصدرها غرفة القومندان. نزعت الفيلم من الكاميرا وخبأته، اقترب القومندان وكما توقعت وضع الكاميرا تحت قدميه وحطمها. لكنه لم يعرف أنني أخذت الفيلم منها.

■ خضت الانتخابات النيابية للمرة الأولى في ١٩٤٣؟

ـ نعم وحتى سنة ١٩٤٣ كنا ندّعي أننا سوريون ونرفض لبنان الكبير الذي أعلنه الجنرال غورو في ١٩٢٠ وضم فيه بيروت

وصيدا وطرابلس ومدن الساحل إلى جبل لبنان. في السابق كان جبل لبنان مستقلاً وبحماية الدول السبع. أذكر أن الترامواي كان يمشي من المنارة إلى فرن الشباك ويتوقف عند أولها. كنا نرى القبضايات المطلوبين من قبل العسكر التركي يجلسون في المقهى في فرن الشباك ولا يستطيع الجيش العثماني التقدم لاعتقالهم لأن المنطقة تابعة لجبل لبنان الذي كان له وضعه الخاص في السلطنة العثمانية لكونه محمياً من الدول السبع.

ترشحت للانتخابات في بيروت في ١٩٤٣ ودخلت الحكومة في ١٩٤٦.

■ ماذا تذكر عن مؤتمر الساحل الذي عقد في هذه الدار بالذات؟

ـ مؤتمر الساحل عقد هنا، وشاركت إلى جانب والدي. المشاركون رفضوا لبنان الذي أعلنه غورو وتمسكوا بسورية الأم. نحن ظللنا ننكر لبنان حتى ١٩٤٣. منذ أعلن لبنان الكبير أصدروا هويات في آخرها سطر يقول «هذه الوثيقة تشهد أن فلاناً لبناني».

حصلت احتجاجات وتوجه وفد برئاسة والدي إلى عاليه، واتفقوا مع الجنرال غورو على شطب الجملة الأخيرة، وهكذا بقي اسم دولة لبنان الكبير واسم الشخص وطوله وعرضه وشكله، أي المعلومات مع حذف الجملة التي تقول «هذه الوثيقة تشهد أن فلاناً لبناني».

■ لكنك أيدت الاستقلال وناضلت من أجله؟

ـ عقد مؤتمران للساحل وكنت أدوّن أنا وعلي ناصر الدين، وهو من الوجوه الوطنية، محاضر الجلسات. حضر رجالات الساحل، من عبدالحميد كرامي إلى أهل صيدا والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة «العرفان» وشخصيات من النبطية منهم الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان الضاهر وشخصيات من مناطق أخرى.

يوم شعرنا أنه صار هناك استقلال اخترنا الانضمام إلى لبنان وعلى قاعدة تفاهم مسيحي ـ إسلامي.

■ كنت تقاوم لبنان لأنك ترفض الإنتماء إلى بلد تابع للغرب مثلاً؟

ـ نعم وقد كان كذلك. كنا سوريين وضمّنا غورو إلى لبنان قهراً. توفي والدي في ١٩٣٨ وهو سوري.

■ المرحلة الاستقلالية زادتك رسوخاً وتعلقاً بلبنان؟

ـ حين صرنا لبنانيين لم أعد أقبل أن يكون من هو لبناني أكثر مني لأنني لو قبلت أكون زائفاً. نحن لسنا زائفين، نحن أصليون. صار لبنان وطني وصرت متمسكاً به. أنا لدي كارت من أمين الجميل والد بيار الجميل مدوّن فيه: أمين الجميل، بيروت، سورية. كلنا كنا سوريين.

■ أطلقت شعارات تشدد على الوحدة ولقيت صدى واسعاً بين اللبنانيين. هل تذكر متى أطلقت شعار «لبنان واحد لا لبنانان»؟

ـ الشعار يصدر عفواً، لكنه يجيء ثمرة تجربة وتفكير وخبرة. يقولون صاحب شعارات. الحقيقة أن الشعارات هي نتيجة خبرة وتجربة. «لبنان واحد لا لبنانان» هو حصيلة تجارب أظهرت أن لبنان لا يعيش ولا يكون لبنان إلا إذا كان موحداً. اللبنانان يجب ألا يقوما لا في القانون ولا في المشاعر.

هناك أيضاً شعار «التفهم والتفاهم». المقصود هو أن تستمع إلى الآخر وتصغي إلى وجهة نظره وتتفهم مبرراتها وحيثياتها، وأن يفعل هو الشيء نفسه بالنسبة اليك، وإذا حصل مثل هذا التفهم من كل جانب يمكن الوصول إلى التفاهم. في بلد مثل لبنان لا بد من التفهم للوصول إلى التفاهم.

وهناك شعار «لا غالب ولا مغلوب». كمال جنبلاط، رحمه الله، انتقدني كثيراً بعد إطلاق هذا الشعار إثر ثورة ١٩٥٨. قال لا نقبل بعد كل الذي فعلناه بمنطق لا غالب ولا مغلوب، يجب أن نحطم الكتائب وما إلى ذلك. قلت له أنت تقول الكتائب وأنا أقول إن المسألة تتعلق بالموارنة جميعاً وليس بحزب وبالمسيحيين عموماً، وإذا كنا نريد أن نعيش معاً فيجب أن نطمئن وأن نطمئن الآخرين.

■ في ١٩٥٨ كنت زعيماً لثورة، وفي السنوات اللاحقة كنت في طليعة الحكماء؟

ـ الحقيقة أننا أُجبرنا على القيام بثورة ١٩٥٨، فقد هاجمنا كميل شمعون كثيراً ونكَّل بنا وسجننا. أدخلونا إلى السجن بسبب القيام بتظاهرة سلمية وفرقونا بأعقاب البندقية حيث فتحوا جرحاً عميقاً في رأسي، مما اضطر الطبيب إلى تضميده بسبع قطب لا تزال آثارها موجودة، وأضربت عن الطعام احتجاجاً لمدة خمسة أيام. جاء الأصحاب هنري فرعون ومحمد علي بيهم ويوسف حتّي وغيرهم وقالوا توصلنا إلى تسوية مع شمعون، ضد إرادتي، وهكذا خرجت بالبيجاما والروب والضمادات على رأسي، وكانت تظاهرة أولها في المنزل هنا وآخرها في منطقة الحرج.

■ يقول العميد ريمون إده إنه هو الذي نقلك إلى المستشفى؟

ـ هو أخذني بسيارته إلى أوتيل ديو، فقلت له إنني لا أريد دخوله فأخذني إلى مستشفى البربير.

ـ لماذا لم تدخل مستشفى أوتيل ديو؟

ـ لأنه خارج منطقتي وليس كرهاً بمستشفى أوتيل ديو الذي أقدّره.



صائب سلام في حديث مع المؤلف



صائب سلام يتحدث مع رفيق الحريري وإلى يساره نجله تمام



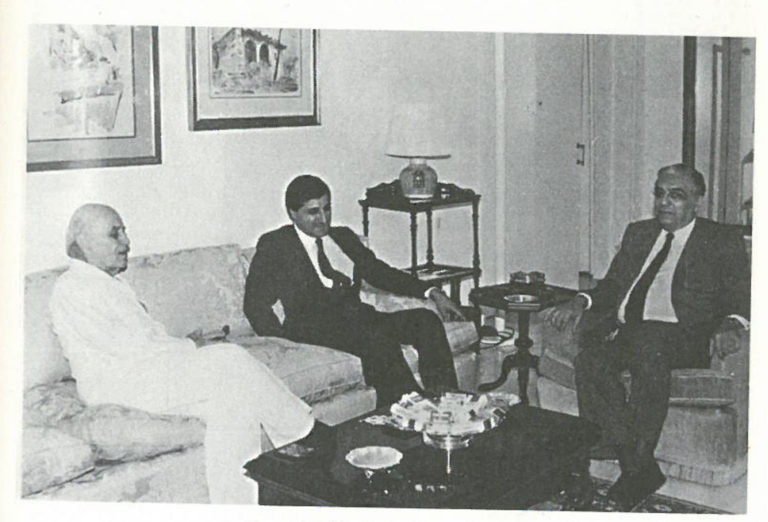
صائب سلام مع الياس سركيس



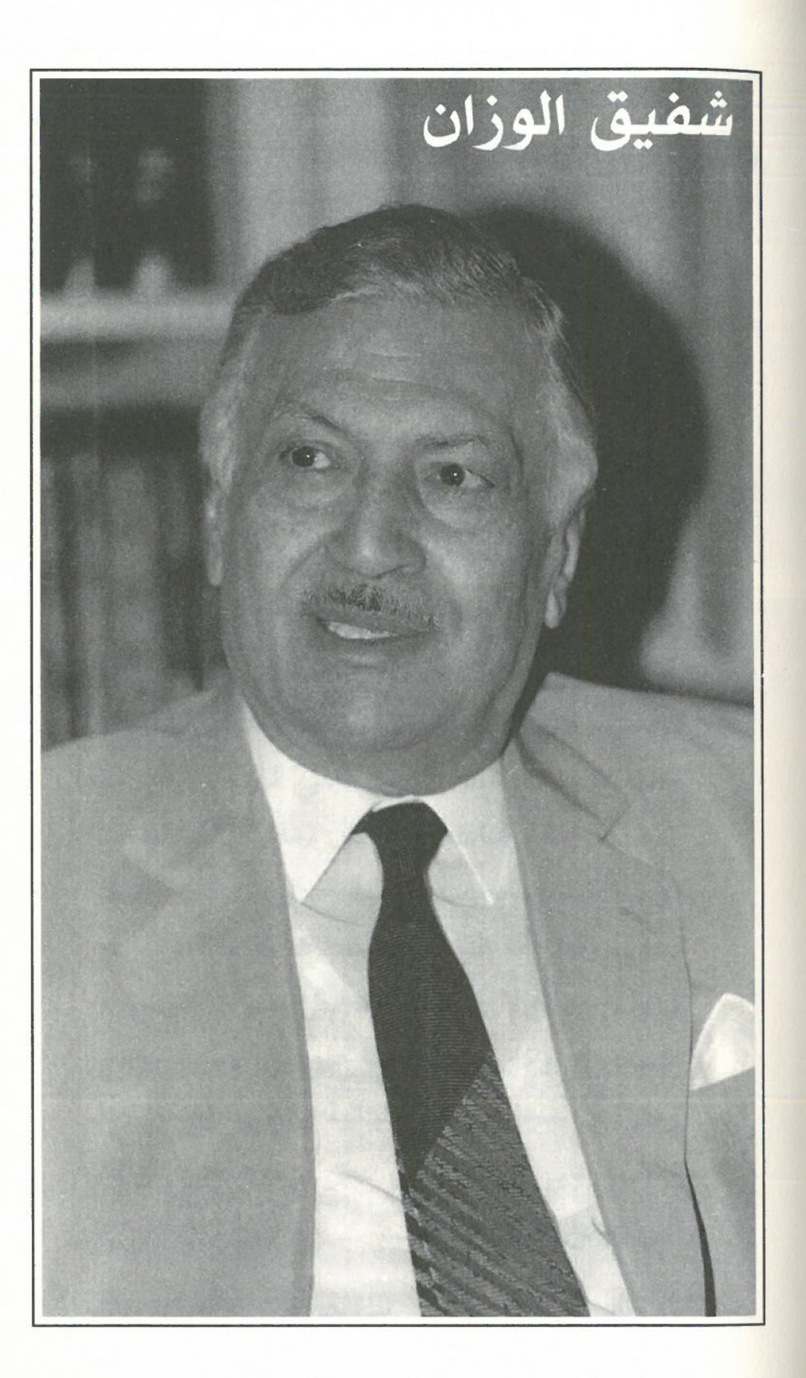
.. ومع شارل الحلو



سلام يتحدث إلى الصحافة وإلى يمينه المير مجيد أرسلان



.. ومع بشير الجميل والياس سركيس



شفيق الوزان: ظلموني كثيراً

خلال حواري معه كان الرئيس شفيق الوزان حائراً، هل يقول كل شيء حتى ولو تسبب الأمر في إحراج كثيرين، أم يكتفي بما يراه ضرورياً لتوضيح الحقبة العاصفة التي تولى خلالها رئاسة الحكومة؟ وهي حقبة شهدت الغزو الإسرائيلي للبنان و«حرب الجبل» ومفاوضات ١٧ أيار (مايو) اللبنانية ـ الإسرائيلية ومحطات داخلية خطيرة. كان أحياناً يطلب وقف آلة التسجيل ليتحدث بانفعال وألم أو ليقول جملة لا يريد أن تحفظ بصوته ثم نعاود التسجيل. وكان يشدد دائماً على أن ضميره مرتاح وعلى أن سجل مواقفه اللبنانية والعربية يشكل رداً حاسماً على «الظلم الذي لحق بي والحملة الهائلة التي استهدفتني».

ولد الرئيس الوزان في بيروت عام ١٩٢٥. نال

ديبلوم الحقوق في بيروت العام ١٩٤٧ وانتسب إلى نقابة المحامين. شارك في تأسيس حزب الهيئة الوطنية وكلّف أمانة سر جمعية المقاصد بين ١٩٥٨ و١٩٧٢. انتخب نائباً عن بيروت في ١٩٦٨ وعيّن في العام التالي وزيراً للعدل. انتخب رئيساً للمجلس الإسلامي في ١٩٧٣ وشارك في ١٩٧٦ في اجتماعات «التجمع الإسلامي». في تشرين الاول اكتوبر ١٩٨٠ شكل الحكومة في عهد الرئيس الياس سركيس واستمر حتى نهاية العهد في ٢٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢، ثم شكّل الحكومة اللبنانية في بدء عهد الرئيس أمين الجميل واستمرت حكومته حتى ٢٩ نيسان/ أبريل ١٩٨٤.

■ **في حديثك مرارة غير عادية، هل تعتقد بأنك ظُلمت؟**

ـ ظُلمت كثيراً وطويلاً. تحملت ضغوطات وتهديدات. كان هناك قرار بفرض العزلة عليّ على الصعيد الوطني وحتى داخل الصف الذي نشأت فيه وشاركت في حمل أحلامه وهمومه وقضاياه. ما يؤلمني ليس ما تعرضت له شخصياً فأنا مرتاح الضمير. وربما تجيء ساعة تتكشف فيها حقيقة الأشياء. إذا كتب التاريخ بإنصاف أنا واثق من أن شفيق الوزان سيُنصف. آلمتني اتهامات تحولت إلى سياسة. وآلمني تنكّر سياسيين لمواقفهم وتخاذلهم عن قول الحقيقة. لا أبالغ إذا قلت لك إن

كثيرين بدّلوا مواقفهم بين ليلة وضحاها وكأنهم لم يقولوا ولم يوافقوا ولم يوقّعوا. الإعلام أيضاً كان شريكاً في الظلم.

لست من قماشة الذين يفرّطون بأي شأن وطني أو قومي، وتاريخي شاهد على ذلك. كانت اللعبة كبيرة وتحتاج إلى ضحايا والى إضعاف مواقع معيّنة لتغيير موازين القوى. شاء الحظ أن أكون في موقع المسؤولية في أيام سوداء. تحمّلت ما لم يتحمّله رئيس حكومة. لم أقدم على خطوة إلا بعد استشارة ضميري مرات عدة وبعد التشاور مع من أثبتت الأحداث أن لا غبار على وطنيتهم ومشاعرهم القومية. إنه الحظ السيئ شاء أن أكون رئيساً للحكومة عندما غادرت المقاومة الفلسطينية بيروت تحت وطأة الحصار الإسرائيلي والقصف المجنون، لكن من كان ضد خروج المقاومة وإنقاذ بيروت؟ من السهل إعادة صوغ المواقف لاحقاً وفي ضوء الحسابات المستجدة وتناسي الظروف التي جرت فيها الأحداث.

والحظ السيئ نفسه شاء أن تجرى مفاوضات ١٧ أيار مايو ١٩٨٣ وأنا على رأس الحكومة. قد نكون أخطأنا في قراءة الموقف السوري آنذاك لكن الهاجس كان إخراج الاحتلال الإسرائيلي قبل أن يستكمل تفتيت لبنان وتمزيق نسيجه. ثم إن اتفاق ١٧ أيار مرّ على مجلس النواب، والغريب أن معظم الذين أيّدوه آنذاك غسلوا أيديهم لاحقاً وكأنه فُرض عليهم بالقوة. نعم لقد ظُلمت كثيراً وطويلاً. تصور أن قادة

ميليشيات، أمروا بالقصف والقتل والذبح واستباحوا الدولة واستقدموا الأسلحة من هنا وهناك وأقام بعضهم علاقات مع إسرائيل.. يجلسون اليوم في المقاعد الحكومية، ولن أخوض في حديث الفضائح ما عُرف منها وما خفي. لحسن الحظ أن ما جرى في تلك الحقبة البالغة الصعوبة مسجّل في محاضر، وأن معظم الشهود أحياء. فضّلت عدم كشف هذه المحاضر لأنني لا أريد التسبّب في إحراج كثيرين، لكن مَنْ يدري فقد يتاح لي أن أكتب كل هذه التفاصيل وأن ترى النور يوماً ما.

■ **العلاقات داخل نادي رؤساء الحكومات ليست سهلة؟**

ـ من الطبيعي أن يكون هناك تنافس في ظل نظام ديموقراطي. هناك الرؤى السياسية التي تختلف من شخص إلى آخر وهناك الطموحات واختلاف الأساليب في ممارسة العمل السياسي. رغم كل ذلك كان رؤساء الحكومات يلتقون على موقف واحد في المنعطفات الأساسية، ويستمر التشاور بينهم ولو بدرجات مختلفة. أعتقد أن رؤساء الحكومات حاولوا دائماً الاطلاع بمسؤولياتهم بطريقة إيجابية ومسؤولة، لكن الظروف لم تكن سهلة دائماً. أنا أقول إن رؤساء الجمهورية أخطأوا أحياناً وإن رؤساء الحكومات أخطأوا أحياناً. التركيبة اللبنانية دقيقة جداً وأحياناً يفرض ضغط الشارع نفسه على المسؤول. رئيس الجمهورية يتعرض لضغوط من الفريق الذي ينتمي إليه أصلاً، والأمر نفسه بالنسبة إلى رئيس الحكومة. علّمتنا الأيام أن

التطرف خطير وليس حلاً، وأن التفاهم الجدي المسبق بين الرئيسين يخفف الضغوط على الاثنين ويدعّم منطق الدولة.

■ **سأذكر أسماء عدد من رؤساء الحكومات، فهل يمكن أن تقول لي ماذا يتبادر على الفور إلى ذهنك؟**

ـ لا أعتقد أنك ستخرج من الأجوبة بعناوين مثيرة.

■ **الرئيس رياض الصلح؟**

ـ قامة استثنائية، بصماته على الاستقلال شديدة الوضوح. كانت التسوية تحتاج إلى رجال كبار وكان رياض الصلح في طليعة من أدركوا مبكراً طبيعة لبنان ومكوّناته.

■ **والرئيس تقي الدين الصلح؟**

ـ لبنانية متفتّحة وعروبة حضارية صافية. رصيده المعنوي كان أكبر من شعبيته.

■ **والرئيس رشيد كرامي؟**

ـ رجل دولة متمرس. حرصه على الدولة كامل. تشدده كان يساعد أحياناً في امتصاص الأزمات الخطيرة وحين تنحسر العاصفة يبدي استعداداً للتسوية.

■ **والرئيس صائب سلام؟**

ـ زعامة سياسية أصيلة ولدت بين الناس ووسط همومهم.

سياسي شجاع لا يرهبه التخويف وتستطيع اللجوء إليه في الملمّات والاتكال عليه. يغضب أحياناً ويحتدّ لكن حسّ المسؤولية لا يفارقه.

■ والرئيس سليم الحص؟

ـ رجل كفوء ونزيه.

■ والرئيس رفيق الحريري؟

ـ لا شك أن الرئيس الحريري شخصية لها ثقلها الداخلي وعلاقاتها الواسعة عربياً ودولياً. يملك الحريري قدرات استثنائية: قدرة مالية وشبكة علاقات واسعة وماكينة إعلامية لم يسبق لأي رئيس حكومة أن امتلكها. لا بد من الوقت لاختبار حجم زعامته وديمومتها خصوصاً أنها لم تولد بين الناس وعبر معايشة الهموم اليومية للشارع البيروتي. علاقتي به جيدة حالياً وإن كنت عتبت عليه كثيراً في ١٩٨٣ وبعدها حين تعمّد تجاهل رئيس الحكومة وكنت يومذاك في موقع المسؤولية. المهم أن لا يصاب القوي بهاجس إلغاء الآخرين. وأعتقد أن الحريري اليوم أكثر تمرساً منه قبل سنوات.

■ هل يحتاج رئيس الحكومة دائماً إلى المشاكسة والاعتكاف؟

ـ لا. قبل اتفاق الطائف كان هناك خلل وكانت هناك مسألة

المشاركة. وقفت دائماً ضد أي استضعاف لموقع رئاسة الحكومة. في المقابل يقلقني اليوم شعور إخواننا المسيحيين بأن رئاسة الجمهورية مستضعفة. علّمتنا الأيام أن هذه المشاعر تؤذي البلد. أعتقد أن الحل هو بممارسة الصلاحيات في مناخ من التعاون والانفتاح.

■ قصتكم مع فيليب حبيب مبعوث الرئيس رونالد ريغان طويلة، بدأت فعلياً مع أزمة الصواريخ التي أدخلتها سورية إلى البقاع اللبناني؟

ـ جاء حبيب في إطار مهمة عنوانها السعي إلى تفادي مواجهة سورية ـ إسرائيلية في لبنان وبسبب التطورات فيه. طرح حبيب موضوع الصواريخ السورية معي فرفضت البحث فيه. قلت له نحن طلبنا مساعدة الجيش السوري لإنهاء الحرب في لبنان ولا نستطيع التدخل في ما يعدّه ضرورياً لحماية وجوده عندنا ولحماية سورية نفسها. لو دخلت معك في التفاصيل فمن يضمن لي أن لا تجيء غداً وتطالب بأن لا يتسلّح الجيش السوري الموجود في لبنان بأكثر من كلاشنكوف. في اللقاء الثاني بدأنا نناقش مسائل أخرى.. ثم كوّع حبيب وعاد إلى الصواريخ. قلت له لا فائدة من إثارة الأمر، وسألته بشيء من الانفعال. لو أن هذه الصواريخ لبنانية فهل كنت تسمح لنفسك أن تطالبني بإزالتها. فقال: لا. قلت له: عظيم أنا سأتصل غداً بالأخوة السوريين وأطلب منهم أن يؤجرونا الصواريخ أو

يبيعوها لنا ونحن نتحمل مسؤوليتها. فقال: لا، لا، لا. قلت: إذاً أرجوك أن لا تعود إلى هذا الموضوع.

في ختام اللقاء وعند الباب وقف حبيب وقال لي: «كي تفهم سبب إلحاحي دعني أكشف لك ما قاله الإسرائيليون لي، وهو أن لديهم القدرة العسكرية على ضرب هذه الصواريخ من مسافة ٤٥ كيلومتراً وتدميرها وأنا أسعى لتفادي الوصول إلى هذه النقطة». قلت له: «الحسابات العسكرية يجريها العسكريون. نحن نتحدث في السياسة. لست مستعداً للخوض في هذا الموضوع». للأسف تبين لاحقاً أن الإسرائيليين يمتلكون القدرة التي تحدث عنها حبيب استناداً إلى أقوالهم.

■ ومتى عرفتم بأن إسرائيل تستعد لشن عدوان واسع على لبنان في حزيران يونيو ١٩٨٢؟

ـ إسرائيل عدو وعليك أن تتوقع العدوان منها في أي لحظة. كان هناك كلام أن إسرائيل قد تقوم بعدوان ضد لبنان. وظهرت تكهنات وسيناريوهات. لم تكن لدينا أجهزة استخبارات واسعة الامتداد. لاحقاً تبين أن بعض الجهات كان في أجواء أن عدواناً واسعاً سيحصل. ذات يوم نُبّهت من أن إسرائيل تبيّت عدواناً ضد لبنان، وإذا بالسيد ياسر عرفات يردّ بأنه لا يحبّذ مثل هذا التهويل. علينا دائماً أن نتذكر أن الدولة اللبنانية كانت في وضع صعب. مطالبتنا المتكررة للإخوان الفلسطينيين بالامتناع عن أي ممارسة يمكن أن تستغلها إسرائيل لتنفيذ مآربها

لم تلق تجاوباً منهم ولم تلق تجاوباً كافياً من الدول العربية. هكذا وجدت الدولة اللبنانية نفسها في دوامة نزاع لا تستطيع التحكّم بمجرياته.

في ١٩٨١ وبعد تبادل القصف الشديد بين الفلسطينيين والإسرائيليين في جنوب لبنان، وما رافقه من غارات، جاءنا فيليب حبيب وقال: «أحب أن أطمئنكم إلى أننا توصلنا إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين الفلسطينيين والإسرائيليين». ظهر الغضب والاستياء في عيني الرئيس سركيس رحمه الله. كان بالغ الحساسية تجاه أي اتفاق يمكن أن يضع قيوداً على لبنان وسيادته وكان شديد التمسّك باتفاق الهدنة. قال سركيس لحبيب: «نحن لا علاقة لنا بأي اتفاق من هذا النوع، لدينا اتفاق الهدنة فقط». فتح حبيب فمه مستغرباً قول سركيس. كان لا بد من العثور على مخرج فقلت لحبيب: «الرئيس سركيس على حق في موقفه لكني أقول لك إننا أخذنا علماً». أي أننا أخذنا علماً بالاتفاق لكننا لسنا طرفاً فيه.

■ بدأ الاجتياح فماذا حصل؟

ـ بدأ الاجتياح وأصيبت الدولة بحال من الارتباك. عقد مجلس الوزراء اجتماعاً وطلب وضع كل الإمكانات في تصرف الجيش لصدّ العدوان. على الصعيد العسكري لم يكن هناك ما يستطيع الجيش اللبناني أن يفعله وكان يمكن أن يتعرض لعملية سحق كاملة. هنا أريد أن أسجل أن القوى الفلسطينية التي حاولت

المقاومة سحقت وأن القوات السورية التي قاتلت ببسالة وخاضت معارك برية وجوية أُرغمت على التراجع. كانت هناك مقاومة وبطولات لكن الآلة العسكرية الإسرائيلية كانت شديدة التفوق وكان العدوان الإسرائيلي الوحشي أكبر بكثير من قدرة الأطراف الأخرى على صدّه.

استدعينا سفراء الدول الكبرى وظهرت مواقف إيجابية وسلبية تبين في نتيجتها أن ليس أمامنا غير الرهان على الولايات المتحدة للجم العدوان او دفع إسرائيل إلى الانسحاب حتى ولو كانت متعاطفة مع الغزو أو أهدافه. كان الموقف السوفياتي مفاجأة كبيرة لنا. سارع السفير السوفياتي إلى إبلاغنا ومن دون الرجوع إلى حكومته: «نحن دولة ليست بذات تأثير على إسرائيل». تألمت فقد كان الاتحاد السوفياتي صديقاً للعرب وكنا نأمل موقفاً آخر. ذكّرت السفير بإنذار بولغانين الشهير فاكتفى بابتسامة وامتنع عن الرد. كان كلام السفير السوفياتي واضحاً، ومعناه أن عليكم البحث مع من يستطيع التأثير على إسرائيل أي الولايات المتحدة. وبدت قدرة الأوروبيين محدودة بدورها. كنا نتمنى لو كانت هناك قوة عربية قادرة على التدخل وقلب مسار الأحداث لكن الواقع كان غير ذلك، وهكذا صرنا تحت نار العدوان الإسرائيلي وأمامنا الوسيط الأميركي وبدأت رحلة العذاب الطويلة.

حوصرت بيروت وانهالت عليها الحمم براً وبحراً وجواً.

صحيح أن إرادة البيروتيين واللبنانيين في الصمود كبيرة لكن المعاناة تجاوزت كل حدود. قطع الإسرائيليون المياه عن العاصمة المحاصرة ورحت أفكر بمن أستجير في وجه هذه الوحشية التي لا مثيل لها. اتصلت بالملك فهد بن عبدالعزيز وأبلغته أن بيروت تعيش بلا ماء ولا خبز ولا دواء. تألم كثيراً وأبلغني أنه سيعاود الاتصال بي. بعد خمس ساعات أبلغني الملك فهد أنه تحدث إلى الرئيس رونالد ريغان طالباً تدّخله وأن الرئيس الأميركي اتصل برئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن الذي وعده بإعادة المياه. وفي تلك الظروف القاسية اعتبرنا إعادة المياه إنجازاً. أحب أن أسجل هنا أن السعودية لم تبخل على لبنان بأي مساعدة ممكنة.

■ وهنا عاد فيليب حبيب إلى الأضواء؟

ـ نعم ولم يكن هناك خيار آخر. لو كانت هناك فرصة لعمل عسكري يرغم الجيش الإسرائيلي على الانسحاب لما قبل أحد بما طرحه حبيب أو بالشروط الإسرائيلية التي حملها. من السهل أن يقول المرء اليوم إنه كان من الأفضل الاستمرار في القتال أو المواجهة. إمكانات المواجهة الطويلة لم تكن متوفرة وأقول بصدق إن المقاومة الفلسطينية جربّت القتال واختارت في النهاية الخروج. رفضت شخصياً أن أساهم في أي ضغوط أو إيحاءات على رغم كل ما تعرضت له بيروت. اليوم يحكى عما يقدمه الجنوب دفاعاً عن الوطن. والكلام صحيح، فقد تحمّل

الجنوبيون الكثير وقدّموا الكثير. في تلك الأيام كانت بيروت هي التي تعاني وتقدم التضحيات وهي لم تبخل.

جاء المبعوث الأميركي وظهر آنذاك ما عُرف بـ «وثيقة حبيب» وهي من تسعة بنود وتتحدث عن خروج الإسرائيليين والسوريين ومسلحي منظمة التحرير. ومفهوم الوثيقة في النهاية هو أن كل القوات غير اللبنانية يجب أن تخرج في نهاية المطاف من لبنان الذي يجب أن يعيش في ظل قواه الشرعية المنتشرة على جميع أراضيه. حُكي أيضاً أن منظمة التحرير يمكن أن تحافظ على وجود في لبنان ويفضّل خارج بيروت. كان المقصود الوجود الديبلوماسي أو السياسي وأصررت على كلمة يُفضّل بعدما كان الغرض حظر مثل هذا الوجود في بيروت، وقلت إننا لا نستطيع إرغام سفارة عربية مثلاً أن تكون خارج العاصمة. وثيقة حبيب كانت معروضة على الجميع دولياً وإقليمياً ومحلياً وكان مفهوماً أن المطلوب تنفيذها.

■ **متى عرفتم أن المقاومة الفلسطينية مستعدة لمغادرة بيروت؟**

ـ في أواخر حزيران/يونيو. عرفت ذلك من أبو عمار. أعتقد أن القيادة الفلسطينية أدركت منذ الساعات الأولى لحصار بيروت حدود العمل العسكري الذي تستطيع القيام به وصار همّها توظيف فترة الصمود الممكنة في تحقيق مكاسب ديبلوماسية وسياسية. والواقع أن المنظمة لم تكن قادرة على

السير إلى ما لا نهاية في معركة بلا أفق. بعد نحو أسبوعين من بدء الغزو ظهر أن الاتحاد السوفياتي ليس في وارد القيام بأي خطوة دراماتيكية وأن مجلس الأمن لن يستطيع التحرك بحرية، ولم يبقَ إلا الجانب الأميركي الذي يستطيع ممارسة ضغوط على الجانب الإسرائيلي طبعاً في مقابل ثمن لا بد من دفعه وهو الموافقة على بعض الشروط. لم يكن باستطاعة أحد اتخاذ قرار بتدمير بيروت تدميراً كاملاً، فضلاً عن أن نهاية القيادة الفلسطينية في معركة من هذا النوع سترتب انعكاسات بالغة السلبية على القضية نفسها.

في بيروت المحاصرة كانت الاجتماعات مستمرة. عقدت اجتماعات عدة في منزل الدكتور عبدالرحمن اللبان ومنزل الوزير مروان حمادة. وكان طبيعياً أن تعقد اجتماعات في منزل الرئيس صائب سلام. شاركتْ في هذه الاجتماعات شخصيات سياسية لبنانية وقيادات فلسطينية. وعقدت لقاءات في منزلي في الروشة للمتابعة والاستفسار. وفتحت القيادة الفلسطينية خطوطها في اتجاه الدولة ألَلبنانية والجيش، وكان هاني الحسن (عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح») يتحرك مع جوني عبده (مدير الإستخبارات في الجيش اللبناني) ومسؤولين آخرين.

أعتقد بأنني أبلغت فيليب حبيب في ٣ تموز/يوليو أن منظمة التحرير وافقت على خروج قواتها. التفت إليّ وقال: «هل لديك في خزانتك مستند يثبت تعهدهم بالخروج». أجبته: «لم

يخطر في بالي الحصول على مستند ولم أطلب منهم شيئاً من هذا النوع». قال: «أنا متأكد أن الإسرائيليين يصرّون على تعهد خطي بالمغادرة. سبق أن طلبوا مني ذلك لأن ثقتهم بالقيادات الفلسطينية قليلة». قلت: «ما على الرسول إلا البلاغ، سأنقل لهم هذا الأمر». أبلغت القيادة الفلسطينية أن حبيب يريد تعهداً خطياً فحصلت خضّة كبيرة.

■ أين ظهرت الخضّة؟

ـ كانت القيادة الفلسطينية تحاول تفادي إعطاء تعهد خطي. المطالبة بالتعهد خلقت حالاً من الغضب والإرباك. أذكر أن حواراً ساخناً دار في اجتماع عقد في دارة الرئيس صائب سلام. تحدث عرفات وكأن اللبنانيين، وأهل بيروت خصوصاً، تخلوا عن المقاومة. لم يستطع صائب سلام أن يتحمل مثل هذا الكلام وقال له: «بعد كل الذي قدمته بيروت تقول مثل هذا الكلام. وبعد الذي قدّمه لبنان نسمع مثل هذا الكلام. ألا ترى الخراب الذي لحق بالبلد. أنت لا تستطيع النوم في مكان واحد وتذهب من هنا إلى هناك. هل تريد أن تتهدم بيروت نهائياً ويتشرد أهلها؟». انفعل صائب سلام وفتح الباب ونادى الصحافيين وقال لهم: «اكتبوا عن لساني نحن نريد قتل الفلسطينيين وتشريدهم ونحن...». سارع أبو عمار إلى الصحافيين وطلب منهم عدم نشر أي شيء من هذا الكلام وأخذت من الصحافيين أشرطة التسجيل.

الحقيقة أن الرئيس تقي الدين الصلح طرح في اجتماع سؤالين على القيادة الفلسطينية: «هل لديكم سلاح لم تستخدموه حتى الآن في هذه الحرب؟ إن كان لديكم فنحن معكم ونضحي معكم. هل وعدتكم دولة ما بأن تدخل الحرب إلى جانبكم وأن تدخّلها سيجعل النصر شبه حاصل؟ فإذا كان لديكم مثل هذا الوعد نحن معكم. أما إذا لم يكن لديكم ذلك السلاح وذلك الوعد فحرام يا أبو عمار أن تتدمر بيروت التي أعطت وتعطي...».

في النهاية وافق الفلسطينيون على الخروج ومستلزماته. كل ذلك كان مؤلماً لي. كانت المقاومة الفلسطينية هي الأصل بالنسبة لنا وقد دعمناها ووقفنا إلى جانبها وأحياناً إلى حدّ تجاهل بعض أخطائها والحساسيات اللبنانية.

■ كيف ولدت فكرة القوة المتعددة الجنسيات؟

ـ خلال أحد اللقاءات قال أبو عمار إنه ليس واثقاً من أن المغادرين لن يتعرضوا للهجمات خلال رحلتهم في البحر. وأشار إلى أن الولايات المتحدة هي الوحيدة القادرة على لجم إسرائيل. تدخل وليد جنبلاط وقال: «نحن لا نقبل أن تأتي أميركا وحدها. لماذا لا تشارك فرنسا؟». وكانت فرنسا في ظل حكم اشتراكي. بنتيجة البحث قال أبو عمار إنهم يريدون قوات دولية، ثم ظهرت فكرة القوة المتعددة الجنسيات. هنا بدأت

الاتصالات مع دول عربية لتوافق على استقبال المقاتلين المغادرين.

■ وشروط الخروج؟

ـ طلبت إسرائيل عبر فيليب حبيب أن توضع لوائح بأسماء المغادرين. أبلغت الجانب الفلسطيني فرفض سعد صايل (أبو الوليد) وقال إن اللوائح يمكن أن تعرّض سلامة المغادرين وعائلاتهم لأخطار داخل لبنان وخارجه. هنا دعوت الفريق المكلّف إعداد اللوائح برئاسة مدير الأمن العام اللبناني وقلت لهم إن المصلحة العليا تقضي ان لا نعطي الأسماء.

وأوضحت لهم أنني اتفقت مع الفلسطينيين على أن يدوّن الموظف اللبناني اسم المغادر من دون أن يطالبه بإبراز هويته أو بطاقته. وهذا ما حدث. تصور أن هاني الحسن المعروف تماماً قال إن اسمه كاسترو وغادر على هذا الأساس. كل ذلك في وقت كان فيه أرييل شارون وكبار ضباطه يراقبون الخروج من مسافة قريبة. طبعاً حصلت إشكالات كادت توقف العملية. الاتفاق ينص على خروج المقاتلين بأسلحتهم الفردية. اضطررت إلى الدخول في جدل مع فيليب حبيب حول بعض الأسلحة القاذفة وحول سيارات جيب أو شيء من هذا النوع. لا أريد أن أضخّم ما فعلته ولا المواقف التي اتخذتها في اللقاءات مع المبعوث الأميركي. كنت أقوم بواجبي وتعرضت لأخطار كثيرة في الصعود إلى القصر الجمهوري والنزول منه.

خاطرت بحياتي مرات عدة ورفضت أي مرور على الحواجز الإسرائيلية. ويقتضي الانصاف أن أسجل هنا أن الرئيس الياس سركيس كان يشاطرني قناعاتي ويرفض أي مسّ بالثوابت الوطنية على رغم صعوبة الظروف التي كنا نعيشها جميعاً. كان سركيس يتألم لرؤية بيروت تتعرض لما تعرضت له ولعله كان يتألم أكثر لأننا لم نستطع تجنيبها الوصول إلى ما وصلت إليه ولأن تدخلاتنا وتحذيراتنا لم تلق استجابة في الوقت المناسب.

■ ثم جاءت ساعة الوداع؟

ـ ليس سهلاً أن يخرج مسؤول عربي لوداع المقاومة الفلسطينية وهي تغادر عاصمة عربية طوّقها الاحتلال الإسرائيلي. لكن الحظ السيئ يرخي بثقله أحياناً على بعض الأشخاص، وأنا كنت من هؤلاء. طبعاً في كل هذه المحنة كنت أتصرف بالتشاور مع الفعاليات والشخصيات. تشاورت مع المفتي الشيخ حسن خالد ومع الرئيسين صائب سلام وتقي الدين الصلح وأعضاء التجمع الإسلامي والشخصيات والقوى الوطنية وكل من تيسّر التشاور معهم. كان من الصعب عليّ جغرافياً أن أتواصل مع الإخوة في دمشق لكن الرئيس سركيس كانت له قنواته معهم. قلت ما دام القدر انتدبني لمهمة صعبة فسأسعى كي تكون المناسبة فرصة لإبراز موقف لبناني حقيقي. قررت التوجه إلى القصر الجمهوري لإبلاغ الرئيس سركيس أنني قررت المشاركة شخصياً في وداع أبو عمار ورفاقه. وعلى رغم

ثقتي بسركيس وتطابق الرأي بيننا في كثير من الأحيان رحت أعدّ الأجوبة على أسئلة قد يطرحها إذا كان له رأي آخر.

وصلت إلى القصر وقلت للرئيس سركيس إنني لاعتبارات وطنية قررت أن أشارك في وداع أبو عمار. وسرعان ما ردّ سركيس مؤكداً أنه يفهم الموقف وليس لديه أي تحفظ. فرحت بجوابه خصوصاً أنه سارع إلى القول: «وتستطيع أن تودعهم باسمي إذا أردت». قلت له: هذا يعني يا فخامة الرئيس أن أمثّلك في الوداع وهذا يقتضي تشريفات وأن يأتي أبو عمار إلى مكتبي في رئاسة الحكومة وأن أصطحبه في سيارتي فردّ: «ولمَ لا؟». عندها قلت له: «لا يزال لديّ طلب يا فخامة الرئيس». نظر إليّ مستغرباً وقال: «ماذا بعد؟» أجبت: «أريد أن يشاركني أحد الوزراء المسيحيين في الوداع». هنا أتمنى أن لا تخونني الذاكرة، أعتقد أن الوزير فؤاد بطرس كان حاضراً وقال: «لا يجوز يا دولة الرئيس. حين يمثل رئيس الوزراء رئيس الجمهورية لا يجوز أن يشاركه وزير في هذه المهمة». فأجبت: «دلّني على من وضع البروتوكول لأفهمه سبب تجاهل ما وضع. إنها محطة تاريخية في حياة الشعبين اللبناني والفلسطيني. ربما يأتي التاريخ على ذكر وداع المقاتلين الفلسطينيين في مرفأ بيروت. أنا أريد أن يقول التاريخ إن الشعب اللبناني بمسلميه ومسيحييه خرج لوداع قيادة المقاومة الفلسطينية. البروتوكول ليس مهماً في مثل هذه الحالات».

ظهرت الدهشة على سركيس وبطرس معاً فقد أدركا معنى هواجسي. سألني سركيس: «من تقترح؟» فأجبت: «واحداً من اثنين رينيه معوّض أو ميشال إده». كان إده صديقاً للفلسطينيين لكن إشكالات حصلت بينه وبينهم خلال ممارسته مهامه وزيراً للإعلام. لهذا وقع الخيار على رينيه معوض. وفي اليوم الذي كان أشد إيلاماً لي من يوم تسلّم كتاب التعهّد بالمغادرة جاء عرفات إلى مكتبي ومعه نبيه بري ووليد جنبلاط وتوجهنا إلى مرفأ بيروت. وهناك التقينا المفتي حسن خالد والرئيسين صائب سلام وتقي الدين الصلح وشخصيات أخرى. قلت لأبو عمار إن الشعب اللبناني بمسيحييه ومسلميه جاء إلى وداعك كممثل لقضية. وردّ بخطبة نشرتها وسائل الإعلام وقدّم لي ولأهل بيروت وسام الجهاد وبراءته. لكن ذلك اليوم لم يكن يوم نهاية.

■ **بمَ شعرت يوم انتخاب بشير الجميّل رئيساً للجمهورية؟**

ـ شعرت بأن خطأ كبيراً وخطيراً قد ارتكب وهو خطأ الإخلال بالتوازن في لبنان وفي صورة لم يعرفها لبنان من قبل. منصب رئيس الجمهورية أساسي وحساس، خصوصاً في تلك الفترة (قبل اتفاق الطائف). وعادة كان الموقف الإسلامي مهماً في ترجيح كفة هذا المرشح أو ذاك. في صيف ١٩٨٢ وفي ظل الغزو الإسرائيلي كانت الأمور مختلفة. شعرت بالقلق لأن لبنان لا يحتمل وجود الصقور في المواقع الرئيسة في الدولة. كان

بشير قائداً لـ «القوات اللبنانية»، أي إنه كان طرفاً في الحرب. وكان هناك كلام عن علاقة ما لـ «القوات» بإسرائيل. ثم إن رئيس الجمهورية يجب أن تكون له علاقات بكل العائلات اللبنانية. كان شعوري أن التركيبة اللبنانية لا تتحمل تطوراً من هذا النوع. والتجارب تقول إن التطرف يستدعي التطرف. ولبنان يدار بالتعقل والحكمة والتفاهم والتسوية. لم أكن نائباً لأكون معنياً مباشرة بعملية الانتخاب. وعلى رغم كوني رئيساً للحكومة غبت عن جلسة الانتخاب انسجاماً مع قناعاتي ومع الموقف الداعي إلى المقاطعة آنذاك. أكثر من ذلك، لقد جاء من يسألني قبل الجلسة عما إذا كنت مستعداً لأن أنقل في سيارتي إلى بيروت الغربية نواباً يقيمون في شرقي بيروت ولا يريدون تأييد بشير ولا المشاركة في تأمين النصاب لانعقاد الجلسة. أبديت استعدادي لكن النواب المعنيين لم يحضروا لأنقلهم بسيارتي.

■ هل فاتحك المبعوث الأميركي بموضوع تأييد بشير؟

ـ لا، كان يعرف موقفي. أعتقد بأن فيليب حبيب لعب دوراً في إقناع بعض الأطراف ببشير وكانت له في هذا المجال اتصالات محلية وأخرى تتخطى الإطار اللبناني.

■ ألم تحاول إقناع الرئيس الياس سركيس بالموافقة على تمديد ولايته؟

ـ حاولت ولم أنجح. كما حاول جميع الذين تخوفوا من

وصول بشير إلى الرئاسة وما يمكن أن يرتبه. رفض الرئيس سركيس فكرة التمديد بصورة قاطعة. كان من مدرسة تعتبر المس بالدستور أمراً خطيراً. كان الحكم بالنسبة إلى سركيس نوعاً من العذاب لأنه حلم بإنهاء الحرب وإذ بولايته تنتهي في ظل ظروف مأسوية. ولعله كان يعتقد بأن التمديد لفترة وجيزة لن يحل المشكلة. كان سركيس ينتظر بفارغ الصبر انتهاء ولايته. وفي الأسابيع الأخيرة كان يدرب نفسه على الخروج ويذهب إلى منزله ليعد نفسه لحياة المواطن العادي أو الرئيس السابق. الرئيس صائب سلام حاول إقناعه وكان متفقاً في هذا الرأي مع الرئيس رشيد كرامي. وأعتقد بأن سركيس بدأ يشعر في تلك الفترة ببدايات المرض، وربما شعر أيضاً بأن وطأة الكارثة قد تدفع اللبنانيين إلى إحياء التسوية بينهم.

■ لماذا أيّد سركيس وصول بشير الجميل إلى الرئاسة؟

ـ لم تكن العلاقة جيدة بينهما أصلاً. لا بل إنها كانت سيئة وتحمَّل سركيس انتقادات وتهجمات. في مرحلة لاحقة اعتقد سركيس بأن بشير الجميل، وهو صار الأقوى في الساحة المسيحية، لن يسمح لأي رئيس جديد بأن يحكم، هذا إذا أمكن جمع المجلس لانتخاب رئيس غير بشير. كان سركيس يخشى حصول فراغ يؤدي إلى تمزق البلاد. ولعله اعتقد أن بشير سيكون قادراً على تقديم بعض التنازلات التي لن يجرؤ على تقديمها رئيس ضعيف.

قبل ذلك كان الرئيس سركيس قد اقترح عليّ ذات يوم أن نضمّ إلى الحكومة بشير الجميل ووليد جنبلاط ونبيه بري. ذكّرته بأنني عارضت منذ البداية تشكيل حكومة فعاليات ولفتّه إلى الموقف الحرج الذي لن أستطيع تحمله إذا أشركنا جنبلاط وبري ثم استقالا. اقتنع الرئيس بموقفي، وفي هذا السياق ولدت فكرة هيئة الإنقاذ الوطني التي ضمت الثلاثة وآخرين ودُعيتْ إلى الاجتماع بعد الغزو. واعتبرنا أنه في حال نجحت الهيئة في إقامة جسور تفاهم بين هؤلاء فإن انتقالهم إلى مقاعد الحكومة سيكون سهلاً في وقت لاحق.

■ **لم تنجح التجربة؟**

ـ نعم لم تنجح. وفي أحد تلك الاجتماعات اليتيمة خرج بشير ووليد إلى غرفة جانبية وكان بيننا من تفاءل بأنهما سيغيبان نصف ساعة على الأقل للاتفاق على عناوين حوار بينهما، لكنهما عادا بعد دقائق. كان جنبلاط بادي التوتر إلى درجة أنه لم يكن قادراً على الجلوس على كرسيه.

■ **انتخب بشير ثم اغتيل؟**

ـ طبعاً الاغتيال أمر مؤسف. فالخلاف مع شخص شيء والاغتيال شيء آخر. لقد كانت صفحة الاغتيالات شديدة الإيلام. ألا نفتقد اليوم كمال جنبلاط والمفتي حسن خالد والإمام موسى الصدر والرئيس رينيه معوض وغيرهم. اغتيل

بشير ووقعت مجازر صبرا وشاتيلا بكل ما فيها من وحشية وإجرام. وللإنصاف كان الرئيس سركيس قد أبلغني بأن بشير لا يريد أن تشارك «القوات اللبنانية» في أي دخول إسرائيلي إلى بيروت الغربية رداً على تحذيري من أن خطوة من هذا النوع قد تعني نهاية لبنان.

■ **ما هي صورة سركيس في ذاكرتك؟**

ـ أعتقد بأن الرئيس سركيس لم يُنصَف تماماً على الأقل إبان فترة حكمه. رجل عصامي جاء من عائلة متواضعة وصنع نفسه ومستقبله. لفت سركيس نظر رؤسائه بسبب تعلقه الشديد بفكرة الدولة والمؤسسات والقانون. انتماؤه إلى المدرسة الشهابية رسخ فيه هذا الميل. مثابر وجدي ونظيف. المال العام مقدس بالنسبة اليه. وفي المقابل هناك رؤيته للتركيبة اللبنانية وضرورة حفظ التوازنات وتغليب مصلحة الدولة على أي مصلحة أخرى. كان سركيس مستعداً للتضحية بأي علاقة شخصية إذا ما كان شرط استمرارها شيئاً يمس القانون أو فهمه للدولة.

خلال تولّي رئاسة الوزراء في عهده لم أكن أحتاج إلى أي تذكير بصلاحيات أو بديهيات على رغم حراجة الظروف والضغوط الهائلة التي كان يتعرض لها كل منا. سلوكه الشخصي كان يعبّر عن قناعاته. لم يكن استعراضياً ولا محباً للمبالغات. ذات يوم، وكنا في الطائرة في طريقنا للمشاركة في مؤتمر، رحّب قائد الطائرة برئيس الجمهورية والوفد المرافق

له. استدعى سركيس قائد الطائرة وطالبه بالتصحيح والترحيب برئيس الجمهورية ورئيس الحكومة والوفد المرافق وهذا ما حصل. مرة أخرى أصر على أن أنزل معه في الفيلا المخصصة له لأن أماكن الإقامة المخصصة لرؤساء الحكومات كانت في مجمع آخر وبذلت جهداً لإقناعه بأن أقيم مع رؤساء الحكومات. ومرة ثالثة كاد يتسبب بإشكال بروتوكولي في أحد مؤتمرات القمة بسبب إصراره على أن ندخل القاعة معاً، فرجوته أن يدخل أولاً لتفادي الإحراج. إنها مسائل بسيطة لكنها معبّرة. والحقيقة أن التيار مشى بيني وبينه سريعاً ووفرنا على البلاد خضات كانت في غنى عنها.

■ هل كنت تشعر مثلاً بأنك مستبعد عن مسائل يدرسها سركيس مع فؤاد بطرس (وزير الخارجية) وجوني عبده (مدير الاستخبارات في الجيش اللبناني)؟

ـ سمعت هذا الكلام، والحقيقة أنه غير صحيح. لم تكن لدى سركيس عقلية من هذا النوع. طبعاً لكل رئيس أصدقاء يثق بهم ويرتبط أحياناً معهم بعلاقات شخصية. أنا أيضاً لدي أشخاص أرتاح إلى قربهم مني. في أمور الدولة لم ألمس شيئاً من هذا النوع خصوصاً أن الوزير بطرس هو أيضاً رجل دولة يتصف بالكفاءة وحس المسؤولية والوعي. إشاعات كثيرة ترددت لكن دعني أصارحك: لم يكن فؤاد بطرس طرطوراً ولم يكن شفيق الوزان طرطوراً. كان كل واحد يؤدي دوره في إطار موقعه

وصلاحياته ومسؤولياته. كان العبء ثقيلاً وكنا نشعر بأن علينا أن نصل الليل بالنهار لدرء الأخطار أو للتخفيف من الآلام.

■ لم تصطدم مع الوزير بطرس؟

ـ لا، لم يحصل صدام. كنا نتناقش ونتحاور ونصل دائماً إلى الصيغة التي نعتبر أنها الأسلم للبلد.

هنا أريد أن أقول إن فيليب حبيب كان يبحث مع الرئيس سركيس مواضيع لا يبحثها معي ربما لأنها تتعلق ببشير الجميل، وموقفي المعارض لترشيحه لم يكن سراً.

■ ثم انتخب أمين الجميل رئيساً؟

ـ نعم ولكن في ظروف مختلفة عن ظروف انتخاب بشير. جاء الرئيس الجميل في شبه إجماع وبدعم إسلامي واسع. قدمت استقالتي وفقاً للأصول وطلب مني الاستمرار في تصريف الأعمال. لم أشارك في جلسة الانتخاب، ولست نائباً أصلاً، لكنني شاركت في جلسة القسَم وألقيت كلمة اعتبرت جريئة جداً إذ قلت للرئيس المنتخب إن التهنئة مؤجلة إلى حين تحقيق ما ورد في كلمتك من أنك ستكون فوق الأحزاب وفوق الطوائف.

لدى البحث في اسم رئيس الحكومة كان هناك من طرح اسمي وقيل لي إن الجميل رد معلقاً: «هل تريدون أن يكون عهدي

مجرد استمرار لعهد سركيس؟». هذا يعني أنه لم يكن متحمساً. وأنا بدوري كنت متعباً وراغباً في الخروج من الحكم لكن ذلك لم يحصل.

■ والسبب؟

ـ كانت للرئيس الجميل مداولات مع شخصيات إسلامية أعادت طرح اسمي.

■ الرئيس صائب سلام مثلاً؟

ـ نعم. لقد طرح الرئيس سلام اسمين: الرئيس تقي الدين الصلح وأنا. وبعد المداولات شاء حظي أن أتحمل مرحلة جديدة من المعاناة. والحقيقة أنني وافقت بعد إلحاح شخصيات سياسية ودينية كانت تربطني بها علاقات وثيقة. نالت الحكومة الثقة وحصلت على صلاحيات استثنائية. وفي المناسبة أنا أدعو إلى إعادة قراءة المراسيم الاشتراعية التي أثيرت حولها ضجة كبيرة وتقرر إلغاؤها لاحقاً. أدعو إلى قراءتها بهدوء وفي غياب مناخات التوتر التي كانت سائدة في تلك الأيام.

كان الرئيس أمين الجميل شاباً ومتحمساً، فتحرك سريعاً في إطار ما سماه مغامرة الإنقاذ ولا أعرف لماذا سماها مغامرة، ربما لحراجة الظروف. كان الجميل ينتمي إلى فريق يطالب بقوة بخروج كل القوات المسلحة غير اللبنانية من لبنان. والحقيقة أنني أنا وفريق كبير من اللبنانيين لم نقبل يوماً بأي

مساواة بين الاحتلال الإسرائيلي والوجود العسكري السوري. فسورية دولة شقيقة بيننا وبينها أواصر التاريخ والجغرافيا، وعلاقتنا بها مميزة بحكم هذه الأواصر. طبعاً كان من الصعب على اللبناني أن يعارض شعاراً يقول إن المطلوب هو أن تكون كل الأراضي اللبنانية في عهدة قوات الشرعية اللبنانية خصوصاً إذا كان انسحاب قوات شقيقة أو صديقة يسهّل انسحاب المحتل.

■ ما هي قصة اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ اللبناني ـ الإسرائيلي؟

ـ لا أعرف إذا كانت المسافة الزمنية التي تفصلنا عن ذلك التاريخ باتت تتيح النظر بقدر من الواقعية والموضوعية. لا أريد أبداً أن أدافع أو أن أبرر. موقفي خلال تلك المفاوضات معروف وبعض الكتب التي تحدثت عن تلك الحقبة أشارت إلى موقف شفيق الوزان والغضب الإسرائيلي والانزعاج الأميركي من ذلك الموقف. قصدت أنه للكلام عن مسألة من هذا النوع لا بد من وضعها في إطارها. عندما يجثم جيش محتل على صدر وطن آخر فإن أول ما يفكر به البلد الذي تعرض للاحتلال هو المقاومة والمراهنة على قواه الذاتية لإخراج قوات الاحتلال من دون قيد أو شرط. هذا حق بديهي. لكن دعنا نعترف بأن مثل هذه الإمكانية لم تكن متوفرة إطلاقاً. لم تكن المقاومة قد انطلقت أو على الأقل لم تكن قد تبلورت بعد. أوضاع الجيش

اللبناني كانت معروفة ولا حاجة أيضاً لشرح الأوضاع السياسية. كانت هناك حالة انهيار أو ارتباك وكان لبنان يرزح تحت كابوس. أما الخيار الثاني فهو الرهان على الشرعية الدولية وانتظار قدرتها على تطبيق قراراتها. تستطيع دولة ما التعايش مع احتلال جزء من أراضيها إذا كانت أوضاعها متماسكة خارج المنطقة المحتلة وإذا كان الاحتلال بعيداً عن مركز القرار فيها وغير قادر على تهديد عاصمتها. والشيء الأهم أن الدولة قد تستطيع احتمال احتلال جزء من أراضيها إذا كانت واثقة من أن المحتل غير قادر على تهديد وحدتها الوطنية والنفاذ إلى تركيبتها الداخلية لإثارة النزاعات. لم يكن هذا الشرط متوفراً أيضاً.

كانت القوات الإسرائيلية على مشارف بيروت وكانت لبعض الأطراف علاقات مع إسرائيل التي تبين لاحقاً أنها سلّحت أكثر من طرف وأعدّت لاقتتال دموي بين اللبنانيين بهدف تمزيق اللحمة الداخلية. ثم ان القرارات الدولية السابقة المتعلقة بالنزاع العربي ـ الإسرائيلي أو بجنوب لبنان لم تنفذ. يضاف إلى ذلك ان تسليم السفير السوفياتي في بيروت، بعد الغزو الإسرائيلي، بعجز بلاده عن التأثير على إسرائيل لم يترك للسلطة اللبنانية خيارات كثيرة. كان الهم الأول لدى الدولة اللبنانية ازالة الاحتلال سريعاً ومنع إسرائيل من التسبب في تفتيت لبنان.

في مفاوضات مدريد وما بعدها، وكذلك قبلها، طرح موضوع الأرض في مقابل السلام كقاعدة. من حيث المبدأ هذه أرض

عربية محتلة والعدو يجب أن ينسحب منها وأن يعاقَب، لكن ميزان القوى يفرض أحياناً نتائج معينة. والسلام الذي تحدث عنه الرئيس جورج بوش يعني العلاقات الديبلوماسية والتطبيع وغيره. طبعاً لبنان لم يكن يريد أن يبرم معاهدة سلام مع إسرائيل. ولم يكن مخيراً في إجراء مفاوضات أو عدم إجرائها فقد كانت أخطار استمرار الاحتلال جسيمة.

■ وهنا عدنا إلى فيليب حبيب، كيف نظرت إليه؟

ـ ديبلوماسي بارع يأكل موضوعه قطعة قطعة. الحقيقة أنني لمست منذ لقائنا الأول معه في عهد الجميل أنه لم يكن مرتاحاً إلى عودتي إلى رئاسة الحكومة. هنا بدأت تتشكل نواة فريق يتعاطى موضوع المفاوضات المطروحة لإخراج الإسرائيليين وكان يضم رئيس الجمهورية وأنا ووزير الخارجية إيلي سالم والسفير غسان تويني، وهو رجل صاحب كفاءة وخبرة. وجاء لاحقاً وديع حداد وآخرون.

لم يكن التفاوض خياراً. كان قدراً لمنع تفتيت لبنان، فقد كان الاحتلال الإسرائيلي مزروعاً في الجسد اللبناني كالخنجر.

نقل إلينا فيليب حبيب أن الإسرائيليين يريدون التفاوض على مستوى رئيس الوزراء. واجهناه برفض قاطع، ثم اقترحوا التفاوض على مستوى وزير أو إدارة فقلنا هذا مستحيل. في النهاية وبعد جهود في رفض الاقتراحات الإسرائيلية وقعت

القرعة على سفير سابق متقاعد هو أنطوان فتال، مع معاونين عسكريين ومدنيين وإمكان الاستعانة ببعض السفراء في الخارج. كانت كل خطوة تستدعي حل مجموعة عقد، تشكيلة الوفد ومكان التفاوض وجدول الأعمال. رفضنا أشياء كثيرة وكثيرة. ثم انطلقت عملية التفاوض. طبعاً حصلت مفاجأة ذات يوم إذ أبلغ وزير الدفاع الإسرائيلي أرييل شارون المبعوث الأميركي حبيب أنه توصل مع مبعوث لبناني إلى صيغة اتفاق يرضى بها لبنان. كان هذا التطور مفاجئاً ومقلقاً وتساءل الجميع من أين جاءت هذه القناة المباشرة التي تستبعد الدور الأميركي؟ أكد الرئيس الجميل أن لا علاقة له بالأمر وتم تجاوز الموضوع ولم يحدث أي تفرد لاحقاً.

■ هل كان هناك تشاور مع سورية في تلك المرحلة؟

ـ كانت هناك اتصالات شاركت فيها في البداية. وكان للرئيس الجميل قنواته أيضاً. الحقيقة أننا تصرفنا في ضوء وجود سقف سوري مفاده أن المهم أن لا تخرج إسرائيل من هذه المفاوضات بأي كسب سياسي. هنا كان تفسير هذا السقف أعمق لدى البعض منه لدى آخرين. أنا فهمته على أن المطلوب أن لا يبرم صلح مع إسرائيل وهذه كانت قناعتي الراسخة. أستطيع القول إن سورية كانت على اطلاع على ما يجري عبر الاتصالات اللبنانية معها وعبر الصحافة وعبر وسائلها. وأؤكد الآن أن رغبتنا في إطلاع سورية على ما يجري كانت صادقة

تماماً. ولا صحة إطلاقاً لما تردد من أن الاتفاق كان جاهزاً وأن الجانب اللبناني اضطر إلى توقيعه كما هو. لم يكن الاتفاق بمثابة عقد إيجار لا يحتاج إلا إلى التوقيع. رفضنا وعارضنا واقترحنا بدائل وأزلنا عدداً من الألغام، لكن بدايات التوتر والاشتباكات في بعض المناطق كانت عامل ضغط على الجانب اللبناني الذي لازمه الخوف من تفتيت البلد. حصل تحرك في اتجاه الولايات المتحدة لمنع انسحاب جزئي يؤدي إلى فتنة في المناطق التي يخليها الجيش الإسرائيلي وترسيخ الاحتلال في مناطق أخرى. كنا نصر على انسحاب كامل. طبعاً رفع لبنان في الجلسة الأولى للمفاوضات اتفاق الهدنة كمستند قانوني وحيد. لم يقبل الإسرائيليون. لم يكن باستطاعة الجانب اللبناني قلب الطاولة والتسبب في انهيار المفاوضات. لهذا كان لبنان مضطراً لتقبل بعض الأمور. تصور أن الجنرال الإسرائيلي المفاوض توجه إلى الجنرال اللبناني عباس حمدان وقال له: «يكفينا مواقف، أريد أن أسألك من المنتصر نحن أم أنتم».

طرح الإسرائيليون مطالب كثيرة رفضناها. طرحوا مثلاً أن يكون لهم وجود في جبل الباروك نظراً إلى موقعه الاستراتيجي. رفضنا أي وجود وحكيت لوزير الخارجية الأميركي قصة مسمار جحا أي الذريعة الصغيرة التي تضمن تدخلاً متزايداً. في النهاية توصلنا إلى صيغة تقضي بأن لا تستخدم الدولة اللبنانية موقع جبل الباروك لأغراض عسكرية. طرحوا مسألة تتعلق بالصواريخ أرض ـ جو فقال العسكريون اللبنانيون إنها غير

واردة في خطة تسليح الجيش اللبناني، فقلنا نستطيع الموافقة على هذا الأمر لفترة محددة ما دام ليست لدينا صواريخ. بالنسبة إلى المنطقة الأمنية يجهل كثيرون أن اتفاق الهدنة نفسه يضع قيوداً ويحدد عدد الجنود والآليات في تلك المنطقة. توسعت المنطقة الأمنية بسبب قضية الكاتيوشا، لكن لبنان نجح في تضمين الاتفاق نصاً يسمح له بإدخال ١٢ ألف جندي بدلاً من ١٥٠٠ جندي. هناك إيجابيات وهناك سلبيات. أنا لا أروّج لاتفاق ١٧ أيار. تقبلناه بألم بعدما تبين لنا تعذر إنقاذ لبنان عن طريق الأمم المتحدة أو الجامعة العربية أو عن أي طريق أخرى.

■ كانت اللقاءات صعبة مع وزير الخارجية الأميركية جورج شولتز؟

ـ نعم. أحياناً كان يراودني شعور باليأس لأن دولة عظمى كالولايات المتحدة لا تنتصر بطريقة حاسمة لصاحب الحق، ولأن دولة صغيرة كلبنان لم تجد أمامها غير الولايات المتحدة للتعجيل في انسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي. في اجتماع في القصر الجمهوري قبل توقيع اتفاق ١٧ أيار بوقت قصير خاطبت الوزير شولتز قائلاً: «تقولون إنكم زعماء العالم الحر وإنكم تدافعون عن الحرية. للأسف نراكم اليوم تساعدون إسرائيل على فرض شروط على لبنان غير موجودة لا بالقرار ٤٢٥ ولا في القرارين ٥٠٨ و٥٠٩. هناك قرار دولي يطالب

إسرائيل بالانسحاب من دون قيد أو شرط. ومع ذلك تقبلون أن تفرض إسرائيل علينا شروطاً فيما نتعرض للمذابح. يظهر يا مستر شولتز أن ما قاله لافونتين عن أن «حجة الأقوى هي الفضلى دائماً» صحيح. آسف أن أقول إنكم تساهمون اليوم في دعم القوي. ربما يجعل ربنا شعبنا الأقوى في المستقبل وعندئذ سينتزع حقوقه بيده. يا مستر شولتز لم تقم أميركا بما يتوجب عليها في هذه المرحلة. أنا رجل حزين وأشعر بأن هذا اليوم هو أسوأ يوم في حياتي».

■ وبعد ذلك؟

ـ انتهت تلك المرحلة وحان وقت الخروج إلى التوقيع. قلت للرئيس الجميل إنني أفضّل أن يستشار مجلس النواب اللبناني قبل ذهاب الوفد إلى التوقيع. أدلت الحكومة ببيان أمام المجلس وانتهت الجلسة بتوصية تعبّر عن الإجماع على دعم صمود الوحدة الوطنية وعلى دعم الحكم في تحقيق السيادة الكاملة. وبعد التوقيع عدنا إلى المجلس الذي أيّد بشبه إجماع، إذ عارض نجاح واكيم وزاهر الخطيب وامتنع اثنان أو ثلاثة عن التصويت. الغريب أن الجانب المتعلق بمجلس النواب لم يتحدث عنه أحد عندما أثير موضوع اتفاق ١٧ أيار.

فوجئنا بعد التوقيع بكتاب من الإسرائيليين نقله الجانب الأميركي ومفاده أن الإسرائيليين لن ينسحبوا من لبنان ما لم ينسحب السوريون منه. ورددت بتصريح قلت فيه إذا كانت

إسرائيل لن تخرج إلا بشرط خروج السوريين، وهذا غير وارد في الاتفاق، فإن ذلك يجعلنا نقول إننا في حل من هذا الاتفاق ونعتبره غير نافذ أي بحكم الملغى.

وفي وقت لاحق اقترحت على الرئيس الجميل عدم إبرام الاتفاق، وكان موقفه مشابهاً لموقفي. لم ينشر الاتفاق وألغي لاحقاً بعدما توصلنا إلى صيغة عدت بها عن الاستقالة من أجل تمكين الحكومة من إلغائه. وللتاريخ أقول.. لم نقبل اتفاق ١٧ أيار بل تقبلناه في ضوء الظروف والأخطار ونترك للتاريخ، أن يقول كلمته.



شفيق الوزان مصافحاً كامل الأسعد



.. ومع معوض وميشال إده



شفيق الوزان مع الياس سركيس ويبدو ياسر عرفات وأبو أياد



كامل الأسعد:
الديموقراطية بنكهة البكوات

أسئلة كثيرة حملتها إلى الرئيس السابق للمجلس النيابي اللبناني كامل الأسعد، فمن دون أجوبته يصعب ربط الخيوط بين محطات الجمهورية الأولى التي كان لاعباً بارزاً في حياتها النيابية والسياسية وفي صناعة رؤسائها. ما هي قصة محاولة التجديد للرئيس فؤاد شهاب ومن كان وراء إطلاق كلمة «الاستئناس» التي شاعت؟ وهل صحيح أن شهاب وافق في النهاية وأن الأسعد نفسه أغلق الباب؟ من اختار شارل حلو للرئاسة وما هي مشكلة الرئيس الواسع الثقافة؟ كيف تمكن سليمان فرنجية من إخراج الشهابية من القصر الجمهوري، وكيف عادت بعد ست سنوات عبر الياس سركيس؟ لماذا أيد كامل الأسعد انتخاب بشير الجميل رئيساً

للجمهورية؟ ولماذا يصر حتى اليوم على أنه لم يخطئ في خياره في الظروف التي كانت قائمة؟ ولماذا أيد انتخاب أمين الجميل للرئاسة بعد اغتيال شقيقه بشير؟ ولماذا دعم كامل الأسعد اتفاق ١٧ أيار مايو اللبناني ـ الإسرائيلي؟ وهل كان تأييد بشير والاتفاق سبباً للقطيعة بينه وبين دمشق؟

أسئلة كثيرة أجاب عنها الرئيس كامل الأسعد الذي خسر رئاسة المجلس في ١٩٨٤ وخسر مقعده النيابي في ١٩٩٢ وهو كان قد شغله للمرة الأولى في ١٩٥٣.

بين كامل الأسعد و«الجمهورية الثانية» غربة وخصومة. يصل به الأمر إلى حد «الترحم على أيام المكتب الثاني». يقول إن السلطة الحالية «معيّنة من قبل السلطة الأم وتعمل بتوجيهاتها». يتهم الاستخبارات بتفصيل الانتخابات على مقاس من تريد وصولهم. يستغرب عدم إرسال الجيش اللبناني إلى الجنوب ويحمل على ما يسميه «القطيعية». فتح الرئيس كامل الأسعد دفاتر ذاكرته ولم يغير انقلاب المعادلات موقفه أو روايته. وتناول الحاضر مسمّياً الأشياء بأسمائها.

■ مَنْ من القيادات السياسية كنت تشعر بالانسجام معها ولو من موقع المختلف؟

ـ كان كميل شمعون سياسياً بارزاً. وهناك فؤاد شهاب الذي كان ممتازاً أخلاقياً، وكان رجل دولة. أنشأ المؤسسات الرقابية (مجلس الخدمة المدنية والتفتيش المركزي وديوان المحاسبة). على الصعيد الشخصي كان فؤاد شهاب زاهداً بالفعل. كان ناسكاً. اختلفنا معه في مسألة تجديد ولايته لأنهم أرادوا الإيحاء أنه يقبل بالتجديد رغماً عنه. كان شهاب يحترم الذين يحترمون أنفسهم. كنت أصغر وزير في حكومة شُكّلت في عهده وحصل خلاف بيني وبينه في منزله بسبب دور المعلمين والمعلمات، فقلت له إنني سأترك الوزارة. فوجئت به يودّعني حتى الباب ويلبسني معطفي. لم يكن مضطراً لكنه كان يحترم من يحترم نفسه.

سليمان فرنجية ممتاز أخلاقياً. لديه مواصفات الفروسية لكن ومع احترامي لآل فرنجية الكرام، لم يكن لديه تصور لعمل الدولة وموقع المؤسسات.

الياس سركيس كان «آدمياً» لكن مشكلته الحقيقية هي أنه كان دائماً الرجل الثاني قبل توليه الرئاسة. حتى شارل حلو، وقد كنت أنا من اختاره، جاء من نصحني بأنه «رجل ثان ممتاز»، لكنه لا يستطيع أن يكون الرجل الأول. القيادة تحتاج إلى موهبة خاصة أو مواصفات خاصة.

على صعيد رؤساء الحكومات كان هناك من انسجم معهم لكني لا أتحدث في السياسة اللبنانية عن مثل أعلى. كانت علاقتي مع صائب سلام كويسة وعملنا معاً ومع جوزف سكاف في «حركة التجمع الوطني» التي ضمت أيضاً جان عزيز وعدداً من النواب اليتامى. عزيز هو الذي أطلق حركة الاستئناس.

■ ما هي قصة الاستئناس؟

ـ كانت بيني وبين الرئيس فؤاد شهاب علاقة احترام متبادل. وفق الدستور ومن أجل تعديله لإعادة انتخاب رئيس الجمهورية هناك حاجة في البداية إلى أكثرية مطلقة أي النصف + نائب. إذا رفض رئيس الجمهورية وأراد مجلس النواب الإصرار عليه فإن الامر يحتاج إلى الثلثين. أنا لم أكن أرى أن رجلاً يريد أن يتحمل مسؤولية وطن يمكن أن يرفض إلا إذا كان فعلاً لا يريد. كنت رئيساً للمجلس في ١٩٦٤. المرحلة الأولى كانت التمني عليه قبول إعادة انتخابه. ذهبت إليه وقدمت له عريضة دستورية وقلت له يا فخامة الرئيس أتمنى عليك أن توافق من أجل مصلحة البلد واستكمال بناء ما بدأته، ولا أرى ما يبرر عدم الموافقة على رغم ما تقتضيه المسؤولية منك من جهد وعناء. أذكر أن الياس سركيس كان واقفاً وراء فؤاد شهاب، رحمهما الله، وكان الحاج حسين العويني جالساً إلى يساري. قلت له نحن لا نستطيع إلزامك ثم لا نستطيع مواجهة فراغ دستوري.

وشرحت للمقرّبين منه أن الإصرار على القول بأن ليس هناك إلا رجل وحيد يشكّل نوعاً من التحدي للمجتمع. استغرب كثيرون موقفي لكن هذه كانت قناعتي. نحن في «حركة التجمع الوطني» كان موقفنا أنه يجب أن يعلن إذا أراد القبول.

■ الآن وبصراحة هل كنت فعلاً تريده أن يبقى؟

ـ نعم، لكن كنا نريده أن يعلن. لم أكن مؤيداً لصيغة أنه سيبقى مضطراً أو مُرغماً. ولا أعرف إذا كان للأمر علاقة بما نقل عن صيغة قبول ديغول بتولي السلطة. لم تكن ثمة حاجة لكل هذا الأمر. كلمة «الاستئناس» أطلقها المرحوم النائب جان عزيز وهو كان لغوياً. كان يقصد بها الاطمئنان إلى النتائج. نحن لم نكن نرمي إلى الاطمئنان إلى النتائج بقدر ما كنا نرمي إلى أن يعلن الرئيس قبوله. شاع تعبير الاستئناس لأن البعض اعتبر أن الاستئناس هو حول مصير البلد. المضحك أنه كان هناك من لم يفهم الكلمة. المرحوم ريمون إده، وكانت لغته العربية ضعيفة، اعتبر أن كلمة الاستنئاس تتضمن نوعاً من التلذذ والتمتع. حملت علينا الصحف الشهابية التي كان يسيطر عليها «المكتب الثاني» حملات شعواء. في مقره الصيفي في عجلتون طلب مني الرئيس شهاب لاحقاً أن أمشي في الصيغة المطروحة وهو مستعد فقلت له: «تأخر الوقت» بمعنى فات الأوان لأن ذلك سيُفسّر بأنني رضخت للحملات التي استهدفتني.

■ **هذا يعني أنه أبلغك رغبته في البقاء؟**

ـ انا أتألم حين أروي لك هذه القصة. قال لي تستطيع أن تعلن موافقتي وأنا موافق. فقلت هذا الموقف سيُعتبر تراجعاً مني ولا أقدر على ذلك.

جان عزيز أطلق «الاستئناس» لكنه مشى لاحقاً مع «المكتب الثاني» بعد وصول شارل حلو. أنا لم أكن ضد شهاب. ولم أؤيد المعارضة الممثلة بريمون إده وكميل شمعون.

■ **كيف وصل شارل حلو إلى الرئاسة؟**

ـ لم تكن لدينا أي رغبة في تحدي الرئيس شهاب. وكانت «حركة التجمع الوطني» تشكل كتلة كبيرة في مجلس النواب. جاءني فيليب تقلا (وزير الخارجية في عهد شهاب) وقال: لا تريدون السير في إرغام شهاب على البقاء، هل ستمشون ضده؟ فقلت لا. وطلبت منه أن يقترح علينا أسماء لخلافة شهاب. ذهب وزارني ثانية في بحمدون حيث كنت أصطاف. جاءني بخمسة أسماء بينهم فؤاد عمون والياس الخوري وشارل حلو. كنت أعرف شارل حلو واخترته. وهذه واقعة عرفها الرئيس حلو. دعمه التجمع وزارنا في «الفينيسيا» لشكرنا. ومرة جديدة أقول وفي ضوء التجربة إن شارل حلو كان ممتازاً في موقع الرجل الثاني لكنه غير صالح لموقع الرجل الأول. هذا ما قاله لي أحدهم قبل انتخابه وهذا ما أكدته التجربة. كان شارل حلو

محاوراً وصاحب ثقافة واسعة لكن لم تكن لديه صفات القيادة والقدرة على القرار، خصوصاً في الظرف الصعب الذي جاء فيه. الرئيس حلو لم يتخذ موقفاً ولم يقل أنا المسؤول لردع الشهابيين الذين أرادوا أن يحكموا من خلاله. ساير جماعة «المكتب الثاني» كثيراً. بعد تولي شارل حلو الرئاسة استمر النظر إلى فؤاد شهاب وكأنه الرئيس الفعلي. وصل الأمر إلى درجة أن عامل الهاتف كان يحوّل الخط إلى منزل شهاب إذا قال له المتصل أريد التحدث إلى فخامة الرئيس. ذهبت وقابلت شهاب وقلت له: «اترك له مجالاً ليحكم». فأجاب: «لا يستطيع، إنه غير قادر». أعود وأقول كان شهاب ناسكاً وبسيطاً في أسلوب عيشه ولم يكن مهتماً بالمظاهر.

■ **توليت رئاسة المجلس في ١٩٦٤، وعدت إليها في ١٩٦٨؟**

ـ نعم هذا حصل بعد الانتخابات وفوز المعارضة. لكن شارل حلو استسلم لـ«المكتب الثاني» ومشى ضدنا في انتخابات رئاسة المجلس.

■ **في هذه المرحلة نشأ «تكتل الوسط» الذي ضمّكم والرئيس سليمان فرنجية والرئيس صائب سلام، فمن كان وراء الفكرة؟**

ـ لم تكن فكرة شخص بمفرده. التقينا وبحثنا في الأوضاع

وقررنا العمل معاً واخترنا الاسم. كان هناك أيضاً الحلف الثلاثي (كميل شمعون وبيار الجميل وريمون إده) و«النهج» المؤيد للشهابية. وكان الخيار التعاون مع القوى الأخرى وأبرزها «الحلف الثلاثي» لانتخاب رئيس للجمهورية لا يكون امتداداً لـ«الحلف الثلاثي».

■ ما الذي حسم نجاح الرئيس سليمان فرنجية؟

ـ فاز الرئيس سليمان فرنجية بفارق صوت واحد. وهذا دليل ليس فقط على جدية الانتخابات بل أيضاً على الاستقلالية. طبعاً للدول اهتمام بحدث من هذا النوع ولها مصالح وصداقات. لكن التدخل الخارجي كان يجري في الكواليس. كان التدخل غير مباشر ويحصل عبر محاولة إقناع بعض الأشخاص. لم يكن هناك فرض إرادة. كان الياس سركيس مرشح «النهج» وقد التقيته في منزل أحد الأصدقاء، وقلت له إن انتخابك سيعني استمرار العهد الشهابي و«المكتب الثاني». طبعاً اليوم نترحم على أيام «المكتب الثاني» قياساً على حكم الاستخبارات. قلت له أيضاً ليس لدينا شيء ضدك كشخص لكننا لا نؤيد نهج تسييس العسكر وعسكرة السياسة. دور «تكتل الوسط» كان كبيراً. وللأسف كان هناك بين المنضوين فيه من يصح وصفهم بـ«الطابور الخامس» وقد حاولوا تنفير كميل شمعون بحيث لا يمشي إذا لم يكن هو المرشح. عندها اجتمعت مع كميل شمعون وقلت له نحن على استعداد للسير

معك إذا أمّنت العدد اللازم من النواب. وحينها أتدخل لدى الرئيس صائب سلام. في المقابل جرت محاولات من جانب «النهج» لترشيح فريد دحداح عن طريق صائب بك سلام. كان هدف هذه المحاولة شق الفريق المعارض.

لم يتمكن شمعون من تأمين العدد اللازم وكان الغرض من لقائي معه ضمان عدم تفكك جبهة المعارضين للمرشح الشهابي. حين رشحنا سليمان فرنجية، ومن دون تواضع مزيف، ذهبت إلى جريدة «النهار»، وتستطيع أن تسأل الأستاذ غسان تويني. قلت له ليس هناك إلا سليمان فرنجية يستطيع ضمان تأييد فؤاد غصن ونسيم مجدلاني ويمكن النجاح فيه. اتصلت بريموج إده فوافق. اتصلت بكميل شمعون فقالوا لي إنه نائم. قلت: «أيقظوه». وضعته في الجو.

ذهبت إلى بيت سليمان فرنجية وكان مجتمعاً مع صائب سلام وقلت لحبيب كيروز أكتب: «اجتمع تكتل الوسط وقرر ترشيح السيد سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية». الحقيقة أن صائب بك كان محرجاً بعض الشيء لأنه كان يفضّل ريمون إده. عقدت جلسة الانتخابات وجاء الصوت الأخير لمصلحة سليمان فرنجية. رئيس مجلس النواب صبري حماده أراد إعادة الانتخاب لأن النتيجة كانت ٥٠ صوتاً لسليمان فرنجية و٤٩ صوتاً لالياس سركيس. الحقيقة أن الدستور صريح. في النهاية أُعلنت النتيجة.

أعود إلى البداية. كان النواب يتحملون مسؤوليتهم. لم يكن التدخل الخارجي، عربياً كان أم أجنبياً، علنياً. كان يدور في الكواليس ولا يتخذ طابع الفرض.

■ كيف كانت علاقتك مع الرئيس فرنجية؟

ـ الرئيس فرنجية رجل مناقب لكننا اختلفنا معه في النهاية. وقد غادر فرنجية القصر بفعل القصف وانتقل إلى مكان آخر. أنا مثلاً كنت ضد هيئة الحوار الوطني. الحوار يكون في مجلس النواب ما دام المجلس منبثقاً من انتخابات حرة.

■ من جاء بالياس سركيس رئيساً في ١٩٧٦؟

ـ كان هناك تصميم سوري على وصول سركيس. في تلك المرحلة كانت بدأت علاقتنا مع الرئيس حافظ الأسد وكانت قائمة على الاحترام والمودة. فاتحني الرئيس الأسد بموضوع سركيس قائلاً إن لديه صفات جيدة. كنت مؤيداً لترشيح ميشال الخوري نجل الرئيس الراحل بشارة الخوري. فهمت لاحقاً أنه كان هناك نوع من الاتفاق الدولي مع سورية على اختيار سركيس. لا أريد أن يفهم أنني أعتبر سركيس صنيعة للأجنبي. سركيس خلوق وممتاز لكنني أفضّل أن يتسم الرئيس بالقدرة على الإقدام والحزم. لم أكن مقتنعاً به. كان ظل فؤاد شهاب وأمين سره، ومن يتعوّد على هذه الأدوار يصعب عليه أن يجلس في المقدمة. في النهاية تخلينا عن ميشال خوري. ولم

يكن لريمون إده حظ فقد رشحه الفلسطينيون و«الحركة الوطنية». عندما حان موعد الانتخاب لم يكن قد جاء أحد من النواب. أنا جئت من بيروت الغربية تحت الرصاص. عندما أُذيع نبأ وصولي بدأ النواب في المجيء. الحقيقة أن انتخاب سركيس رافقته أجواء من الترهيب بهدف منع انتخابه.

■ لماذا أيدت وصول بشير الجميل إلى رئاسة الجمهورية؟

ـ يجب وضع الحدث في إطاره. كان العمل الفلسطيني المسلح على النحو المعروف. وكان هناك بين الفلسطينيين من يدعو إلى تحرير فلسطين انطلاقاً من لبنان. حصلت مشادات بيننا وبين الممثلين الفلسطينيين في لقاءات برلمانية. قلنا لهم لا يجوز أن تعرّضوا لبنان للخطر في حرب تفوق قدرته وتنذر بإضاعة لبنان أيضاً بدلاً من تحرير فلسطين. كان همّنا عدم إعطاء إسرائيل ذريعة لتدمير لبنان.

غزا الإسرائيليون لبنان في ١٩٨٢. وأقول هنا، ومع الأسف الشديد، إن كثيرين ومن كل الطوائف اعتبروا إيقاف العمل الفلسطيني بمثابة نوع من الإنقاذ. لم يكن الجنوبيون مقتنعين بأن ممارسات المقاومة، التي يدفع أهالي القرى ثمن الردود الإسرائيلية عليها، ستؤدي إلى تحرير فلسطين. في الداخل كان الوضع عملياً في يد الميليشيات. كان بشير الجميل زعيماً لميليشيا «القوات اللبنانية» التي تكونت بفعل الخوف من الانتشار الفلسطيني المسلّح.

أنا أصف هنا ما كان قائماً وما أُعلن ولست في وارد التبرير لأحد أو الدفاع عن أحد. في البداية كانت علاقتي مع بشير الجميل سلبية جداً. وأنا الوحيد الذي قال إن مجلس النواب (في قصر منصور آنذاك) يتعرض لإطلاق النار والقصف من المنطقة التي تسيطر عليها «القوات اللبنانية». ووصل الأمر إلى حد إطلاق النار على مكان كنا نتناول الغداء فيه في بلدة يحشوش (في كسروان).

التقيت بشير الجميل مرات عدة في منزل شخص أثق فيه هو طارق حبشي وكان نائباً آنذاك. اجتمعنا على ما أذكر خمس مرات. خرجت من لقاءاتي معه بانطباع أنه ليس عميلاً لإسرائيل، وإن كان من المتعاملين معها لكونه حصل على سلاح منها. كان يعتبر الخطر الفلسطيني داهماً وينطلق في الحديث عن هذا الخطر من موقع لبناني. شعرت بأنه بريء ويمكن أن تغسل دماغه أو تؤثر في قناعاته.

أستطيع القول إنني ساعدته على تفهّم مسؤولية لبنان العربية وضرورة أن ينهض رئيس الجمهورية بهذا الدور. لا بل إنني شددت على أن لبنان بحكم تركيبته وعلاقاته يجب أن يلعب دوراً طليعياً في الصراع مع إسرائيل.

اقتنع بشير بكل ما قلته له وبدا لي أنه سيتصرف كرئيس ضمن الضوابط الوطنية. هناك نقطة أخرى. كان بشير المرشح الوحيد

للمسيحيين. حصلت موجة ربما ساهم في اتساعها حصول الاجتياح. في المقابل اختار المسلمون ممارسة فيتو ضد بشير الجميل لكنهم لم يرشحوا منافساً له. هنا شعرت بأن البلاد مهددة بفراغ دستوري اعتبرته دائماً من أهداف إسرائيل لتمزيق لبنان أو فرض دورها.

كنت أول مسلم يعلن تأييده لبشير الجميل ثم كرّت السبحة. أعود وأقول: تفهّم بشير طبيعة التركيبة اللبنانية وتفهّم دور لبنان العربي.

■ ذهبت إلى سورية في تلك الفترة وقيل إنهم طلبوا منك السعي إلى عدم انعقاد جلسة مجلس النواب؟

ـ هذا الكلام عار عن الصحة. جاءني الضابط محمود مطر وهو قريب من السوريين. قال لي إن (وزير الخارجية السوري) عبدالحليم خدام سيأتي إلى شتورة للاجتماع بك وبحث موضوع انتخابات الرئاسة. أجبته أنا أفضّل أن أذهب إلى رأس النبع وألتقي الرئيس حافظ الأسد، وكانت بيننا علاقة محبة واحترام. التقيت الرئيس الأسد وشرحت له وجهة نظري ومخاوفي من فراغ دستوري تراهن عليه إسرائيل، ولفّته إلى جو الانقسام الطائفي القائم. وكانت عبارة الرئيس الأسد هي التالية: «الخيار صعب». قلت للرئيس السوري إن بشير الجميل ليس شخصاً مرتهناً لإسرائيل وأنا أؤكد ذلك. كرر الأسد أن

«الخيار صعب». لم يحصل خلاف. كان بيني وبين الرئيس الأسد علاقة محبة واحترام. لم يطلب مني شيئاً يتعلق بالجلسة. كان خدام حاضراً في اللقاء ولم يتحدث.

عقدت الجلسة بعدما انتظرنا طويلاً اكتمال النصاب، واللافت أن أبرز معترض على هذا الانتظار كان الرئيس كميل شمعون وليس الجانب السوري.

■ **ألم تلتقِ خدام قبل الرئيس الأسد؟**

ـ التقيته وبدأ معي بالحديث، فقلت له لنبحث الأمر مع الرئيس الأسد. التطورات أظهرت أن بشير الجميل لم يكن مرتهناً لإسرائيل وأنه ذهب إلى نهاريا واصطدم مع مناحيم بيغن. ولا أستبعد أن تكون لإسرائيل يد في اغتياله فـ«القوات اللبنانية» كانت مخترقة، والدليل أنها لم تسلّم القضاء ملف التحقيق الذي أجرته بعد الاغتيال. أدلى بشير بتصريح قال فيه إنه يريد أن تكون للبنان علاقات ممتازة مع سورية، وأنا كنت قد اقترحت عليه استخدام تعبير علاقات مميزة. اتصلت به فقال، قلت ممتازة. فأجبته وعلاقتنا يجب أن تكون ممتازة مع الجميع ومميزة مع سورية. لم تكن لديه الحساسية الكافية على التعابير في العربية. في اليوم التالي استخدم كلمة مميزة.

■ **هل تفاهمت معه على خطوات معينة؟**

ـ تفاهمنا على مبادئ عامة، لبنان عربي وصاحب رسالة عربية.

كان بشير الجميل مخلصاً ولديه نوع من الطهر. ليس لديّ أي شك في وطنيته. اقتنع بأن لبنان يجب أن يكون صاحب دور. عندما ذهب إلى نهاريا رفض أن يبرم اتفاقاً مع إسرائيل.

الرئيس صائب سلام التقى بشير بعد انتخابه وأعتقد أنه اقتنع به.

■ **أين كنت لدى اغتيال بشير؟**

ـ كنت في جنوب فرنسا. اتصلوا من بيروت وتركوا لي خبراً مفاده أن انفجاراً وقع في بيت الكتائب وأن بشير نجا. بعثت له ببرقية تهنئة على سلامته. في الليل رجعت فتلقيت نبأ اغتياله.

عدت إلى لبنان وتوجهت إلى منزل والده الشيخ بيار الجميل في بكفيا لتقديم التعازي، كان هناك إدمون رزق وأمين الجميل وعدد من المسؤولين الكتائبيين. بدأوا بالإشادة بأمين فقلت لهم إنني جئت للتعزية. وكنت سابقاً قد نصحت أمين بتأييد شقيقه وقلت له إذا نجح كان خيراً وإذا لم ينجح ربما كنت البديل. والحقيقة أنه بعد اغتيال بشير لم يكن لديّ مرشح وكنت أفضّل أمين على أي مرشح آخر. وأيّد الإخوان في سورية انتخاب أمين وقد أُبلغت بذلك وهذا دليل على أن انتخاب بشير لم يؤد إلى قطع العلاقات.

■ **تولى أمين الجميل الرئاسة فكيف كانت تجربتك معه؟**

ـ الاستحقاق الأهم كان «اتفاق ١٧ أيار». ومرّة جديدة أقول إن

أي حدث يجب أن يُناقش في الإطار الذي جرى فيه. كان لبنان محتلاً ومن الطبيعي أن تكون الأولوية لإزالة الاحتلال. ثم إنه كان من المطلوب إن يتخلص لبنان من الاحتلال بأسرع وقت ممكن لقطع الطريق على أي فتنة تسعى إسرائيل إلى إثارتها. صحيح أنه كان لدينا القرار ٤٢٥ لكنه لم يكن مطبّقاً إسوة بقرارات كثيرة لمجلس الأمن.

جاء الجانب الأميركي وأبدى استعداده لمساعدة لبنان على ضمان انسحاب إسرائيل بموجب صيغة لا تفرض قيوداً على لبنان أو التزامات تتناقض مع انتمائه العربي. سُئلت في تلك المرحلة عن فكرة المفاوضات المباشرة فقلت إنني لا أرى مانعاً ما دام الهدف استعادة الأرض والسيادة وما دام الامر لن يمسّ بالثوابت الوطنية والقومية. وهكذا كان. هذه هي الأجواء التي وافق لبنان على أساسها على التفاوض. أذكر أنني كنت والمرحوم الرئيس شفيق الوزان والاستاذ غسان تويني في مكتب الشيخ أمين الجميل وتلقى اتصالاً من المرحوم الرئيس حافظ الأسد. تحدث الشيخ أمين وبعد انتهاء المكالمة سألته عن الجو فراح يعيد عليّ ما قاله للرئيس الأسد. قلت له سمعت ما قلته أنت، ماذا قال الرئيس السوري؟ فأجابني أن الأسد قال له أنا أثق بك وبأنك تعمل من أجل إنقاذ بلدك. لكنني حتى اليوم لم أفهم لماذا سمّاه الرئيس الأسد لاحقاً «اتفاق الإذعان». للأسف لم ألتق الرئيس الأسد بعد ذلك التاريخ.

الحقيقة أن الاتفاق ينص على الجلاء من دون قيد أو شرط. هناك جملة تتحدث عن إنهاء حالة الحرب. ولم يكن المقصود منها إقامة سلام بل العودة إلى اتفاق الهدنة. لم يكن هناك ما ينص على إبرام معاهدة سلام أو على تطبيع. أنا أعتقد أن «اتفاق ١٧ أيار» أشرف بكثير من صيغة مدريد. في صيغة مدريد هناك الأرض في مقابل السلام أي الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات معها. «اتفاق ١٧ أيار» لم ينص على مقابل للجلاء الإسرائيلي وبهذا المعنى فإنه يعكس روحية القرار ٤٢٥. العرب يتمسكون اليوم بشرعية مدريد الدولية وهو ما لا تسلّم به إسرائيل. وهذه الشرعية تنص على الاعتراف بإسرائيل وإقامة صلح معها وعلاقات وتبادل سفارات وتطبيع. هذا هو «اتفاق ١٧ أيار» كما قدم لنا وكما عرفته. ثمة من يقول إنه كانت هناك اتفاقات سرية. لم نطّلع على شيء من هذا النوع. وكان على الذين تحدثوا عن الخيانة أن يشرحوا الأسباب وما إذا كانت لديهم معلومات ليست في حوزتنا.

الإسرائيليون نقضوا الاتفاق والأميركيون تخلّوا عنه. صباح ذات يوم قرأت تصريحاً لروبرت ماكفرلين مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي يقول فيه إن لبنان لا يستطيع السير في «اتفاق ١٧ أيار» بسبب عدم وجود إتفاق لبناني حوله. وكان ماكفرلين في القصر الجمهوري في لبنان. أرسلت وراءه فجاء إلى مجلس النواب وسألته عن التصريح. وقلت له أين توجد موافقة بنسبة ٩٩ في المئة في بلد ديموقراطي؟ وأفهمته أن

كلامه يعتبر تدخلاً في الشأن الداخلي. تفهّم ماكفرلين موقفي. اتصلت بالرئيس الجميل والتقينا عنده في اليوم التالي.

لا أريد القول إن أمين الجميل بلفنا لكنه لم يقل لنا كل الحقيقة. كان متفقاً مع الأميركيين على إلغاء الاتفاق. لم يقل لي هذا الأمر. كان الجميل يقول لماكفرلين: «كامل الأسعد يتحدث باسم الدولة ككل». سأل ماكفرلين: «ماذا أفعل إذاً؟». قلت له: «تذهب إلى الرئيس ريغان وتقول له إن الدولة اللبنانية مستمرة في الموضوع». فهمت لاحقاً ان الشيخ أمين أبلغه موقفاً آخر بعد مغادرتي.

الحقيقة أنني كرئيس للمجلس كنت في هذا الموضوع في وضع الزوج المخدوع أي آخر من يعلم. كنت أتعاطى مع الكلام الرسمي ولم أكن مهتماً بما يدور في الكواليس. قيل إن الدولة اللبنانية اتفقت مع السوريين على الانسحاب لإحراج الإسرائيليين. ثم جاءت إسرائيل وطالبت بتزامن الانسحابات. الاتفاق يلزم الطرفين ولا يلزم شخصاً ثالثاً. أبرم المجلس «اتفاق ١٧ أيار». عقدت جلسة الحوار في لوزان، وجاء بعدها الدكتور إيلي سالم (وزير الخارجية) ليهنئني على موقفي فسألته لماذا ذهبت إذاً؟ كنا قد شكّلنا لجنة طوارئ نيابية تمثل كل المجلس وقلنا إننا لا نقبل إلغاء الاتفاق من دون توفير بديل.

حين أُلغي الاتفاق فرط النواب. السياسيون يغيّرون مواقفهم. وبهذا المعنى أنقذني تولي حسين الحسيني رئاسة المجلس

النيابي خلفاً لي من إحراج إذ لم يكن في استطاعتي قبول الطريقة التي اعتمدت في التعامل مع شأن بهذا الحجم. الرئيس شفيق الوزان سمّاه لاحقاً «الاتفاق المشؤوم». أنا لا أستطيع ذلك إذ ليس في ملفه ما يعطيه هذه الصفة. كانت فيه مصلحة للبنان على المستوى الوطني والعربي. انسحاب إسرائيلي من دون قيد أو شرط.

■ **لم تلتق الرئيس الأسد بعد ذلك؟**

ـ نعم. الحقيقة لو أنني كنت أعرف أنه في حال الخطر صحياً لما عدمت وسيلة لرؤيته. كانت بيننا علاقة مودة واحترام. حدثت ملابسات قبل ذلك. ربما أكون مسؤولاً عن جانب منها في موضوع عدم التجاوب.

في ١٩٩٠ كنت في باريس وكان هناك عدد من النواب الذين تركوا المنطقة الشرقية بسبب القصف، زارني النائب الشيخ مخايل الضاهر وقال لي إن الرئيس الياس الهراوي أقنع الرئيس الأسد بأن تتولى أنت رئاسة المجلس النيابي. كان ذلك قبل إطاحة العماد ميشال عون. قلت له: «أنا تهمّني الوسيلة. ربما إذا كان هناك تفاهم، أنا أطلب تولي وزارة الداخلية لإرساء قواعد الأمن بعد الفلتان، لكن هل تريد إقناعي بأن الرئيس الهراوي يمكن أن يقنع الرئيس الأسد أو يمون عليه. أعتقد بأن الهراوي يذهب ويتسلّم اسم الرئيس الجديد للمجلس».

بعدها التقيت في باريس بعبدالرؤوف الكسم (رئيس الوزراء السوري السابق) فحاول فتح موضوع «اتفاق ١٧ أيار» معي. قلت لا أريد مناقشة هذه المواضيع. إذا كان الرئيس الاسد كلّفك فقل له ليس هناك أحبّ عندي من أن اراه. بعدها اتصل بي الكسم من دمشق هاتفياً وقال لي هذا هو الرقم اتصل واطلب موعداً. أجبته أنا لا أطلب موعداً. إذا وُجّهت إليّ دعوة ألبيها بسرور.

لا أعرف ماذا نقل الكسم إلى الرئيس الأسد. في السابق حصلت مشاكسة بيني وبينه حين كان رئيساً للوزراء. كنا في دمشق وأراد مناقشتي في ما سمّاه «الملف اللبناني» فقلت له ما علاقتك بهذا الملف، هذا أمر أبحثه مع الرئيس الأسد. وقلت للرئيس الأسد: «الرئيس الكسم يريد أن يبحث معنا ملفات». لامه الرئيس الأسد. الحقيقة أن علاقتي مع الرئيس الأسد كانت ممتازة. حتى عبدالحليم خدام كان يبحث معي الأمور جانبياً ويعطيها جانباً شخصياً ويغلّفها بما يشبه المزاح. كان يعرفني جيداً.

شاهدت مرة الرئيس الأسد على التلفزيون خلال زيارته لمصر فلاحظت شيئاً من الوهن والإعياء على ملامحه. اتصلت بشخص قريب منه وسألته فأجابني أنه بصحة جيدة.

قبل وفاة الرئيس حافظ الأسد زارني ضابط سوري متقاعد وقال إنه مستشار للدكتور بشّار الأسد الذي كان قد تسلّم الملف

اللبناني. وقال الزائر إنهم سيحددون لي موعداً لمقابلة الدكتور بشّار. قلت له إنني لا أستطيع زيارة سورية من دون لقاء الرئيس حافظ الأسد. لم أرفض لكن كان بيني وبين الرئيس الأسد ما يحتم عليّ أن أزوره إذا ذهبت إلى سورية.

أنا أعتبر أن الرئيس الأسد كان جباراً. حين ذهب إلى جنيف للقاء كلينتون كان متعباً جداً ومع ذلك واصل عمله والاطلاع بمسؤولياته.

على رغم القطيعة كان يحصل توافق. كان هناك اتجاه إلى التعيين في بلديات الشريط الحدودي وبحجة التوازن الطائفي. عقدت مؤتمراً صحافياً وقلت كيف نعيّن هناك، سيضطر هؤلاء إلى السير وفق مشيئة الإسرائيليين. اقترحت إبقاء القائمقام متمتعاً بصلاحيات البلديات أو بعضها، قلت هذه قضية قومية ووجهت نداء إلى القيادة السورية. في اليوم التالي جاءت كلمة السر فانقلب موقف النواب.

■ **هل أنت خائف على مستقبل لبنان؟**

ـ لا شك أن ثمة محاولة لإلغاء الديموقراطية بمعناها الصحيح. وهناك محاولة لإلغاء دور لبنان على المستوى العربي. ومحاولة للتهميش يقارب الإلغاء على الصعيد الدولي. يتجلى ذلك في مصادرة إرادة الناس عن طريق إقامة مظهر ديموقراطي عبر انتخابات هي في الحقيقة نوع من التعيين. هذه العملية الشكلية

لا تنتج ممثلين للشعب بل تنتج أشخاصاً معينين. السلطة اللبنانية نفسها مُعيّنة من قبل السلطة الثانية وهي السلطة الأم أو الشقيقة الكبرى سورية.

أعتقد بأن لبنان سيتجاوز في النهاية الواقع المتردي الذي يعيشه اليوم، لبنان أمنع من ان يفقد وجوده على الصعيد العربي وعلى صعيد القضية العربية خصوصاً عبر انقسام طائفي مفتعل. إن إلغاء دور لبنان يعني تقديم هدية إلى إسرائيل على طبق من ذهب. لبنان بتعددية انتماء أبنائه ثقافياً ودينياً، وأكاد أقول حضارياً، يشكل نقضاً للمشروع الصهيوني. ثم إن لبنان يشهد عيشاً موحداً وليس عيشاً مشتركاً بين فريقين. اللبنانيون شعب واحد واللقاء بينهم فعلي وليس مجرد تسوية. المسيحي الذي كان يُتهم إلى حد ما بالتنكر لعروبة لبنان بات مؤمناً بأن لبنان رسول للقضية العربية. والحقيقة أن هذه الرسالة تأتي في طليعة مسؤولياته كمواطن. في المقابل المسلم مؤمن باستقلال لبنان وأن هذا الوطن واجب الوجود. قام الميثاق على تسوية والوطن لا يقوم على تسويات. يقوم على فعل إيمان وهذا الفعل موجود.

المجتمع الأهلي هو الضمانة في موضوع تقرير المصير. يمكن ممارسة الدين بكل تقى وورع وهذا لا يتعارض أبداً مع المواطنية. لقد طغت المواطنية على الطائفية وهذه حقيقة لا تنال منها محاولات إظهار اللبنانيين منقسمين. إنني أتأسف لأن

الذين يعملون من أجل إزالة لبنان أو إلغاء دوره إنما يقومون بما لا يخدمهم ولا يخدم العرب وقضيتهم على المستوى البعيد.

■ **تعيشون في شبه غربة عن النظام الذي قام بموجب اتفاق الطائف. لماذا هذه الغربة؟**

ـ النظام شيء وآلة الحكم شيء آخر. بالنسبة إلى النظام كنصوص نحن لدينا مآخذ على الجو الذي كان مسيطراً عندما ولدت صيغة الطائف. كان الجو جو توزيع بين المسيحيين والمسلمين. أي يأخذ المسلم الصلاحيات ويعطي الأمن للمسيحي. بمعزل عن انتمائنا الديني نقول ان هذا الجو ليس وطنياً. إذا كانت مصلحة الدولة تقضي إن يأخذ رئيس الجمهورية صلاحيات فليأخذها. وإذا كانت مصلحة الدولة تقضي بأن ننزع منه بعض الصلاحيات فلتُنزع. لقد وصفت هذا الجو يومها، في حديث إلى الأستاذ شارل أيوب رئيس تحرير صحيفة «الديار»، بأنه جو يخدم الفكرة الصهيونية والعنصرية. لم نكن ضد اتفاق الطائف وقلنا إنه إذا كان هذا هو الحل الوحيد لما سمي بـ«الحرب الأهلية»، وهي في الحقيقة حرب الآخرين، فليكن. أقول حرب الآخرين وأعني ما أقول. في هذه الحالات يجب أن يطرح السؤال: من المستفيد من الجريمة؟ أن المستفيد الأول، وأكاد أقول الأخير، هو إسرائيل.

قلنا إذا كان اتفاق الطائف هو السبيل الوحيد لإنهاء الاقتتال، وهو انتحار حين يتم بين لبنانيين ويستهدف الناس والمؤسسات

والاقتصاد، فنحن نوافق عليه. لم أذهب شخصياً لأنني فهمت أن لا مجال لتغيير ما بلورته اللجنة الثلاثية. لكننا أرسلنا نائبين من قبلنا هما أنور الصباح ومنيف الخطيب.

وافقنا على الاتفاق لكن عند التطبيق لم تعد للأمر علاقة بما اتُفق عليه. الطائف لم يُطبّق خصوصاً في ما يتعلق بوجود الدولة اللبنانية. أقصد الوجود الفعلي وبالمعنى الصحيح. مؤسف فعلاً أن لا يكون هناك حكم منبثق من إرادة الشعب. حالياً ليس هناك من حكم يحكم وهذا منذ الطائف حتى اليوم، الحكم لا يمارس الحكم. الحديث عن الديموقراطية والانتخابات مهزلة. إنها مهزلة مفضوحة لبنانياً وعربياً وربما دولياً.

■ **أفهم أنكم تعتبرون الانتخابات جزءاً من قرار إلغائكم كزعامة سياسية؟**

ـ منذ ١٩٩٢ وحتى اليوم المسؤولون في لبنان غير مسؤولين. لو حصل الإلغاء عبر منافسة سياسية وديموقراطية لقبلنا النتائج بكل روح رياضية. في الديموقراطية عليك أن تقبل النتائج وتقرّ بانتصار الخصم. هذا غير موجود. هناك إلغاء لإرادة المواطن والإنسان وهذه جريمة بحق الوطن. هناك مصادرة لإرادة الناس. هل تعرف ماذا حدث في الانتخابات التي أُجريت من ١٩٩٢ حتى اليوم، خصوصاً في الدورة الأخيرة. سنة ١٩٩٢ كانت الأعنف. كان العنف ظاهراً وبارزاً. قائد الموقع (في الجيش اللبناني) في منطقة النبطية ردّ على قول النائب أنور

الصباح له بأن فئات تقوم بتحطيم السيارات التي تزورني بالقول: «إنهم يعبّرون عن رأيهم». رفضوا استخدام المعزل في قلم الاقتراع وراقبوا الناس وطلبوا منهم الاقتراع على مرأى من رجال الاستخبارات. تزوير الانتخابات يحصل على مراحل. **الأولى** تتعلق بالقانون حين يفصّل على مقاس جهة معينة ولا تكون هناك قاعدة شاملة ومعتمدة على كامل الأراضي اللبنانية. لم نمانع في أن يكون الجنوب محافظة واحدة على رغم معرفتنا أنهم استخدموا هذه الصيغة لأن التزوير فيها أسهل. جلت إسرائيل وأبقوا الجنوب محافظة واحدة. الرئيس سليم الحص، هذا الرجل النزيه الآدمي الطيّب، استغرب معنا، في الانتخابات الأخيرة، لماذا أبقي الجنوب محافظة واحدة على رغم أنه مقسّم أصلاً إلى محافظتين.

المرحلة الثانية هي تركيب اللوائح. وركبت اللوائح على قاعدة الزواج القسري بين أفرقاء. وهذا يشكو منه كثيرون وليس أنا فقط.

المرحلة الثالثة الابتزاز والتهديد والوعيد من قبل السلطات السياسية والعسكرية. بمعنى إبلاغ المواطن أنه لن يتقاضى تعويضاً مستحقاً له إذا أيّد اللائحة التي لا تحظى برضى السلطة. لوّحوا بمعاقبة قرى وأحياء.

جرت الانتخابات مع وجود الدرك داخل معظم الأقلام وهو ما يحظره القانون إلا في حال تدخلهم لإنهاء مشكلة داخل القلم.

وفي الوقت نفسه كانت الميليشيات خارج القلم. الميليشيات ميليشيات حتى ولو كان بعضها جزءاً من المقاومة. لم يسمحوا لمندوبينا بحضور عمليات الفرز. بعض الصناديق بقي في الأقلام حتى الفجر ولم ينقل إلى السرايا في الموعد المحدد. مرشحون من قبلنا مُنعوا من الدخول كي لا يعاينوا التزوير الحاصل.

أعود وأقول إن محاولة إلغائنا هي جزء من محاولة إلغاء الديموقراطية والنظام التمثيلي وإرادة المقاومة والناخب. لهذا نقول إن «حزب الله» كان عاملاً كبيراً أو رئيسياً في تحرير الأرض لكن المهم أيضاً تحرير الإنسان. احتلال النفس الإنسانية أهم من احتلال الارض. النفسية المتحررة تساعد على استرجاع الأرض. نحن نطالب اليوم بإعادة الاعتبار إلى المواطن على مستوى كرامته وحقه في تقرير مصيره واشتراكه في صنع مستقبله.

يقولون فلان أسعدي وفلان غير أسعدي. في نظري الأسعدي هو من يتخذ هذا الموقف.

موقفنا مبدئي وطني وقومي. الأمر لا يتعلق بمصلحة خاصة أو زعامة. فلتجر الانتخابات وفق الشروط الديموقراطية ونحن نقبل النتائج بلا تحفظ.

■ **هل هناك مخاوف على الجنوب بسبب قرار خفض عدد قوات الطوارئ والجدل حول العمليات في مزارع شبعا؟**

ـ لا شك أن الوضع غير مستقر على صعيد أمني خارجي. حكينا عن الوضع الداخلي، فقلنا إن الدولة غير موجودة. لا أفهم مثلاً لماذا لا ينتشر الجيش اللبناني على الحدود الدولية وبمعزل عن المطالبة بمزارع شبعا. عملية ترسيم الحدود السورية ـ اللبنانية في مزارع شبعا لم تحصل. ولنفترض أن المقاومة ستبقى وأن جنوب لبنان سيظل الساحة الوحيدة المفتوحة في النزاع العربي ـ الإسرائيلي فيجب إعلان ذلك، وفي مثل هذه الحال يجب أن يكون الجيش موجوداً لمؤازرة المقاومة. الغريب هو القول أننا لا نرسل الجيش كي لا يخطفه الإسرائيليون. مهنة الجيش حسب التعريف هي صناعة الموت. ماذا إذاً عن المواطنين العزّل؟ لا أرى مبرراً لعدم نشر الجيش. الدول تنشر جيوشها على الحدود مع الدول الصديقة فكم بالحري حين تكون الدولة المجاورة مصنّفة كعدو.

من المقومات الأساسية لوجود الدولة وجود الجيش. ولنقل إنه سيدعم المقاومة بصورة علنية أو خفية. لا يجوز أن تتنازل الدولة عن أبسط حقوقها ومقومات وجودها. اليوم الجيش في الثكنا والمناطق متروكة لمن يتحكمون في رقاب العباد. أنا أعتبرأان المقاومة المدنية كانت الأساس في التحرير. لو أن أهل الجنوب نزحوا كما حصل مع الفلسطينيين في ١٩٤٨ ربما لم تكن إسرائيل انسحبت. الأهالي بقوا في ظل الاحتلال. لماذا إخضاع من تعلّق بأرضه للابتزاز. يخيّرون الناس بين الرضوخ

أو السجن. أفهم أن يُحاكم البعض وجاهياً أو غيابياً، وفي صورة علنية، لمن اتهموا بالانخراط مع قوات لحد وساهموا في قتل أبرياء. لكن تهديد المدنيين، إلى حد أن يفضل بعضهم اللجوء إلى إسرائيل، أمر غير جائز. كل هذا بالإضافة إلى الضائقة الاقتصادية التي لا يلتفت إليها أحد. هناك فقر مدقع في الشريط الحدودي.

■ كيف تنظرون إلى الإجراءات الاقتصادية لحكومة الرئيس رفيق الحريري؟

ـ لست اختصاصياً في الاقتصاد لكن هناك على الصعيد العلمي خطوط عريضة. لا أعتقد بأن الاقتصاد يقوم على الخصخصة. لا يجوز خصخصة كل مرافق الدولة. في الدولة استيراد وتصدير وميزان مدفوعات. الدولة مطالبة بتأمين الحد الأدنى من الضمان الاجتماعي للمواطن. ثم كيف تعطي فرصة للسلع اللبنانية إذا خفضت الجمارك على السلع الأجنبية؟ هذا ممكن في هونغ كونغ أو في مونتي كارلو وهي عبارة عن إمارة كازينو. على الدولة تشجيع الزراعة والتصنيع الزراعي. أما عن الاستثمارات الأجنبية ففي الوضع الحالي القلق، إن لم نقل إنه خطر، لا أرى كيف ستأتي رؤوس الأموال الأجنبية. رأس المال بطبيعته جبان فكيف حين يكون الوضع قلقاً. يضاف إلى ذلك أن الحديث عن الاعتماد على قطاع الخدمات يجب أن يأخذ في الاعتبار حجم التغييرات في المنطقة.

■ تحدثت في الفترة الأخيرة عن الإيحاءات والتوجيهات، هل تقصد أن البلد محكوم بكلمة السر السورية؟

ـ يبدو ذلك. استبشرنا خيراً بوصول الدكتور بشّار الأسد وما نقل عنه من انفتاح، ليس فقط بالنسبة إلى لبنان بل في مختلف المواضيع. لم نلاحظ حتى اليوم تغييراً. أسلوب كلمة السر لا يزال قائماً على رغم أن كلمة السر صارت علانية. في أيامنا لم تحدث هذه الأشياء. لم يعد الأمر يتعلق بكلام بين طرفين. هناك طرف واحد.

■ هل هذا يعني أن ليس لدى الدولة اللبنانية إرادة؟

ـ لا تريد أن تمارس إرادتها. تريد فقط تلقّي التوجيهات. خذ مسألة مزارع شبعا. كل شبر من الأرض مهم. لكن لا تستطيع ضمان تأييد الأمم المتحدة من دون أن تعطيها ترسيماً للحدود. يمكن ترسيم الحدود في مكتب وليس ضرورياً على الأرض في مزارع شبعا. تأييد الشرعية الدولية مهم للمقاومة في مزارع شبعا.

خذ مسألة إرسال الجيش. هل يعقل أن تقول سأغمض عيني لأوفرهما لوقت لاحق. هذا لا يجوز. من مقومات الدولة وجود الجيش. أرسلوا الدرك. ما يجري هو تغطية لممارسات غير شرعية، هناك استفزازات واستعباد للناس. هناك إهانة.

■ قلت إنك تترحم على أيام «المكتب الثاني»؟

ـ قلت لك إن الانتخابات أجرتها الاستخبارات. تتصل الاستخبارات بالأجهزة اللبنانية وتقول لها هذا ما نريده. الاستخبارات في البلدين تشكل ثنائياً مرحاً.

أقول مخلصاً إن القضاء على ميزات لبنان ومقوماته يشكل خسارة للعرب فضلاً عن أنه يشكل خسارة للبنانيين. وجود لبنان بتعدديته يشكل تحدياً دائماً للوجود العنصري الإسرائيلي.

■ كيف ترى وضع الطائفة الشيعية اليوم؟

ـ أنا أعتبر أن هناك مجتمعاً أهلياً موحداً. لا يسيء إلى هذا المجتمع وجود أديان ومذاهب. الطائفة الشيعية هي جزء من هذا المجتمع ومصلحتها من مصلحته. الشيعة جزء من هذا الشعب. يحكى اليوم عن ولاءات لهذا الطرف الإقليمي أو ذاك. لا أحد يقوم باستفتاء الناس. لا شك في أن «حزب الله» استقطب فريقاً كبيراً. المشاعر الوطنية والمقاومة والمشاعر الدينية. وهناك المساعدات الإيرانية ودورها. أعطيك مثلاً: حين يتحدث السيد حسن نصر الله (الأمين العام لـ«حزب الله») في المحتشدين في ذكرى عاشوراء ويطلق مواقف سياسية فهذا لا يعني أن كل الحاضرين يتفقون معه في كل ما يقوله. يمكن أن يُجمعوا على محاربة إسرائيل لكن قد تختلف مواقفهم بالنسبة إلى الباقي. أنا أعتبر أن الوحدة بين اللبنانيين موجودة وقائمة وأن محاولة إظهار الانقسامات مفتعلة. لي مآخذ على الإخوان الذين اجتمعوا في قرنة شهوان. مجرد كونهم مسيحيين

يعطي الذريعة، ولا أقول الحق، لمن يريد افتعال الانقسام وبغض النظر عن البيان.

■ ما هو المطلوب لتصحيح العلاقة اللبنانية ـ السورية؟

ـ المطلوب أولاً استيعاب المصلحة العامة على مستوى القضية العربية ثم استيعاب المصلحة اللبنانية ـ السورية على المدى البعيد، ثم استيعاب المصلحة السورية في العمق. نحن اعتراضنا على الأداء السوري أكثر مما هو على وجود الجيش السوري في لبنان. حين يكون الأداء سليماً لا مشكلة في وجود الجيش السوري في بعض المواقع إذا فرضت ذلك استراتيجية سليمة. العلاقات السورية ـ اللبنانية الحالية لا تشكّل نموذجاً يشجع الآخرين على الاقتداء بها. ببساطة، الشأن اللبناني هو شأن لبناني ومن مصلحة سورية عدم إدارته. حتى ولو اعتبر لبنان قاصراً فإن على الوصي أن يستخدم الرعاية ويكون الأب الصالح بدل إرهاقه. ثم لماذا تفسير كل شيء طائفياً؟ هل مشكلة المزارعين تخص فئة واحدة؟ وهل مشكلة العمال تقتصر على طائفة؟

■ لماذا تستخدم تعبير «القطيعية» هذه الأيام؟

ـ القطيعية هي حين يكون شخص صنيعة طرف آخر ويأتمر بأمره في كل شاردة وواردة. إنه أمر مؤسف أن يصبح الوضع على هذا النحو. لا يجوز القول إن النواب أرادوا ذلك، حتى

ولو انتخب النواب في انتخابات حرة لا يجوز إلغاء دور الناس وهيئاتهم. سبق أن وجهت رسالة إلى الرئيس إميل لحود تتضمن نقاطاً تتعلق بمهمته كرئيس للجمهورية وبـ«خطاب القسم»، وما حصل لاحقاً يتناقض تماماً مع ما سُمي بـ«خطاب القسم». وفي الرسالة إشارة إلى أن العرفان بالجميل لا يجوز أن يطغى على المسؤولية، خصوصاً إذا تعلق الأمر بمصير وطن وطموحات شعب على المدى البعيد. آمل أن يصحّح العماد لحود مساره كرئيس للجمهورية. البوادر لا تشجع على التفاؤل. أتمنى أن تصحيح المسار. حين يُصدر ديوان المحاسبة تقريراً حول الفساد لماذا تتم حماية الفاسدين وتغطية السياسيين المفسدين الذين شجعوا الموظفين الفاسدين أو حموهم. تحدث خطاب القسم عن الثواب والعقاب وتطبيق القانون، أين القانون؟

■ **كيف تجد تجربة التعايش بين الرئيسين لحود والحريري؟**

ـ لا أرافق هذه التجربة عن قرب. الصحف تشير إلى خلافات. ربما ليست خلافات في الجوهر.

■ **هل عرفت الرئيس لحود قبل تسلمه السلطة؟**

ـ لا، فقط رأيته في مكان نسبح فيه.

■ **والرئيس الحريري؟**

ـ لم يكن مقيماً في لبنان. التقيته في مناسبات عزاء.

■ **بعد هذه التجربة الطويلة، أين أخطأت؟**

ـ ربما أكون أخطأت في اتفاق ١٧ أيار مايو لأنني لم أذهب في البداية للقاء الرئيس حافظ الأسد وتذليل الصعوبات إن وجدت. تركنا الأمر للشيخ أمين (رئيس الجمهورية). ربما كنت أخذت بمآخذه وربما كنت حاولت إقناعه. الشيخ أمين قال إنه متفاهم مع السوريين وصدّقنا. في الباقي اتخذت دائماً المواقف المنسجمة مع قناعاتي الوطنية. في موضوع التجديد لفؤاد شهاب لم تكن لي مصلحة شخصية. لم أحب أن يوحي رجل، مهما كانت صفاته، أن لا أحد غيره في البلد يتمتع بمثل هذه المواصفات.

■ **هناك شكوى من أنك تعامل السياسيين بنوع من التعالي لكونك وريث زعامة؟**

ـ المسألة لا علاقة لها بالتعالي. أنا أناقش وأقتنع، لكنني أعتبر أن على المسؤول أن يحترم نفسه وأن لا يسيء إلى موقعه.

■ **كيف تمضي وقتك؟**

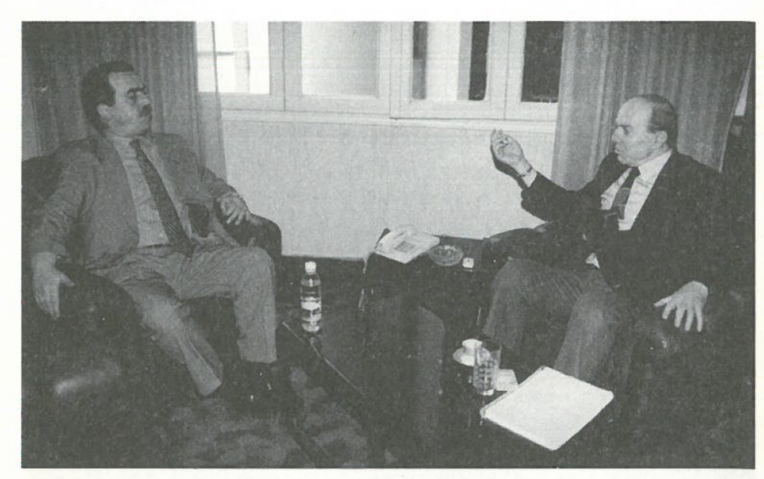
ـ أمارس الرياضة وأدير مكتب المحاماة. الدعاوى المرفوعة ضدي تحتاج إلى مكتب. للأسف السياسة اليوم توجه بعض القضاء. القضاء يخضع للسياسة أيضاً وليس للقدر وحده.

■ **انتخبت نائباً في ١٩٥٣ ويقولون إنك كنت في العشرين؟**

ـ نعم أنا من مواليد ١٩٣٣ وقمت بتكبير سني مرتين لأستوفي الشروط، بمعنى أنني صرت رسمياً من مواليد ١٩٢٨.

■ **بعد نصف قرن من العمل السياسي والنقابي، هل تشعر بأنك أديت ما تطلّعت إليه أم أنك تشعر بالمرارة؟**

ـ لديّ شعور بأنني أدّيت ما استطعت تأديته وبانسجام تام مع قناعاتي. الناس صنفان، صنف يتبع مصلحته ولو كانت على حساب المصلحة العامة، ولعل هذا الصنف يمثّل الأكثرية الساحقة في العالم اليوم حيث تحول كل شيء إلى «بيزنس»، وهناك صنف آخر يهتم المنتمون إليه بالانسجام مع أنفسهم والصدق معها، وهؤلاء أقلية بالتأكيد. أقول صادقاً إنني كنت دائماً على اتفاق مع ضميري. وأنا أعتبر أن مصلحتي الفعلية والأولى هي أن أكون متفقاً مع ضميري. لقد اتخذت مواقف ضد مصلحتي الخاصة والمباشرة، أنا أعيش مع ضميري ٢٤ ساعة ولا أقبل أن أخلّ بانسجامي مع نفسي. من هذا المنطلق اتخذت مواقفي، ربما لم أنجح في كل ما تطلعت إليه والسبب أن قوى الشرّ أوسع وأكبر. لم أعتبر يوماً أن لمنصب قيمة إذا كان الوصول إليه أو الاحتفاظ به يدخلني في خلاف مع ضميري وقناعاتي أو احترامي لمبادئي ولنفسي.



كامل الأسعد يتحدث إلى المؤلف



مع بشير الجميّل



الأسعد مصافحاً فؤاد شهاب



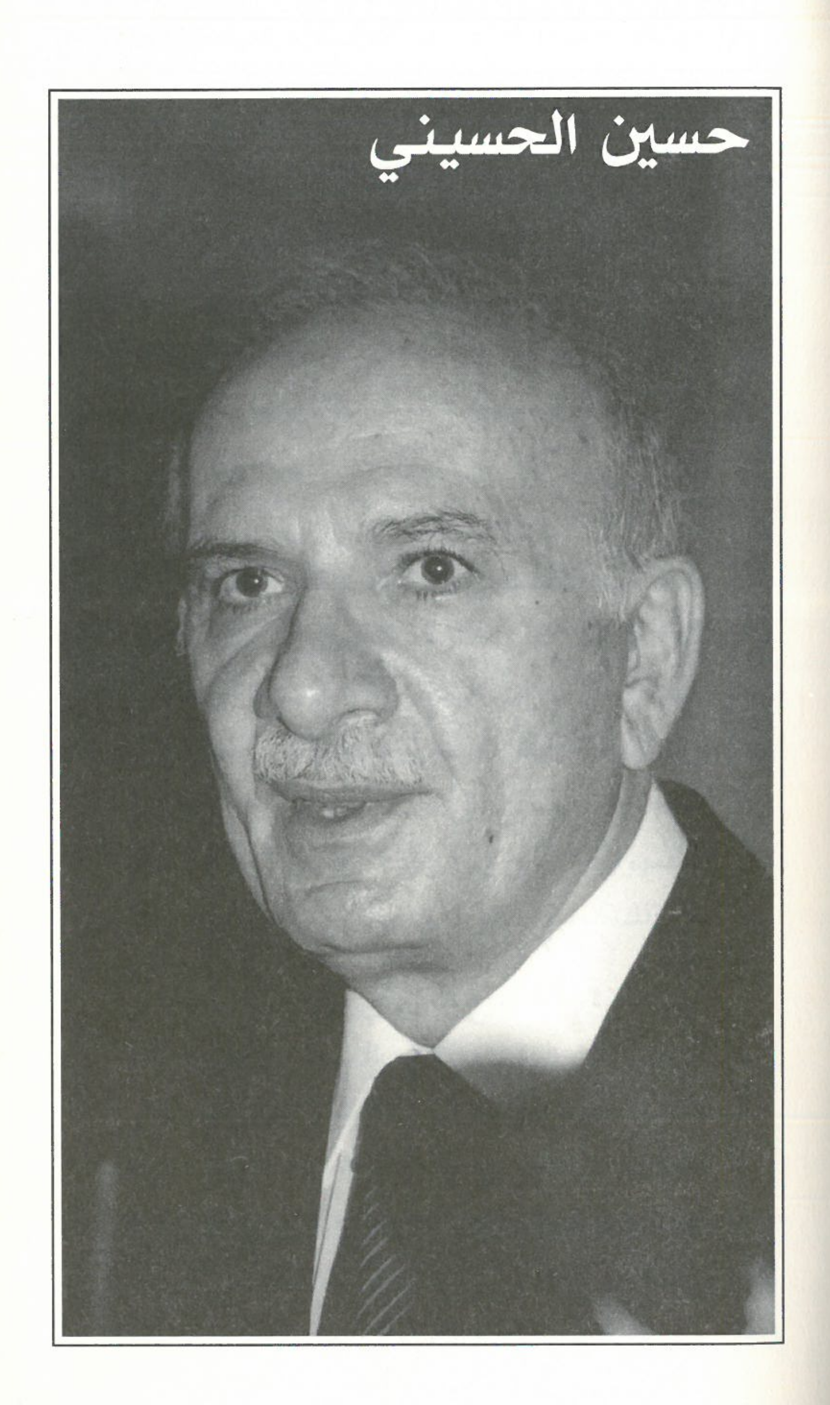
وشارل الحلو



كامل الأسعد وصائب سلام يستقبلان سليمان فرنجية



رينيه معوض وكامل الأسعد


حسين الحسيني

حسين الحسيني: حارس الطائف

لماذا حسين الحسيني؟ الأسباب كثيرة. ففي بيروت يقولون إنه مصمم أزياء الجمهورية الثانية التي كشفت السنوات الماضية محاسنها ومعايبها والمفاتن. وهذه الصفة وحدها تكفي لسؤاله أو استجوابه. يضاف إلى ذلك أن الحسيني صعد في الجمهورية الأولى إلى رئاسة مجلس النواب وشهد من ذلك الموقع سقوط جمهورية وولادة أخرى.

في العام ١٩٨٤ انتزع الحسيني مطرقة رئاسة مجلس النواب من الرئيس كامل الأسعد. وفي ١٩٩٢ انتقلت مطرقة الرئاسة إلى يد الرئيس نبيه بري. وفي الحالتين لم تكن رحلة المطرقة بين الأيدي وليدة الحسابات النيابية فقط. من دون أن ننسى أن مطرقة رئاسة حركة «أمل» انتقلت من يد الحسيني إلى يد بري في عام ١٩٨٠ وأقامت في يده.

يتكلم الحسيني على الوفاق الوطني كما يتكلم المهندس على بناية شيّدها. أي بلهجة العارف بمقاسات الغرف والممرات والظلال. يتكلم بلهجة حارس القاموس وكأنه المؤتمن على تفسير حدود الصلاحيات وحدود الكلمات. لكن السياسة تقول إن القصر لا يدوم لسيده والمكتب لا يدوم لشاغله. وهذا ما حصل.

ربما كانت الحسابات مختلفة لو لم تنفجر جمهورية رينيه معوض بعد ١٧ يوماً من ولادتها ولو لم يتطاير جسد الرئيس مع الاستقلال في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩. وليس سراً أن الحسيني كان أقرب إلى جمهورية معوض التي كانت أقرب إلى التفسير الأصلي لبنود اتفاق الطائف. لكن الغدر من طبع السياسة. . . ولو دامت لغيرك لما وصلت إليك.

في النصف الثاني من الثمانينيات ومطلع التسعينيات كان حسين الحسيني محور الحركة السياسية الباحثة عن ملامح الوفاق أولاً، ثم عن ترسيخ ملامح الاتفاق ثانياً. ومنذ ١٩٩٢ تدور الجمهورية الثانية حول محورين: الأول محور نبيه بري الذي نقل طائفته من ضاحية القرار إلى صلبه، إلى حد إثارة مخاوف الآخرين. والثاني محور رفيق الحريري

الذي استدعته الجمهورية المفلسة فاقتحمها برصيد شخصي يعادل وقعه دوي مدافع الميليشيات الكبرى. جرف رصيد الحريري الاعتراضات على وصوله. وحين حاول إعادة إعمار الدولة أو ترميمها اصطدم بذهنية الطبقة السياسية التي خشيت من تحوله «جنرالاً» دائماً فمنعته من بناء الدولة وحاولت عرقلة بناء دولته فيها. وحين تضطرب العلاقات بين المحورين تسلك الأزمة طريق دمشق.

ثمة من يعتقد بأن ظروف الجمهورية الثانية أكثر دقة من أن يسلم مصيرها إلى طبقة يسارع أركانها إلى إيقاظ قاموس الحرب عند أول خلاف. وفي الصالونات السياسية في بيروت حديث هامس عن إفلاس الملابس المدنية وحاجة الجمهورية إلى منقذ.

ولد حسين الحسيني في ١٩٣٧ في زحلة. أجداده من مزرعة السياد في أعالي جبيل. وهي قرية مقابلة لبلدة شمسطار البقاعية التي تولى رئاسة بلديتها في ١٩٥٧. أدرك باكراً خطورة الخلل الكامن في تقسيم المناطق إلى «مناطق أصلية وأخرى أقل أصالة». ورث عن والده وجده تحالفات وصداقات بقاعية ولبنانية سهلت له إدراك أسرار التركيبة

اللبنانية التي لا تحتمل استمرار الحرمان ولا تتسع لمنطق الانتصار.

■ **تعاونت في الثمانينيات مع رئيس الوزراء الراحل رشيد كرامي، أي انطباع خلّف لديك؟**

ـ كان الرئيس رشيد كرامي صاحب أعصاب هادئة يمتلك قوة احتمال في أوقات الخطر. ورثت هذه العلاقة عن والدي واستمرت. كان رشيد كرامي رجل دولة بكل ما للكلمة من معنى وعمل طوال عمره من أجل إقامة الدولة.

■ **والرئيس كميل شمعون؟**

ـ رجل دولة من طراز رفيع، خلافاً لما يراه الآخرون. هو في المظهر شيء وفي الجوهر شيء آخر. وهناك حادثة معبرة في هذا المجال: عندما توليت رئاسة المجلس في ١٩٨٤ فوجئت قبل انتخابي بمذكرة أصدرها الرئيس رشيد كرامي بوصفه رئيساً للحكومة موجّهة إلى وزير المال بوجوب وقف أجزاء من تعويضات النواب ريثما تضع الحكومة مشروع قانون بإلغاء هذه الأجزاء.

عندما نقل إليّ ذلك وقدمت دوائر المجلس صورة عن هذه المذكرة مذيلة بكتابة لشمعون بصفة وزيراً للمال وعليها عبارة: للتنفيذ، اتصلت بالرئيس شمعون معاتباً. قلت له أنت رئيس سابق للجمهورية ومحام ونائب ووزير فبأي حق تستطيع مذكرة

من رئيس الحكومة أن توقف مفعول قانون؟ وبالتالي فكيف تذيل المذكرة بتوقيعك؟ ورد الرئيس شمعون: «لا تظلمني، صباحاً أمر على المجلس وأشرح لك الموضوع».

في اليوم التالي قال لي: أنا وزير في حكومة الرئيس كرامي وهو أصدر مذكرة مخالفة للدستور ومخالفة للقانون ولكن أين تصبح هيبة رئيس الحكومة أمام الموظفين في وزارة المال وحكومته لو كتبت أنا «لرفض التنفيذ» بسبب المخالفة الدستورية والقانونية؟ العلاج الحقيقي هو أن أكتب أنا «للتنفيذ» ونسعى أنا وأنت مع الرئيس كرامي ليعود عن مذكرته بإرادته. وعندما نعجز عن إقناعه نصبح في مواجهة معه. أما الرفض قبل أن نسعى معه فيعني أننا هدرنا هيبة رئيس الحكومة مجاناً.

لم تكن العلاقة بين شمعون وكرامي آنذاك جيدة لا بل كانت متوترة. اتصلت بكرامي لاحقاً والتقينا فرويت له ما حصل. وكانت تلك الحادثة بداية علاقة جديدة جيدة وحميمة بين الرئيسين تطورت إلى ما سمي اللقاءات حول ورقة عمل كنت على اطلاع عليها في ١٩٨٧.

■ **والشيخ بيار الجميل؟**

ـ إنه شخصية مميزة. كان كتائب يحترم القانون لكنه كان متصلباً جداً لدى أي بحث في أي إصلاح للنظام السياسي. كان هناك نوع من التشبث بفكرة ان هناك من يحتكر اللبنانية وأن

هناك من يحتكر العروبة وما نشأ عن ذلك من كلام من نوع «ماذا تعطيني لأقول عن نفسي إنني لبناني وماذا تعطيني لأقول إنني عربي». وهذا ناتج من الخلل في التكوين الوطني. كان بيار الجميل يشكل بهذا المعنى عائقاً أساسياً أمام أي بحث لأنه كان يعتقد بأن التيار اليساري هو وراء الدعوة إلى الإصلاح ويعتبر أن هذه الإصلاحات هدامة ومخربة.

وكنت من أوائل الذين طرحوا في مجلس النواب موضوع إصلاح النظام، وقبل ذلك في ١٩٧٣ في جلسة لم يكتمل نصابها كنت أجلس في حلقة ضمت الرئيس صائب سلام والعميد ريمون إده والشيخ مخايل الضاهر ومجموعة من الزملاء. قلت آنذاك إن هذا الميثاق الوطني نحمّله أكثر مما يحتمل وعندما يحلو لنا نقول بالميثاق الوطني غير المكتوب وعندما يحلو لنا نقول بالدستور المكتوب... وهكذا نعلّم أولادنا شيئاً ونطبّق شيئاً آخر. كان الشيخ بيار يجلس في المقاعد الخلفية، ويبدو أن صوتي كان مرتفعاً أثناء النقاش وكنت أقول إذا كان هذا الميثاق هو الميثاق المطلوب فلنكتبه ولندرّسه لأولادنا وأبنائنا في الجامعات والمدارس. أما إذا كان الميثاق غير المكتوب لا يلائم بلدنا فلنفتش عن الميثاق الذي يتطابق مع الدستور. هذا الكلام أثار حفيظة الشيخ بيار فنهض من مقعده وجاء نحوي ليقول: «مون شير، مون شير أنت تريد أن تخرب لبنان».

كان فعلاً يعتبر أن التيار اليساري أو المد العربي هو الذي يريد ضرب هذا النظام الذي هو المدافع عن الكيان.

■ **والعميد ريمون إده؟**

ـ العميد إده علاقتي به قديمة جداً، ذلك أن والدي كانت تربطه علاقة جيدة بوالده أيضاً ناتجة من جبل لبنان. وبالتالي منذ أن تعاطيت بالشأن العام، عندما كنت رئيساً للبلدية في سن مبكرة، كانت لي علاقة معه. وكذلك عندما تولى وزارة الداخلية عام ١٩٥٨ لعب دوراً كبيراً ومميزاً في فرض هيبة الدولة في منطقة بعلبك ـ الهرمل. وبالتالي استطاع أن ينجز عملية استئناف مهرجانات بعلبك الدولية في تلك السنة، أي في سنة ١٩٥٩، فقط لإعلام العالم بأن لبنان عاد إلى حالته الطبيعية. وكان يحضر إلى بعلبك يومياً، لا ليحضر الحفلات أو المهرجانات التي تقام في قلعة بعلبك، بل كان يأتي ليقف عند مدخل القلعة ويسهر على أمن الناس. وكان يستحضر قوى الأمن بوصفه وزيراً للداخلية.

فهو، كرجل دولة، فاعل على الأرض. برهن على أنه من طراز رفيع وكان له حظ كبير في أن يصبح رئيساً للجمهورية عام ١٩٧٠ لولا ترشيح الرئيس شمعون، خصوصاً أنه كانت هناك مساع للتقريب بين ريمون إده وكمال جنبلاط، وشاركت في هذه المساعي أنا وجوزيف سكاف والأستاذ غسان تويني. ويبدو أن الرئيس شمعون، بحكم صلته بالأستاذ غسان تويني،

علم بأن اتفاقاً حصل في منزل جوزيف سكاف بين المرحوم كمال جنبلاط والعميد ريمون إده.

■ هل أيد كمال جنبلاط ترشيح العميد إده سنة ١٩٧٠ قبل انتخاب سليمان فرنجية؟

ـ نعم، أيد، ولكن كما نعلم كان هناك النهج والمعارضة. النهج كان يضم ٩٥ نائباً من أصل ٩٩، والمعارضة ٤٠ نائباً. وكان المطلوب أن تؤيد المعارضة العميد إده بما فيها كتلة الرئيس شمعون ومناصروه، وأن تتوافر أصوات كمال جنبلاط وكتلته وبعض نواب النهج، وعند ذلك سيرتفع حظ وصول العميد إده. لكننا فوجئنا في اليوم التالي بأن الرئيس شمعون بادر إلى ترشيح نفسه لإحباط هذا الاتفاق واستطاع إحباطه فاتجهت الأنظار إلى الرئيس فرنجية.

■ هل نستطيع القول إنك كنت أيضاً في ١٩٨٨ مع وصول ريمون إده إلى الرئاسة؟

ـ كنت مع انتخاب ريمون إده. لكن ريمون إده كان ضد انتخاب ريمون إده. لنتمثل الأمر بشكل مختصر. يريد العميد إده من اللبنانيين ومن السوريين ومن كل القوى أن نخوض معركة وننتصر محلياً على «القوات اللبنانية» التي كانت تعارض بشكل عنيف. وعلينا أيضاً أن نغلب عدداً من الأحزاب اللبنانية ثم نتغلب على إسرائيل التي تقيم الحواجز وتعتبر ريمون إده من

ألدّ أعدائها. ونتغلب على أميركا التي لا تعتبر ريمون إده صالحاً للمرحلة. وبالتالي قد نكون وطدنا أنفسنا على خوض مثل هذه المعركة. لكن الذي يثبط الهمة هو أنه بعد الانتصار على كل هذه القوى يأخذ العميد إده مهلة شهرين ليستشير نفسه ثم يجول على أميركا وروسيا وبريطانيا والصين للسؤال عن تطبيق القرار ٤٢٥ واتفاق الهدنة وإخراج كل القوى غير اللبنانية من الأرض اللبنانية. ثم إذا تأكد من صدق النيات يستجيب لندائنا، وإذا لم يقتنع يقول لنا بعد شهرين لا تؤاخذونا أنا رافض الرئاسة. وعند ذلك نكون بلا جميل لدى إده إذا انتصرنا لأنها من واجبنا وإذا فشلنا نكون ارتكبنا الإثم الكبير.

لا أظن أنني أتجنى على العميد إده ومعروف كم قاتلت وجاهدت من أجل إيصاله إلى الرئاسة، ولست وحدي في ذلك فقد كان هناك عدد من الزملاء والقادة اللبنانيين يشاطرونني رأيي في صفات العميد إده الكثيرة على رغم خلافنا معه عندما يقاتل ريمون إده.

■ هل شاركت في الاجتماع الحاسم لترشيح سليمان فرنجية؟

ـ نعم وقد عقد في منزل عبداللطيف الزين في عاليه، وكنا قد كتبنا ورقة نصها المرحوم والدي علي وعلى جوزيف سكاف، تقول إننا نحن الموقعين أدناه نرشح الوزير سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية. وحمل الوزير سكاف، رحمه الله، الورقة

وطرحها في ذلك الاجتماع الذي ضم الرئيس صائب سلام والرئيس فرنجية والوزير كمال جنبلاط وعدداً من المعارضين من «تكتل الوسط». وطبعاً كنت أنا وجوزيف سكاف خارج المجلس إذ أسقطونا عام ١٩٦٨، لكننا بقينا في تكتل يعمل وله نواب.

■ **هل حضر كامل الأسعد الاجتماع؟**

ـ نعم. في منزل عبداللطيف الزين في عاليه فوجئ الجميع بطرح الوزير سكاف وبقوله: إما أن نوقع هذه الورقة وإما انتخاب الياس سركيس. وبالفعل لم يتحرك الرئيس فرنجية إطلاقاً من مقعده وفوجئ بهذا الطرح الذي كان فكرة المرحوم والدي. وأبدى الوزير كمال جنبلاط موافقته على هذا الطرح طبعاً بعدما أسقط موضوع ترشيح العميد إده، لكنه أخذ مهلة للتشاور مع كتلته وحزبه وامتنع عن إبداء الرأي إلى حين العودة إلى كتلته وحزبه.

■ **هل أيد كمال جنبلاط انتخاب الياس سركيس عام ١٩٧٦؟**

ـ لا. انقسمت كتلة كمال جنبلاط. هو قاطع شخصياً وغاب عن الجلسة. ومن كتلة بعلبك الهرمل غبت أنا وحسن الرفاعي وألبير منصور، بينما حضر الزميل طارق حبشي وانتخب الرئيس سركيس. والتقينا في منزل الرئيس صائب سلام مع بقية المقاطعين وسمونا «المقاطعون».

■ **كيف هي علاقتك مع الرئيس صائب سلام؟**

ـ جيدة. دائماً كانت جيدة. وأيضاً من العلاقات الموروثة عن والدي.

■ **هل يحتل تقي الدين الصلح لديك منزلة استثنائية؟ هل كان رئيس حكومة استثنائياً، أو شخصية استثنائية؟**

ـ طبعاً، إنه ذو أفق واسع ومتفوق على الآخرين. قد لا تكون لديه القوة الشعبية، أو الصبر على التعاطي الشعبي، لكنه كان رجل دولة من طراز رفيع جداً. وتستطيع أن تعتبره مسؤولاً ولو كان خارج المسؤولية، فهو يتصرف بمسؤولية في كل الظروف. وكان مخلصاً جداً للمبادئ الأساسية. التاريخ سينصف الرئيس تقي الدين الصلح. الصورة المأخوذة عنه أنه رجل مناورات وتسويات ليست صحيحة، فهو من أصلب من تعاطيت معهم في القضايا الجوهرية والمبدئية. ولا يتزحزح أبداً عن المواقف الوطنية الأساسية. وشجاع لجهة مقاومته كل العوامل.

كنا نلتقي رؤساء الحكومات السابقين وما كان يسمى جبهة المحافظة على الجنوب في إطار شيء اسمه التجمع الإسلامي. وكان الرئيس تقي الدين الصلح من هذا التجمع. وفي فترات لاحقة أصبحنا عندما نجتمع وفي غالب الأحيان نجلس، الرئيس تقي الدين الصلح وأنا في زاوية من مكان الاجتماع. بداية كنا نجتمع في الطبقة العلوية من مستشفى البربير، وبعض

الأوقات في منزل شقيق الوزير جارودي، أو في منزل الرئيس سلام. وكنت والرئيس الصلح نلتقي لنكتب البيان.

وأذكر حادثة معبّرة عن سرعة خاطر الرئيس الصلح: عند تشكيل التجمع الإسلامي انزعجت الحركة الوطنية وأعضاؤها خصوصاً الشخصيات البيروتية واعتبرت التجمع مناهضاً لعملها. وجاء النائب الدكتور أسامة فاخوري الذي كان من شخصيات الحركة الوطنية ليقول لأعضاء التجمع الإسلامي: نحن نمثل المقاتلين فمن تمثلون أنتم؟ وبادره الرئيس تقي الدين الصلح: «طيب أنتم تمثلون المقاتلين ونحن نمثل المقتولين»!

وأذكر حادثة أخرى معبرة: أثناء الاجتياح الإسرائيلي ونحن محاصرون في بيروت والقصف الجوي مستمر، كنا نجتمع في منزل الرئيس سلام في فترة الهدوء عند الحاجة ونصدر الموقف يومياً أو كل يومين على مدى فترة الحصار.

ولكن كثرت الإصابات بين الناس وانقطعت المياه والإمدادات وفقد الغذاء وأصبحت الحالة لا تطاق. وكان المراد من الحصار دفع الناس إلى موقف سلبي من المقاومة الفلسطينية. وبالفعل أصبح الناس يعتبرون أن هذا القصف إنما يأتي بسبب الوجود المسلح الفلسطيني وأصبحت النظرة سلبية. فضلاً عن أن القبول بدخول الإسرائيليين أصبح يتسرب إلى الناس.

كان واجبنا الوطني يدعونا إلى حضهم على الصمود ومواجهة

الاجتياح، غير أنه لم تكن لدينا القوى اللازمة من المسلحين لتدافع عنا لو واجهنا مشاعر الناس وبينهم من يفقد ولده أو أحد أفراد عائلته. كانت العواطف جياشة ولا تقبل مخاطبة العقل. ووصلنا إلى وقت أصبحت عملية القول للناس «اصمدوا في وجه الموت والموت المحقق» نوعاً من المغامرة.

بعد الاجتماع انتحينا في غرفة صغيرة في منزل الرئيس سلام، وبدأنا نفتش عن صيغة. الموقف الوطني يقضي بالقول بالصمود وهذا القول سيصدم الناس وسيعرضنا لانتقاد شديد أو لحالة غضب من الشارع. وفي خضم هذا التفتيش، قال لي الرئيس الصلح شو رأيك نقول «نحيي صمود؟» بمعنى أننا لسنا نحن الذين قالوا اصمدوا. هم صامدون ونحن نحيي هذا الصمود. لكن المخرج لم يتعارض مع المبدأ. هناك حسن تصرف ولكن ليس هناك تفريط بالموقف المبدئي.

■ كان خبيراً في التركيبة اللبنانية؟

ـ لا شك، فمثلاً هناك لقاء جمعنا به والوزير سكاف ومحمد شقير. وكان الاتجاه ترشيح الشيخ بشير الجميل لرئاسة الجمهورية. فكان تعبير الرئيس تقي الدين الصلح، وطبعاً هذا موقفنا أيضاً لكنه هو الذي أبلغ الموقف، ومفاده أنه في كل الدول العربية لم تتسلم الأصولية الإسلامية مقاليد الحكم، حتى في مصر حيث بلغت قوة الإخوان المسلمين في فترة من الفترات في عهد الملك فاروق مبلغاً كبيراً لكنها لم تستطع أن

تصل إلى رأس الحكم فكيف يمكن خرق هذا المبدأ العام في طول المنطقة العربية وعرضها بأن تصل الأصولية المسيحية إلى رأس الحكم؟ هذا غير طبيعي ولا نعتقد بأنه سينجح، وعلى المخلصين، خصوصاً من المسيحيين، أن يصارحوا الشيخ بيار الجميل بهذا الأمر للإقلاع عن فكرة ترشيح نجله الشيخ بشير.

وللمرة الأولى سيعرف الناس أنني التقيت الشيخ بشير الجميل بعد الاجتياح الإسرائيلي بناءً على إلحاح صديقي الدكتور طارق حبشي وفي منزله في النقاش. وقبل ذلك قُصف منزلي في خلدة. وحصلت المعارك الأساسية في الاجتياح الإسرائيلي في خلدة. وتزايد القصف على منزلي ولم يعد أمامي سوى طريق واحد هو طريق سوق الغرب لأذهب إلى بعلبك أو أخرج عائلتي إلى بعلبك ثم أعود إلى بيروت. وصلت إلى عاليه، لاحقنا القصف وقُصفت البناية الملاصقة للمبنى الذي كنا فيه فاضطررنا إلى العودة إلى الحازمية حيث الطريق الوحيد المفتوح، وكان هناك قصف على منطقة بعلشميه، أي ليس هناك مجال للذهاب إلى البقاع. وعندما وصلت إلى الحازمية اتصلت بالدكتور طارق حبشي فجاء وأخذني إلى منزله فبتّ تلك الليلة. ويومها نادى أحد الحضور علي بأن هناك مخابرة هاتفية لي. جئت إلى الهاتف فقال: أنا بشير الجميل، أهلاً وسهلاً، المنطقة منطقتك. غداً سآتي أنا أو سأرسل أحداً لتأمين انتقالك. فشكرته على هذا الهاتف ولم أكن قبل ذلك على أي اتصال به، ولا أعرفه إلا مرة عند تعزية والده الشيخ بيار بوالدته

اذ رأيت الشيخين أمين وبشير علماً أن الشيخ أمين تربطني به صداقة لأن مكتبه كان في البناية الملاصقة للبناية التي يقع فيها مكتبي في شارع كليمنصو. وكنا على علاقة جيدة في المجلس وفي الجيرة. أما الشيخ بشير فلم أكن أعرفه. صباحاً انتقلت إلى بيروت وأرسلت عائلتي إلى بعلبك.

■ **إذاً لم تلتقه، فقط كلّمته على الهاتف؟**

ـ لم أره حينها وتحدثنا على الهاتف فقط. بعد فترة، عندما انتهى حصار بيروت ألحّ عليّ صديقي طارق حبشي، وأنا فعلاً أضعف أمام طلباته، خصوصاً أنه لا ينطلق من أي خلفية سياسية بل يستنسب أحياناً أشياء قد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة. ألحّ في طلبه فوافقت وذهبت إلى النّقاش والتقيت الشيخ بشير.

■ **ماذا حصل في اللقاء؟**

ـ بادرت الشيخ بشير: إذا كان الموضوع موضوع انتخابات الرئاسة يجب ألا يضيّع أحدنا وقت الآخر، لا يمكن أن أنتخبك. فقال: أصلاً هذا اللقاء طلبته انطلاقاً من أن أحداً لا يستطيع أن يلغي أحداً في لبنان. وجميعنا مسؤولون عن إنقاذ البلد. طبعاً كانت تشكلت هيئة الإنقاذ برئاسة الرئيس سركيس. ووافقت أنا على الهيئة وشجعتها.

وقال: بالمناسبة طالما أنك فتحت هذا الحديث لماذا لا

تنتخبني؟ صحيح أن اللقاء ليس لهذه الغاية لكنك طرحت الموضوع. قلت: أولاً لأنني لا أعرفك. وثانياً لأنك، في نظري وفي نظر الكثيرين، مسؤول عن مسألة الذبح على الهوية ومسؤول عن السبت الأسود ومجزرة إهدن ومجزرة الصفرا. وإذا تصرفت هكذا مع المسيحيين فكيف ستتصرف مع غيرهم؟ وإذا كانت العلامات المطلوبة لك عشرة، هذه أربع علامات ضدك ولا يوجد في ذهني أي علامة لك. وسأبادر إلى القول إنني أقترح التمديد سنتين للرئيس سركيس وخلال هذه الفترة أنت تطرح نفسك في أجواء السلام. قد تكون هناك جوانب لا يعرفها الناس وعند ذلك تصبح مقبولاً، ولكن الآن مسألة قبول الناس بترشيحك أمر مستحيل.

وردّ فوراً: أنا مع التمديد سنة للرئيس سركيس. فقلت هل تتكلم جدياً؟ أجاب: اسأل عني أنا لا أكذب وألتزم كلامي. وبالفعل استندت إلى هذا القول وتداولنا في كلام كثير. من هذا الكلام مثلاً عندما أراد أن يعبر عن رأيه كانت واضحة عنده أنه هو من الفريق المنتصر، وأن المنتصر والمنهزم لا يمكن أن يكونا على قدم المساواة. وقال: نحن دفعنا خمسة آلاف شهيد دفاعاً عن لبنان، فقلت له أنت بدأت الغلط، هناك مئة ألف شهيد، إذا لم تسمّ سوى ٥ آلاف منهم شهداء فكيف تريد أن تكون ممثلاً كل لبنان؟ وكيف تطرح نفسك لحكم كل الناس؟

ثانياً، إذا كنت تعتبر أنك منتصر، فأنت مخطئ. ستكتشف أن

الإسرائيلي الذي أوحى إليك بأنك منتصر هو المنتصر الحقيقي. جميعنا مهزومون وستكتشف سريعاً أنك أكبر المهزومين فالهزيمة لنا جميعاً. والسعي ـ إذا كان هناك من سعي ـ يجب أن يكون من قبلنا جميعاً للخلاص من هذه الهزيمة ولا يمكن الخروج منها إلا بوحدة لبنان ووحدة الصف اللبناني.

وافترقنا من دون تحديد موعد جديد للقاء، ولكن مع القول بلقاءات جديدة. وعرضت الموضوع على عدد من القيادات ووافقوني الرأي بالتمديد سنة للرئيس سركيس.

وذهبت إلى الرئيس سركيس وطرحت معه الموضوع فانفجر غاضباً. ولم أعرف سبباً لهذا الغضب إلا بعد فترة طويلة، عندما لم يعد رئيساً للجمهورية وأصبح مريضاً. ذهبت لأزوره فقال لي يومها: «أنت ظلمتني» لأنه عندما غضب قال: «شو بدك تقلي، إذا لم أجدد يخرب لبنان؟ ليخرب، لا أريد أن أجدد». وبالفعل أنا أجبته اجابة كانت قاسية، كما يبدو، إذ قلت «إن لبنان لم يسئ إليك، انتخبك رئيساً للجمهورية ولا يجوز أن تقول ذلك». فقال: «آسف أنا مش وارد أبداً». عندما التقيته بعد مرضه، قال لي: «أنت ظلمتني. عندما فاتحتني بموضوع التمديد، أنا كنت قبل سنة أصاب بنوبات وكنت أخاف أن يطرح أحد من خصومي أنني لم أعد صالحاً لسبب مرضي. وكان هذا الموضوع يطغى على تفكيري إذ أنني كنت

أنتظر الساعة التي أتمكن فيها من الخروج من الرئاسة من دون أن أتعرض لمثل هذا الموقف».

بعدها سمعت كلاماً للشيخ بشير الجميل في لقاءات صحافية غاب عنها أي كلام عن منتصر ومهزوم، وصار يتكلم عن اللبنانيين وعن مئة ألف شهيد ويقول كلنا معاً سننقذ لبنان. اختلف الخطاب السياسي تماماً، قبل انتخابه رئيساً للجمهورية وبعد انتخابه.

التقيته مرة ثانية على مائدة الغداء عند الصديق طارق حبشي في حضور السيدة صولانج زوجته قبل انتخابه. والطرفة أنه قال لي: زوجتي لا تشتغل بالسياسة فإذا كنت لا تريد أن تتغدى معنا فليست هناك مشكلة. هنا لا بد من التذكير بأنني عندما قلت له أنت بطل مجزرة كذا، جاوبني «وأنا لن أدافع عن نفسي، التاريخ سيكشف ما الذي يجري، أود أن أقول لك إننا في موضوع الصفرا كنا ندفع بالتقسيط، فدفعناهم بالجملة. أتيت إليك الآن إلى منزل الدكتور طارق أقود سيارتي من دون مرافق. قبل الصفرا لم أكن أستطيع التجول من دون مرافقين. وفي كل الأحوال لا أريد أن أدافع عن نفسي في هذا الموضوع».

■ شاركت في انتخاب أمين الجميل؟

ـ كلنا شاركنا في انتخاب أمين على أمل أن نعمل شيئاً بموافقة

الجميع، حتى الذين لم يشاركوا لعجزهم عن الوصول بسبب العوائق الأمنية، مثل الرئيس كرامي وغيره. لكن القرار كان إجماعياً. بعد اغتيال الرئيس بشير الجميل صارت هناك ردة فعل لمواجهة إسرائيل وكنا وما زلنا نعتقد بأن اللقاء الأخير بيني وبين الشيخ بشير كان واضحاً أنه وصل إلى قناعات بخصوص إسرائيل مختلفة تماماً عن قناعاته السابقة. وكان يسأل كيف الطريقة للخلاص من الموضوع الإسرائيلي.

■ قلت إن غسان تويني شارك في ترتيب الاتفاق بين ريمون إده وجنبلاط في ١٩٧٠، هل علاقتك قديمة معه؟

ـ طبعاً والدي كان صديق والده وعلاقتي به موروثة. وما زلت أكرر أن صداقاتي التي بنيتها من دون جهد أهلي قليلة قياساً على الصداقات التي ورثتها. طبعاً استمرت هذه الصداقة مع الأستاذ تويني.

■ صداقة سياسية؟

ـ الصداقة تتخطى السياسة. أحياناً نكون متفقين في موقف سياسي، وأحياناً مختلفين، لكن هذه الصداقة لها مكان. هناك محطات كثيرة مهمة منها ما سمي في بعبدا ليلة الكونياك.

■ كانت بينك وبين الإمام موسى الصدر علاقة حميمة، ماذا لديك من معلومات عن اختفائه؟

ـ أنا من الذين شاركوا في تأسيس حركة المحرومين وشاركت مع الإمام الصدر في تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وبالتالي في ما كان يسمى الجبهة الوطنية للمحافظة على الجنوب. . . وكلها أطر تصب في خط واحد هو تكريس وحدة لبنان والعيش المشترك المسيحي ـ الإسلامي وإقامة دولة العدالة والمساواة، الدولة القادرة والضامنة لحقوق الناس وحرياتهم، أي الدولة المدنية. قلت ذلك لأن لاختفاء الإمام الصدر علاقة بما كان يمثله من قيم ومن خط وكان لا بد من إخفائه على أيدي المعادين لهذا الخط. الجميع يعلمون أن الإخفاء تم على يد العقيد معمر القذافي وهو أمر لا يقبل الجدل أو التأويل أو الشك. ذهب الإمام الصدر مع رفيقيه إلى ليبيا تلبية لدعوة رسمية وأخفي هناك. وحاول النظام الليبي ـ والأصح اللانظام الليبي اذ لم يثبت حتى الآن أن هناك نظاماً في ليبيا ـ الادعاء أنه سافر إلى روما لكن رأس النظام عاد وتراجع أمام عدد من رؤساء الدول العربية عن مثل هذا الادعاء. وقد أثبت القضاء الإيطالي بما لا يقبل الجدل أن الإمام الصدر لم يحضر إلى روما.

خلال وجوده في ليبيا، التقى الإمام الصدر القذافي. وتفيد المعلومات بأنه أخفي بعد اللقاء ليلة ٣١ آب/اغسطس ١٩٧٨. كانت للإمام الصدر مواقف واضحة لجهة وحدة لبنان وتطبيق القرارات الدولية وإنهاء الوجود الفلسطيني المسلح. إلى الآن هناك أنباء متضاربة عن مصير الإمام، وطول مدة الإخفاء يجعل

الآمال ببقائه حياً ضعيفة. لكن أحداً لا يستطيع الجزم بأنه قتل أو لا يزال حياً. المدة الطويلة وعدم ظهور معلومات ذات قيمة تجعلان كفة الجانب السلبي ترجح.

■ هل هناك شركاء في عملية إخفائه؟

ـ هناك تحريض واضح من جهات أخرى. وهي جهات غير لبنانية بعضها فلسطيني. هناك معلومات عن تحريض وقد يكون لجهات غير فلسطينية وغير عربية دور. لكن دور القذافي معروف في إحداث الثغر، وكان له الدور الأبرز في بداية المحنة اللبنانية.

■ وتولّيك لرئاسة حركة «أمل»؟

ـ فور إخفاء الإمام الصدر لبستني المسؤولية من دون أن ألبسها. طبعاً هناك مثل متداول في منطقة بعلبك يقول «إن المراجل حيا» أي أن الشخص يستحي من شيء فيقدم على الشجاعة. لم يكن تولي رئاسة «أمل» يومها من الأمور السهلة وبالتالي لا أستطيع أن أهرب منه، وعندما وصلنا إلى فترة يستطيع الجميع ممارسة المسؤولية فيه استقلت في نيسان/ ابريل ١٩٨٠.

■ واضح أن دمشق دعمت وصولك إلى رئاسة المجلس في ١٩٨٤؟

ـ الواقع أننا كنا في المعارضة أي معارضة اتفاق ١٧ أيار/ مايو اللبناني ـ الإسرائيلي. وبديهي أن سقوط الاتفاق كان يستدعي تغييرات أساسية خصوصاً مع مجيء حكومة اتحاد وطني. رشحت نفسي لرئاسة المجلس وطبيعي أن تكون سورية إلى جانبي وليس إلى جانب غيري وانطلاقاً من الموقف المبدئي. وإنني أعتز بعلاقتي بالمسؤولين السوريين خصوصاً الرئيس حافظ الأسد، الذي أعتبره قائداً عربياً تاريخياً ومن الواجب الاستفادة من هذه الفرصة التاريخية التي يمثلها وجود الرئيس الأسد وأكبر دليل ما شهدته الأحداث وما تشهده من أنه يمثل الآن ضمير الأمة العربية بأسرها من حيث الموقف ومن حيث إنه يمتلك سياسة واقعية لا تفرّط بالحق وتبقي دائماً على الأمل. من هنا نرى كيف أن وجهة نظرنا ثبت صحتها في ضوء تطور الأحداث فضلاً عن اعتقادي، وهذا خطي، أنه لا بد للبنان من أن يقيم علاقة مميزة مع سورية وبالتالي ليست هناك إمكانية لبقاء لبنان واستمراره على قاعدة العداء لسورية.

■ كان لكم موقف من «الاتفاق الثلاثي» بين الميليشيات الثلاث الكبرى، هل يمكن توضيح هذا الموقف؟

ـ لا بد لي من الإيضاح لأن كثيرين احتسبوا الاتفاق الثلاثي على دمشق، وبالتالي فإن الجهة الأميركية والجهة السوفياتية وبعض الدول الكبرى أفشلت الموضوع باعتباره انتصاراً لدمشق في حين أن دمشق حاولت أن تجمع هذه الميليشيات وأن

تدفعها لوضع سقف واضح لمطالبها. لقد دعينا إلى دمشق للتشاور في شأن الاتفاق الثلاثي، أنا والرئيس المرحوم رشيد كرامي والرئيس المرحوم تقي الدين الصلح والرئيس سليم الحص والرئيس رشيد الصلح. رفضنا آنذاك منطق الميليشيات جملة وتفصيلاً وكان هناك رفض شديد لعدد من النقاط التي وردت في الاتفاق الثلاثي. وكان جواب المسؤولين السوريين، خصوصاً الرئيس الأسد، أن ما هو موضوع يشكل سقفاً لمطالب (زعماء) الميليشيات وبالتالي سيكون بينكم وبينهم تعاقد يقضي بأن يسلموكم أسلحتهم خلال سنة وأنتم في أطركم الدستورية تدرسون هذه المطالب، وما توافقون عليه في مجلسي الوزراء والنواب هو الذي سيمشي، والمهلة أمامكم ثلاث سنوات بينما مهلة تسليم أسلحة الميليشيات سنة واحدة. وقد اعتبرنا أن الاتفاق مقبول بهدفه الرامي إلى وقف الحرب ولكنه غير مقبول بتفاصيله.

وللأمانة أقول إننا بعد انتفاضة سمير جعجع وايلي حبيقة ضد الرئيس أمين جميل، كنا، الرئيس المرحوم رشيد كرامي وأنا، نذهب في المروحية إلى بكفيا والى بعبدا بعدما قُطعت الطرق لنؤكد تضامن الشرعية. وعندما حصل الاتفاق الثلاثي التقيت الرئيس أمين الجميل بحضور الأستاذ غسان تويني. وكنت قد اعتقدت أنني وفقت في إقناعه بأن يقبل بمبدأ الاتفاق الثلاثي وكان مدعواً لزيارة دمشق للتباحث معه بعدما جرى التباحث معنا في الاتفاق الثلاثي. وكان الأمل في أن يقف الموقف الذي

وقفناه أي القول بأن هدف الاتفاق مقبول ويؤدي إلى وقف الحرب وأما تفاصيل الاتفاق فهي موضع مناقشة وبحث في الأطر الدستورية. بدا لي خلال اللقاء أنه وافقني الرأي ولكن أريد أن أقول إن الوزير تويني سافر يوم جمعة إلى الخارج وكان من المقرر أن يزور الجميل دمشق الاثنين. وأرسل لي تويني بطاقة يطلب مني فيها تجديد السعي مع الرئيس الجميل لأن يكون إيجابياً.

■ **هل كان تويني مع القبول بمبدأ الاتفاق؟**

ـ نعم بالمبدأ، أي وقف الحرب، وأما التفاصيل فوفقاً لما جرى الاتفاق عليه بين المسؤولين السوريين من جهة وأنا والرئيس كرامي والرئيس الحص من جهة أخرى، أي أن التفاصيل تبحث في الأطر الدستورية. وقد اعترضنا سلفاً على عدد كبير من النقاط بمعرفة المسؤولين السوريين. ونقلنا اعتراضاتنا إلى الرئيس الجميل أيضاً.

أثناء المفاوضات بين الميليشيات وصلت إلى الرئيس الجميل رسالة من المسؤولين السوريين حول أمور مبدئية. وكان الرئيس الجميل يبدي امتعاضه مما يجري في لقاءات الميليشيات. في هذا الاجتماع في قصر بعبدا بادر الرئيس رشيد كرامي الرئيس الجميل بالقول: أنا أنصح بأن تضع يا فخامة الرئيس تصورك للوفاق الوطني وهذا التصور الذي تضعه أنت ونتفق عليه، يتبناه الرئيس الحسيني ويطرحه على أنه تصوره. لم يفاتحني كرامي

قبل ذلك بمثل هذا الاقتراح، ومعناه أن التصور الذي يضعه الرئيس الجميل ويحدد فيه مفهومه للوفاق أتبناه أنا حسب رأي الرئيس كرامي. . . وأقدمه إلى المسؤولين السوريين على أنه تصوري. وقال كرامي للجميل: إذا قُبِل التصور واستطاع المسؤولون السوريون إقناع الفرقاء به نتبناه جميعاً. وإذا رُفض هذا التصور فتكون أنت وأنا أيضاً في حل منه، ولا يلزمنا الرئيس الحسيني به. والتفت الجميل نحوي مستوضحاً مدى قبولي بمثل هذا الطرح، فبادرت إلى القبول فوراً. وعندما غادرنا، بعد يومين، أرسل لنا الجميل مستشاره المرحوم محمد شقير ليطلب منا أنا والرئيس كرامي تعيين مندوبين للبدء بمباحثات تمهيداً للتوصل إلى تصور. طبعاً اتصل بي الرئيس كرامي وأبلغني استياءه من هذا التحول أو من هذه الممانعة. وباعتقادي أنه لو حصل ذلك لما كنا وصلنا إلى الاتفاق الثلاثي.

■ **هذا قبل الاتفاق الثلاثي؟**

ـ هذا أثناء المشاورات في الاتفاق الثلاثي. وبعد الاتفاق الثلاثي قلت ماذا حصل.

■ **ماذا بقي من محطات مهمة في الثمانينيات قبل الوصول إلى ١٩٨٨؟**

ـ طبعاً لا بد من المرور باجتماعات سباق الخيل، وهي كانت

بمبادرة من الرئيس الجميل، وبتلبية فورية من الرئيس كرامي، وكلنا دعمنا هذا الاتجاه. طبعاً بعد الاتفاق الثلاثي ظهر طرح غريب من نوعه من قبل الميليشيات ومفإده أنهم على استعداد لأن يسلموا الدولة المرافق والمرافئ وأن يمكنوها من جباية الرسوم والضرائب وأن يرفعوا أيديهم عن الحواجز ويتخلوا عن الجبايات مقابل أن تقتطع الدولة مبالغ من واردات المرفأ وتعطيها إلى الميليشيات من أجل الاستمرار في دفع الرواتب. وهنا التفت الرئيس كرامي وقال: «وبعدها دولة؟ شو اسما الدولة اللي بتدفع خوّة للميليشيات».

بلغت المناقشات الطريق المسدود. فعندما توصل البحث إلى نتائج أساسية، وبعدما كان أسلوب اللقاءات في دمشق قد رفض إذ بالمعترضين على اللقاءات في دمشق يقولون إنه إذا كان هناك بحث حقيقي وبت بنقاط حقيقية فلا بد من بتّها مع دمشق.

■ **هناك محطة أخرى تتمثل في عودة القوات السورية إلى بيروت إثر المعارك التي دارت فيها بين قوات حركة «أمل» وقوات الحزب التقدمي الاشتراكي، فماذا حصل آنذاك؟**

ـ في شباط/فبراير ١٩٨٧ اندلع القتال في غرب العاصمة وتحول قتالاً من بيت إلى بيت وكادت بيروت بشقها الغربي أن تحترق. اتخذنا موقفاً صارماً في مواجهة الميليشيات وتحديداً لجهة المطالبة بإخراجها من بيروت. هذا الموقف كان مشتركاً

بيني وبين الرئيس رشيد كرامي والدكتور سليم الحص وكان وزيراً في حكومة الرئيس كرامي والوزير الرئيس عادل عسيران. وقفنا بحزم ضد الاقتتال وضد الوجود المسلح. أجريت يومها اتصالاً بالأستاذ غسان تويني الذي كان في باريس وعلى اتصال بالرئيس الجميل الذي كان موجوداً في فرنسا في شباط ١٩٨٧، وطلبت من الأستاذ تويني ان يسأل رئيس الجمهورية عن الحل وقلت إننا نرى الحل بإدخال الجيش بكل قواه إلى العاصمة أو مطالبة القوات العربية السورية الموجودة على أرض لبنان بالدخول إلى بيروت لإنهاء هذا الاقتتال وإخراج الميليشيات. طلب تويني مهلة، وبعد ساعتين أجابني بأن رئيس الجمهورية لا يرى أي إمكانية لدخول الجيش اللبناني. توجه الرئيس كرامي والحص براً إلى دمشق وذهبت أنا إلى اليرزة واجتمعت بالعماد ميشال عون قائد الجيش وطلبت تأمين مروحية. وخلال الاجتماع مع عون عرضت فكرتين: **الأولى** دخول الجيش اللبناني، و**الثانية** دخول القوات السورية، إذ لم يكن هناك مجال إلا لواحد من هذين الحلين. لم يوافق العماد عون على إدخال وحدات جديدة من الجيش إلى الشق الغربي من العاصمة وأبلغني أن أقصى ما يمكن أن يفعله هو تأمين الذخيرة لوحدات الجيش الموجودة أصلاً في غرب العاصمة. واعتبر عون أن إدخال وحدات جديدة من الجيش سيثير نوعاً من الإشكالات الطائفية وسيصوّره البعض وكأنه خطوة لغزو هذه المنطقة وأنه لا يستطيع الزج بالجيش في وضع من هذا النوع.

عند ذلك توجهت بطائرة هليكوبتر إلى دمشق. وهناك التقينا في قصر الروضة، وطبعاً حصل اتصال مع نائب الرئيس الأستاذ عبدالحليم خدام والمسؤولين السوريين لأننا ذهبنا من دون موعد أو إعلام مسبق. وطرحت هناك فكرة أن نلتقي مع الوزيرين نبيه بري (زعيم «أمل») ووليد جنبلاط (زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي). طبعاً وقبل أن أستشير الرئيس كرامي والحص رفضت الفكرة، لأن لا بد من الاتفاق على إخراج الميليشيات وعلى التدابير الأمنية وموافقة الوزيرين على هذه التدابير، وإلا نبدو وكأننا أتينا من بيروت لنبرئ ذمة الذين أحرقوا بيروت يومها. علماً أن ذهابنا إلى دمشق اقترن ليس بموافقة وحسب، بل بمطالبة من قبل مفتي الجمهورية المرحوم الشيخ حسن خالد والشيخ محمد مهدي شمس الدين والرئيس تقي الدين الصلح وبالتالي ما كان يسمى باللقاء الإسلامي والمرحوم الدكتور نسيب البربير. وبالفعل عندما اتفقنا على طبيعة الإجراءات وعرض الموضوع على الوزيرين بري وجنبلاط ووافقنا التقينا وتواعدنا على اللقاء السبت التالي أي بعد التنفيذ. وهكذا حصل التنفيذ. وفي٢٢ شباط/ فبراير دعوت إلى لقاء حضره شيخ عقل الطائفة الدرزية اضافة إلى مفتي الجمهورية والرئيس كرامي والرئيس عسيران والرئيس الحص، ورسخنا فكرة استئناف العمل من أجل تحقيق الأمن والاستقرار ليس في غرب العاصمة فحسب بل انطلقنا من ذلك الاجتماع إلى المطالبة بكل العاصمة، وهو ما سماه الرئيس شمعون

«بيروت الإدارية» ولقاء قصر منصور، حيث استطعنا ان نجمع بعد ذلك التاريخ الحكومة وهي منقسمة على بعضها.

■ **كنت رئيساً لمجلس النواب حين شغر مركز رئيس الجمهورية في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٨ ماذا حصل وكيف؟**

ـ كان المجلس النيابي يجتمع كالمعتاد ثم دخلنا الفترة الدستورية لإجراء انتخابات رئاسة الجمهورية، أي خلال الشهرين اللذين يسبقان انتهاء ولاية الرئيس، وهناك سوابق ينبغي الالتفات إليها. كان جاك شيراك رئيساً للحكومة الفرنسية وبدأت المهلة الدستورية لانتخابات الرئاسة في فرنسا، فاعترض ميتران على ترشيح شيراك بالقول إن هذه الحكومة غير مؤهلة للإشراف على انتخابات رئاسية خصوصاً أن الانتخابات من الشعب. جميع فقهاء الحقوق الدستورية في فرنسا لم يشاطروا الرئيس ميتران رأيه وقالوا إنه كان عليه أن يسعى إلى تبديل الحكومة قبل حلول المهلة الدستورية لأن محاولة الرئيس ترتيب أمور تتعلق بما بعد الرئاسة خلال هذه المهلة تعتبر عملاً انقلابياً. وهناك تعبير في الحقوق الدستورية يقول إن الرئيس يصبح خلال هذه المهلة كالبطة العرجاء أي أنه صالح لتصريف الأعمال فقط.

عندما دخلنا في المهلة الدستورية في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٨٨ بعث الرئيس أمين الجميل إليّ برسالة أذاعها قبل أن تصلني

وهو يحملني فيها مسؤولية أي تلكؤ في إجراء الانتخابات الرئاسية. أجبت على هذه الرسالة بأن ليس هناك ما يبررها لأنني كنت أنتظر بفارغ الصبر الإعداد لانتخابات رئاسية جديدة خصوصاً بعدما تبددت الآمال بتحقيق وفاق وطني في عهد الرئيس الجميل ودخلنا في مأزق انقسام الحكومة وبالتالي انقطاع رئيس الجمهورية عن كل السلطات. في هذه الفترة وقبل ١٨ آب/أغسطس الذي حددناه موعداً لجلسة الانتخاب طلبت من رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص أن يؤمن الترتيبات اللازمة لحفظ الأمن وتأمين وصول النواب إلى مبنى قصر منصور (المقر الموقت لمجلس النواب آنذاك) من أجل إجراء الانتخابات. وحين لاحظت أن ثمة عراقيل بدأت تظهر في الأفق دعوت إلى اجتماع موسع يحضره رئيس الحكومة الحص ووزير الدفاع عادل عسيران ووزير الداخلية المرحوم عبدالله الراسي وقائد الجيش العماد ميشال عون والمدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عمر مخزومي. احتج رئيس الجمهورية واعتبر أن ليس هناك بين المجتمعين من يمثله، وأبلغ احتجاجه إلى الصديق غسان تويني الذي نقله إليّ فقلت إن لا مشكلة لأن وزير المال جوزف الهاشم، الذي يمثل الرئيس الجميل، عضو في مجلس الدفاع الأعلى ولا أمانع في دعوته، كذلك اعترض الجميل على وجود قائد الجيش في الاجتماع. وخلال الاجتماع تعهد العماد عون بتأمين الترتيبات.

بعدها زارني ريتشارد مورفي الذي كان مساعداً لوزير الخارجية

الأميركي لشؤون الشرق الأوسط، ومعه القائم بالأعمال الاميركي في بيروت سمسون وعدد من المسؤولين، وربما كانت إبريل غلاسبي بينهم أو نيوتن.

■ **ماذا قال مورفي؟**

ـ قبل اللقاء وصلتني من أصدقاء كانوا سابقاً في الإدارة الأميركية فكرة تقول إن إدارة الرئيس رونالد ريغان صارت في نهاياتها ولم تعد مؤهلة لتقديم الضمانات والتطمينات اللازمة للفرقاء من أجل تسهيل إجراء انتخابات رئاسية في لبنان وإنه في هذه الحالة لا تستطيع الإدارة الأميركية أن تكون فاعلة في إزالة الحواجز. عندما وصل مورفي سأل عن موعد الجلسة وأجبته، ثم سألته هل أزالت الإدارة الاميركية الحاجز الإسرائيلي من وجه القيام بانتخابات رئاسية لبنانية أم لا، فأجاب بكلام غير واضح مفاده أن الانتخابات يمكن أن تنجح. كررت السؤال فقال أن الاتصالات مستمرة مع إسرائيل. وقد نقلت هذا الكلام إلى عدد من النواب.

أعلن الرئيس سليمان فرنجية ترشيح نفسه فانتقل الدكتور سمير جعجع قائد «القوات اللبنانية» من القطارة إلى الكرنتينا وأكد أن كارثة ستقع إذا ما انتخب فرنجية. عندها زارني سمسون ورحت أسمع على لسانه كلاماً مزدوجاً فيه أنهم مع إجراء الانتخابات ومع المؤسسات الشرعية، في حين سمعت من النواب أنه أظهر في بعض أحاديثه ميلاً إلى معارضة إجراء الانتخابات.

■ **هل فوجئت بترشيح فرنجية؟**

ـ لا.

■ **هل كان مستنداً إلى دعم سوري؟**

ـ الدعم السوري للرئيس فرنجية طبيعي إذ كان على علاقة جد متينة بالرئيس حافظ الأسد، وموقفه من العلاقات اللبنانية ـ السورية معروف.

■ **ثمة من يقول إن الغرض من ترشيخ فرنجية كان فرض مرشح آخر؟**

ـ لا. الرئيس فرنجية ليس من النوع الذي يناور في هذه المسائل. الذين يعرفون الرئيس فرنجية يعرفون أهمية الالتزام بالكلمة لديه فضلاً عن أنه يعرف أن الصدقية السياسية لا تحتمل هذه المناورات البعيدة كل البعد عن شخصية الرئيس فرنجية.

قبل ١٧ آب بدأنا نسمع عن قطع طرق وكانت بالفعل خطيئة مميتة من قبل «القوات اللبنانية» كما أخطأوا في معارضة ترشيح فرنجية بالأسلوب الذي اعتمدوه. وصلنا إلى ١٨ آب فكانت الطرق مقطوعة وفوجئنا بأن الجنرال عون شارك مشاركة أساسية في ذلك، وبدأنا نتساءل عن جدية التزام عون تأمين العملية الانتخابية وحماية المؤسسات الدستورية وهي واجب على قيادة الجيش. وسمعنا بالتواتر أن عون عندما أعلن استعداده لتأمين

العملية الانتخابية إنما فعل على أساس أنه سيكون المرشح والرئيس. والصلة بيني وبين الجنرال عون انقطعت منذ ١٨ آب ١٩٨٨ ولا تزال. عندها طلبت من رئيس الحكومة أن يسأل الجيش وقوى الأمن الداخلي عن إمكانية تأمين المعابر إلى المقر الأساسي للمجلس في ساحة النجمة لأن قصر منصور تعرض للقصف، وعندما فكرنا في استخدام قصر الصنوبر الذي كان في عهدتي قال لنا الخبراء إنه غير آمن.

انقطعت الطرق بين المنطقتين وأدى سلوك «القوات اللبنانية» إلى إعطاء ذريعة للميليشيات في الغربية للنزول إلى الشارع فأصبح الوصول إلى قصر منصور متعذراً. هنا برزت فكرة غربلة الأسماء، وهي فكرة الرئيس ميتران التي تبنتها لاحقاً الولايات المتحدة والسعودية. الفكرة تقول بأن البطريرك صفير يجمع النواب الموجودين في المنطقة الشرقية ويضعون لائحة بالأسماء المقبولة لرئاسة الجمهورية، ثم تعرض هذه اللائحة عليّ وعلى الرئيس الحص ونقوم نحن بعرضها على النواب والجهات الموجودة في غرب العاصمة فيشطب غير المقبولين وتضاف أسماء جديدة إلى اللائحة التي تعود بعد ذلك إلى البطريرك. عندها تظهر الأسماء التي لم تتعرض للشطب وتعطى للجهة السعودية والأميركية، وكان الوسيط آنذاك رفيق الحريري، ثم ترسل الولايات المتحدة والسعودية اللائحة إلى سورية فتنتقي منها الأسماء التي لا تشكل تحدياً لها وللعلاقات بين البلدين.

البطريرك صفير أرسل لنا الفكرة مع المطران خليل أبي نادر وقبلنا بها أنا والرئيس الحص، أي فكرة الغربلة. انتظرنا أن تأتينا اللائحة ولكن جاءنا المطران أبي نادر هذه المرة ونقل رأياً جديداً من جانب البطريرك صفير يقول بأنه، من الأفضل واختصاراً للوقت إرسال الأسماء من دون عرضها علينا. وهذا ما اضطرني إلى أن أحمّل المطران أبي نادر رسالة ترفض هذه الفكرة وقلت إذا كان المقصود جانب المسلمين في لبنان فهم لبنانيون أولاً وليسوا جالية مصرية كما حدث عند اتفاق الشيخ بشارة الخوري مع مصطفى النحاس باشا عام ١٩٤٣. ولسنا جالية مصرية كما جرى ذلك التفاهم بين فؤاد شهاب وعبدالناصر. ولسنا قبلها جالية سورية عندما جرى التفاهم بين بشارة الخوري وشكري القوتلي بعدما ضعف مصطفى النحاس باشا. ولسنا جالية فلسطينية عندما جرى التفاهم بين شارل حلو وياسر عرفات. ولسنا جالية سورية اليوم حتى يكون المهم هو اتفاق الجهة المارونية مع النافذ العربي السوري اليوم. إن مثل هذا الاتجاه لن ينجح.

عندما وصل الكلام إلى البطريرك صفير كان هناك رأي سمعناه لاحقاً على لسان السفير الأميركي جون مكارثي، وبعد الاحتجاج من قبلنا على اجتزاء عملية الغربلة، أن صاحب فكرة الاجتزاء كان السيد رفيق الحريري، بل أكثر من ذلك فقد قال الحريري عنا إننا نتكلم ضمن أربعة جدران لكننا لا نجرؤ على أي قول عندما يتم التفاهم مع سورية. هذا الأمر اضطرني آنذاك

إلى الإعلان عن نتيجة المحادثات مع المطران أبي نادر. والواقع أنه لو كان الرئيس الأسد خصوصاً أو الجانب السوري عموماً يقبل بمثل هذه الصفقات لحصل الأمر في العام ١٩٧٦ ولما تأخر الموضوع. ما أريد قوله أن الفكرة فشلت ولم يعد هناك دور للوسيط السابق أو لأي وسيط آخر، وانتقلت المسألة إلى يد ريتشارد مورفي الذي راح يقود محادثات للاتفاق على مرشح واحد.

■ **كيف جاء اسم مخايل الضاهر ومن طرحه؟**

ـ كان هناك عدد من الأسماء المطروحة وبينها مخايل الضاهر.

■ **من أبلغك باسم مخايل الضاهر؟**

ـ ريتشارد مورفي.

■ **ألم تبلغكم سورية باسمه؟**

ـ إطلاقاً، سورية عُرض عليها اسم مخايل الضاهر.

■ **من طرح الاسم إذاً؟**

ـ ما أعرفه أن مورفي وصل إلى بيروت من دمشق والتقى بي وقال إنه كانت هناك محادثات طويلة ومضنية في دمشق وطرحنا عدداً من الأسماء وتوصلنا إلى شيء إيجابي وهو موافقة سورية على انتخاب الشيخ مخايل الضاهر.

■ **لم يذكر لك الأسماء الأخرى؟**

ـ لا ولم أناقش هذا الموضوع، كان الهمّ قطع الطريق على الفراغ القاتل.

■ **هل رفض الرئيس الجميل مخايل الضاهر؟**

ـ ليست لدي معلومات دقيقة.

■ **حددتم الجلسة في ٢٠ أيلول ولم يكتمل النصاب؟**

ـ لم تفتح الطرق التي وعد الجنرال عون الرئيس الحص بفتحها خصوصاً الساتر الترابي الذي كان قرب أوتيل ريجنت في ساحة الشهداء.

■ **قام الرئيس الجميل بزيارة شهيرة لدمشق قبل يوم من انتهاء ولايته، ماذا عرفتم عنها؟**

ـ ظهرت الفكرة عندما زارني غسان تويني وقد تجاوبت سورية. عند وصول الجميل إلى دمشق أبلغه الكولونيل سيمون قسيس (مدير المخابرات في الجيش اللبناني آنذاك) رسالة من العماد عون الذي اجتمع في اليرزة مع الدكتور سمير جعجع والمرحوم داني شمعون ومفادها أن عليه أن يقفل راجعاً من دون التعهد بشيء. واعتقادي أن الرئيس الأسد أراد أن يساعد الرئيس الجميل الذي بعد تبلغه الإنذار ـ الانقلاب قال إنه سيعود للاجتماع بالبطريك صفير والنواب في بكركي لإقناعهم

بالسبيل الإيجابي. وباعتقادي أن الرئيس الأسد أبلغه جواباً على طلب الضمانات وبغض النظر عما إذا كانت المحاولة ستنجح.

■ **وبعد ذلك؟**

ـ قبل ذلك كان هناك كلام عن نية رئيس الجمهورية تشكيل حكومة وهذا ما جعلني أعلن رسمياً أن أي محاولة من هذا النوع ستؤدي إلى تأزيم الوضع وستصبّ في مجرى تقسيم البلاد وازدياد العنف والتوتر فضلاً عن أن الأمر غير دستوري لأن المهلة الدستورية لانتخابات الرئاسة هي فترة تصريف أعمال بالنسبة إلى الرئيس. وأبلغنا هذا الموقف إلى سفراء الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن.

■ **ماذا حدث في ٢٢ أيلول، أي اليوم الأخير من عهد الجميل؟**

ـ بدأنا نسمع أن الرئيس الجميل استدعى الزميل بيار حلو وفاتحه في تشكيل حكومة. بدأت الاتصالات وفشلت. وعندما رأى الزميل حلو أن الموضوع يقتصر على فريق واحد من اللبنانيين رفض الدخول فيه، من هنا بدأت الاتصالات مع الرئيس الحص وتولاها المرحوم داني شمعون من قصر بعبدا، وكان البعض ينقل إلي الكلام نفسه. اقترح شمعون توسيع الحكومة القائمة (حكومة الحص) وقالوا إنها تمثل الصقور في الجانب الإسلامي في حين إنها ضعيفة التمثيل في الجانب

المسيحي بعدما غاب عنها كميل شمعون وبيار الجميل. بحثنا أنا والرئيس الحص ووافقنا على المبدأ وبدأ البحث في الأسماء، ولم يتلقّ الرئيس الحص جواباً نهائياً سوى الإعلان عن تشكيل حكومة برئاسة العماد عون ولدت ميتة بعد استقالة ثلاثة وزراء أي نصف أعضائها.

■ **هناك من يقول إن دمشق كانت تمارس ضغوطاً عليكم؟**

ـ أي جواب على مثل هذا السؤال يشكل تشويهاً لواقع الحال آنذاك. الموضوع لا يتطلب أن تضغط سورية في هذا الاتجاه أو ذاك لأن الخلاف كان يشمل كل الرأي العام اللبناني وبالتالي من غير المعقول تناسي الواقع القائم على الأرض. كان من المهم جداً أن تقدم سورية مساعدة تتمثل باستقبال الرئيس الجميل في نهاية ولايته وأن تقبل بعقد قمة سورية ـ لبنانية وأن تكون هذه القمة بداية مصالحة بين الجميع. وعندما فشل هذا الأمر وجاء تعيين حكومة عون بمثابة نوع من التحدي يصبح السؤال في غير محله. كان طبيعياً أن نبادر إلى الرفض، ولهذا عقد المؤتمر الوطني في البريستول والذي دعوت إليه وطلبت من الرئيس سليمان فرنجية أن يرأسه وقد أصدر موقفاً واضحاً لجهة رفض الحكومة.

■ **هل شاركت في بلورة صيغة خروج العماد عون من لبنان؟**

ـ لا ولكنني كنت على اطلاع ساعة فساعة على الأمر، ثم إن قانون العفو صدر قبل عملية الخروج.

■ **ماذا كانت عناوين الخلاف في لقاء الطائف؟**

ـ كثيرة. مسألة عدد النواب كانت خلافاً موقتاً، ذلك أن الفارق بين ١٠٨ و١٢٨ كان سينعكس على عدد الذين سيعيّنون، وعندما غلب رأي مؤيدي الـ١٠٨ لم يشكل الأمر تعديلاً دائماً، ذلك أنه عندما نصبح أمام انتخابات لا مجال للخلاف، فالعدد يعين في قانون الانتخابات وليس في الدستور. التشدد كان لأن الفارق بين العدد السابق في المجلس والعدد الذي سيتفق عليه سيعين وكأن الغرض عدم الإفساح في تعيين عدد كبير.

■ **عناوين الخلاف؟**

ـ موضوع نقل السلطة إلى مجلس الوزراء والمشاركة وتحديد صلاحيات مجلس الوزراء ورئيسه ورئيس الجمهورية والأمرة على القوات المسلحة.

■ **من كان صاحب نظرية الفصل بين الوفاق الداخلي والعلاقات مع سورية والانسحابات؟**

ـ أصلاً ورقة العمل المتداولة التي وضعت بيني وبين الرئيس الحص، وهي كانت نتيجة أوراق عمل كثيرة، كانت لا تفصل بين هذه المسائل. أولاً مسألة تحرير الأرض والموقف اللبناني

الموحد من تحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلي أمر أساسي في الوفاق الداخلي، وكذلك الموقف من العلاقة اللبنانية ـ الفلسطينية والموقف من العلاقة اللبنانية ـ السورية أساسي، والأمر نفسه بالنسبة إلى الموقف من الاحتلال الإسرائيلي.

■ هل تستطيع القول إنه لم تكن هناك أي مشاركة من غير اللبنانيين في صياغة اتفاق الطائف؟

ـ في ما يتعلق بالوفاق اللبناني ـ اللبناني لم يتدخل أحد على الإطلاق في هذا الأمر.

■ من كان يُطلع دمشق على مسار المناقشات؟

ـ عندما وصلنا إلى مسألة العلاقات اللبنانية ـ السورية وآلية إنهاء الحرب والالتزامات على سورية في تنفيذ الاتفاق، وكذلك التزامات الولايات المتحدة والعرب والأسرة الدولية لا بد حينئذ من موافقة من تترتب عليهم التزامات. كثيرون يتحدثون عن الطائف وتعديل الطائف. الطائف أصبح واقعة تاريخية وترجم إلى ميثاق وطني صدق عليه المجلس النيابي في القليعات وإلى دستور أقره المجلس النيابي في ساحة النجمة. أنت الآن أمام ميثاق وطني نجم عنه دستور. فأي تعديل يعني تعديل الدستور. إنه ليس ورقة عمل أو اتفاقاً ثلاثياً. للنص الدستوري طرق لتعديله.

■ هناك تهمة موجهة إليك وهي أنك انتزعت للطائفة

الشيعية في الطائف مسألة جعل ولاية رئيس المجلس النيابي ٤ سنوات، وأن السنّة انتزعوا صلاحيات لرئيس الوزراء في حين قال الطائف بنقلها إلى مجلس الوزراء مجتمعاً وأنك تغاضيت عن ذلك حين كنت في السلطة وها أنت تثيرها حين صرت في المعارضة؟

ـ أحيلك إلى خطاب ألقيته فور تجديد انتخابي على أساس الدستور الجديد في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٠ وشرحت هذا الأمر شرحاً دقيقاً، كما أحيلك إلى كلمتي في اتفاق الطائف حيث قلت إننا لم نأت لنأخذ من فئة بهدف إعطاء فئة، بل جئنا لنأخذ من كل اللبنانيين وكل الطوائف لنعطي دولة واحدة لكل اللبنانيين.

■ لماذا إذن هذا الجو المذهبي في البلد؟

ـ لا يمكن أن تحاسب النصوص وكان عليها أن تتولى بنفسها عملية تطبيقها، النصوص يجب أن يطبقها مسؤولون.

■ من تتهم بإفساد تطبيق اتفاق الطائف؟

ـ أتهم بتعطيل الفرصة على اللبنانيين في أن يقيموا مؤسساتهم من أكبر مسؤول إلى آخرين. وتحميل المسؤولية مضاعفة لرفيق الحريري كونه سلك مسالك أضرّت برئيس الجمهورية الذي يتحمل قسطاً من المسؤولية نتيجة موافقته على تجاوزات الحريري وارتكاباته الفاضحة التي أخلّت بواجب الأمانة لـ٢٢٠

ألف شهيد. ثم إذا أفسح في المجال لأصحاب الميليشيات أن يجددوا شبابهم فلن يمانعوا في تجديد سلطاتهم.

■ هل كان دور الحريري حاسماً في انتخاب الهراوي فردّ له الجميل بتعيينه رئيساً للحكومة؟

ـ لا، في اعتقادي أن الرئيس الهراوي واحد من الذين وصفهم السفير الأميركي مكارثي في مقابلة صحافية أثناء انعقاد لقاء الطائف وهو قال إنه اجتمع مع عدد من الذين يطرحون أنفسهم كمرشحين لرئاسة الجمهورية ومعظمهم يريد الإصلاحات السياسية على الورق، والرئيس الهراوي من هؤلاء الذين لم يدركوا أهمية قيام المؤسسات التي تحافظ على حقوق كل الناس.

أما لجهة السنوات الأربع لرئيس مجلس النواب، فأنا أقول إما أننا نريد أن تكون هناك سلطة تشريعية وإما لا نريد. فمدة السنة، كما قال العالم الدستوري ادمون رباط، تعني أننا لا نريد سلطة تشريعية. وقبل ربّاط هذا ما قاله الجنرال ديغول حين أجرى الإصلاحات الدستورية في فرنسا، ونحن نقلنا فترة السنة عن فرنسا، ثم جاء ديغول ليقول إن استقرار المؤسسات وقيامها بواجبها يستدعي إبطال هذه المصلحة التواطؤية بين رئيس المجلس والسلطة التنفيذية فهي التي تجدد له الولاية وهو الذي يساهم في إلغاء دور مجلس النواب. لو كان عندنا مؤسسات دستورية لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه. وعندما تعطل مجلس

الوزراء وتجيّره لشخص، فمن هنا خطورة تقزيم المؤسسات وتفصيلها على مقاس الأشخاص. وهنا أذكّر بأن الأخذ من طائفة وإعطاء أخرى يؤسس لأحداث جديدة أو لحرب جديدة.

■ خلال لقاء الطائف من كنتم تُطلعون على سير المناقشات سورية أم أميركا أم من؟

ـ لا سورية ولا أميركا ولكن كل شخص من المشاركين كان لديه هاتف خارجي. كان هناك ٦٢ نائباً يقيم كل واحد منهم في جناح مزود بهاتف دولي ويستطيع أن يتصل بفريقه أو من يرى ضرورة التشاور معه. أما موضوع النقاش الفعلي فكل شخص كان يجتزئ ما يحلو له. عندما بدأنا بحث العلاقات اللبنانية ـ السورية استدعى ذلك ذهاب اللجنة الثلاثية على المستوى الوزاري إلى دمشق.

■ ثمة من يقول إن اسم رينيه معوض طرح خلال زيارة أحد وزراء اللجنة لدمشق ومحادثاته مع الرئيس حافظ الأسد؟

ـ أشك في أن يكون قد طرح. أعتقد أنه قبل الانتهاء من الطائف لم يبحث أحد مع أحد في اسم محدد.

■ ومسألة محاولة إشراك العماد عون في لقاء جدة؟

ـ بمعزل عنا حصلت مطالبة من قبل عدد من النواب المسيحيين

للجنة العربية بوجوب دعوة العماد عون، خصوصاً أن اللجنة التي كان البطريرك صفير قد اعتمدها اعتمدتها أنا في صلب مجموعة الـ ١٧. وقد توجه هؤلاء إلى روما والتقوا البطريرك قبل الموافقة وأجروا اتصالات مع العماد عون والدكتور سمير جعجع والمرحوم داني شمعون وغيرهم. والواقع أن السفير الأخضر الإبراهيمي مبعوث اللجنة الثلاثية بذل محاولة لدى عون وكانت النتيجة التي تعرفونها.

■ انتهت الاجتماعات وذهبتم إلى باريس. لدى من كان اسم رينيه معوض قد تبلور فعلاً كرئيس؟

ـ لديّ ولدى عدد من الزملاء.

■ هل كان هناك تشاور مع البطريرك صفير حول اسم معوض؟

ـ كان التشاور مع البطريرك صفير أصلاً حول عدد من الأسماء.

■ هل كانت سورية مؤيدة لرينيه معوض؟

ـ طبعاً، مواصفات الوفاق الوطني كانت تتطلب شخصاً بمواصفات رينيه معوض. ثم إن علاقة معوض مع سورية لم تنقطع في أي وقت. من هنا استبعادي لوجود ما يستدعي الاجتماع (الرحلة السرية) للاتفاق على رينيه معوض، فقد كان

متفقاً عليه والعمل جارياً على تذليل العقبات وعلى قدم وساق. والواقع أن الوزير سليمان فرنجية لعب دوراً إيجابياً جداً في إقناع جده بتأييد معوض.

■ ماذا حدث أيضاً في تلك الأيام؟

ـ بعد عودتنا إلى بيروت واجهتنا عاصفة إسلامية وليس من الجانب المسيحي حيث كان العماد عون هو المعترض.

■ هل كان سمير جعجع مؤيداً للطائف؟

ـ نعم الجميع أيّدوا. بعد خروجنا من الطائف أصبحت آمال وصول العماد ميشال عون إلى الرئاسة ضئيلة **أولاً** بسبب ميل النواب إلى انتخاب واحد منهم رئيساً. **ثانياً** بادرنا «حزب الله» وحركة «أمل» والحزب التقدمي الاشتراكي وهيئات إسلامية بانتقادات. وحتى الذين جاملونا كالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى قالوا إنه اتفاق الضرورة بمعنى أن الاتفاق لم يكن بقدر ما نطمح إليه لكن إذا كان يوقف الحرب فنعتبره ضرورة.

عندما عدت إلى بيروت وعملاً بقرار قمة الدار البيضاء جاء الأخضر الإبراهيمي إلى بيروت لنتفق أنا وإياه على مكان إجراء الانتخابات، إما في قصر منصور أو في مكان آخر لتأمين هذا الشيء. هنا برزت معارضة العماد عون. قبل في البداية بقصر منصور لكن لم ينفذ شيء على الأرض. أنا أخذت في الاعتبار احتمالات عدة. طبعاً كان لا بد من نقل النواب الذين بقوا في

باريس إلى المطار وتقريباً حددنا المواعيد، ومن المطار إما إلى قصر منصور وإما إلى مقر مجلس الخدمة المدنية أو إلى قاعة في المصرف المركزي. أبلغنا الأخضر الإبراهيمي بفشل الترتيبات الأمنية التي دعا إليها بعدما أحجم ممثلو العماد عون عن الحضور، ثم جاءتنا معلومات أن العماد عون سيأمر اعتباراً من الخامسة صباحاً بقصف مطار بيروت لمنع هبوط أي طائرة كما سيقصف الطرق المؤدية إلى مجلس الخدمة المدنية والمصرف المركزي. وكان في ذهني مطار القليعات بديلاً لكن لم أبلغ أحداً، فهذا المطار بعيد عن مدى المدفعية. وكنت قبل ذلك فكرت في إحتمال اجراء الانتخابات في مقر البطريركية المارونية في الديمان ولكن تبين أن المقر والطرق المؤدية إليه لا تزال في مرمى المدفعية (التابعة لعون). عندها جمعت النواب الموجودين في لبنان في مكتبي وطلبت منهم الانطلاق إلى خارج بيروت ولم أبلغهم بالجهة المقصودة. اتفقت مع الضابط في مقدمة الموكب على أن الهدف هو الوصول إلى القليعات. ولم يعرف الصحافيون أيضاً. انطلق الموكب في الثالثة فجراً وتوجهت أنا إلى دمشق وأخذت طائرة إلى باريس.

كان السيد رفيق الحريري قد كُلّف من قبل الأخضر الابراهيمي بتأمين ٣ طائرات لأننا أخذنا في الاعتبار إمكانية قصف الطائرات. قررنا المجيء عن طريق تركيا ثم سورية. وفي اعتقادي أن سورية اتخذت إجراءات لحماية الطائرات في أجوائها من أي جهة متضررة. في باريس أبلغت النواب أننا

سنجري الانتخابات في مطار القليعات. النواب المقيمون في بيروت توجهوا إلى القليعات في ٤ تشرين الثاني/ نوفمبر وناموا على المقاعد وأجريت الانتخابات في اليوم التالي.

■ **في تلك الجلسة ترشح الرئيس الياس الهراوي. مرشح مَن كان؟**

ـ لا أعرف. فوجئت خلال الجلسة بإعلانه ترشحه.

■ **من رشّح الرئيس الهراوي بعد اغتيال معوض؟**

ـ بعد اغتيال الرئيس معوض أعيد الموضوع إلى الصفر. انتخب الرئيس معوض وتم إحياء رئاسة الجمهورية وكان المطلوب تشكيل حكومة لتحل محل الرئيس في حال تعرضه لخطر. عندما اغتيل الرئيس معوض لم تكن الحكومة قد شكلت وعاد الفراغ من جديد. هنا اتخذت قراراً، ولا أنسى تجاوب السيدة نايلة معوض معه. فخلافاً لعاداتنا وتقاليدنا قررنا أن ننتخب الرئيس الجديد قبل دفن الرئيس معوض. والواقع أنه نتيجة قرب النائب الاستاذ بيار حلو من الرئيس معوض ونتيجة مشاركته القريبة في مشاورات الطائف وقبله، ولأن الحكومة التي اتفقنا عليها قبل اغتيال الرئيس معوض بدقائق كان في عدإدها بيار حلو، اتجهت الأنظار إلى بيار حلو. وتجاوب الجميع، بمن فيهم المرحوم جوزيف سكاف الذي لم يستطع الحضور لسبب صحي، بعد الإجهاد في الطائف وبسبب تأثير

المناخ على من يعانون ارتفاعاً في الضغط. رفض الزميل بيار حلو منذ اللحظة الأولى قبول الرئاسة وأعتقد أن عوامل عائلية تدخلت.

■ هل كان نجاحه مضموناً؟

ـ نعم.

■ هل كانت سورية موافقة؟

ـ على رغم من أن المسؤولين السوريين لا يعرفونه، وعلى رغم مما هو شائع بأن «القوات اللبنانية» كانت تدعم ترشيحه وورود اسمه في لائحة البطريرك صفير، فقد أيده المسؤولون السوريون.

■ ويقال أن الرئاسة عُرضت أيضاً على جان عبيد؟

ـ لست على علم. لم يوافق بيار حلو. وكانت هناك عوامل أخرى، فقد استطاع الرئيس الهراوي أن يحصل على تأييد تجمع النواب الموارنة المستقلين وبعض من كانت أسماؤهم موضع بحث. هناك عوامل لا بد من أخذها في الاعتبار، منها ما سبق من اتفاق مع مورفي على ترشيح مخايل الضاهر ثم ما سبق من ترشيح للرئيس سليمان فرنجية. ثم إن اغتيال الرئيس معوض جعل من غير المنطقي طرح الرئيس فرنجية أو الضاهر لأن تفسيرات ستقول إنه تم اغتيال معوض لفرض الأسماء التي طرحت سابقاً. طبعاً الرئيس فرنجية صاحب مكانة كبيرة،

والأمر أيضاً بالنسبة إلى مخايل الضاهر. كان الهمّ الكبير هو الخلاص من فترة الفراغ الذي تحوّل فراغاً قاتلاً. لنتذكر كيف بقي مقعد لبنان شاغراً في الجامعة العربية وفقد أهلية الحضور وتمثيل نفسه. والأمر نفسه في الدار البيضاء. أصبحنا بلا أهلية تمثيل، لهذا كان الهمّ إعادة إحياء المؤسسات الدستورية بأي ثمن. وأنا قلت إنه لو تكررت الظروف لفعلت ما فعلته.

■ هل الحكومة التي اتفقتم عليها مع الرئيس معوض قبيل اغتياله هي نفسها الحكومة الأولى لعهد الهراوي؟

ـ طبعاً مع بعض التغييرات. مثلاً بيار حلو رفض الاشتراك بعد اغتيال معوض. جرى تبديل في بعض الأسماء.

■ قيل أن معوض فكر في إشراك سمير جعجع مقدمة لمصالحة شمالية؟

ـ فكر لكن جعجع اعتذر عن المشاركة، والأمر نفسه بالنسبة إلى جورج سعادة الذي رفض بعد اغتيال معوض، ولهذا تقرر إنزال عدد أعضاء الحكومة إلى ١٤ أي الحد الأدنى بموجب اتفاق الطائف. لهذا رأينا لاحقاً أن نضع اسم جورج سعادة وميشال ساسين وأن لا يبت في استقالتهما حتى ولو استقالا.

■ هل خرج رينيه معوض من الطائف رئيساً؟

ـ منذ البداية كان واضحاً أن شخصية رينيه معوض شخصية

وفاقية لم تسلك منحى التطرف في أي من فترات الصراع، حتى عندما لم نكن نحن نجاري الشهابية في عدد من توجهاتها السياسية، أو من حيث اعتمإدها جهات سياسية لسنا على وفاق معها، كان رينيه معوض على علاقة طيبة بمختلف الأفرقاء.

أستطيع أن أجزم أنه لم يكن هناك في الطائف بحث باسم الرئيس.

أما عن علاقتي بمعوض، فعندما أصبحت نائباً اخترت لجنة المال والموازنة ولجنة الاشغال العامة والنقل. كان جوزيف شادر رئيساً للجنة المال والموازنة ثم تولاها رينيه معوض. خلال رئاسة معوض لهذه اللجنة وتعاوني معه ظهر على حقيقته، ففي هذه اللجنة لا يمكن الاستمرار في الكلام العام ولا بد من التعامل مع الأرقام. والتعامل مع الأرقام في موضوع المناطق وإنصافها والإنماء المتوازن يكشف حقيقة الشخص، وهنا برزت شخصية معوض كرجل دولة يغلّب المصلحة العامة على أي مصلحة خاصة. لقد اكتسب معوض ما يمكّن النواب من الاطمئنان إلى شخصه. وبقيت مسألة أساسية تشكل العائق الأساسي أمام طريقه إلى الرئاسة وهي وجود الرئيس سليمان فرنجية كركن أساسي من أركان السياسة اللبنانية، وهما ينتميان إلى المدينة نفسها. هذا العائق حال دون وصول رينيه معوض إلى الرئاسة لسنوات. ثم إن التفكير في رينيه معوض ورد قبل انتخاب سركيس في ١٩٧٠ ولكن الهامش كان ضيقاً فإما

سركيس وإما ريمون إده، وهذه مسألة يجب ألا تغفل فاسم رينيه معوض لم يطرح فجأة.

وفي عهد الرئيس سركيس كان معوض من أركان مطبخ السياسة اللبنانية، وهو كان مقرباً جداً من الرئيس وبقي معه على صداقة حميمة جداً حتى وفاته. أنا لم أنتخب سركيس وقد سمينا آنذاك «المقاطعين» ولكن لاحقاً أظهر الرئيس سركيس لي وداً لم أكن أنتظره، وقامت بيننا علاقة حميمة على رغم وجودي في صف المعارضة.

الأحداث فرضت رينيه معوض لأنه الشخصية التي اجتازت كل الحواجز خلال الأحداث. كثيرون من اللبنانيين ومن الشخصيات المارونية اقتصر تنقلهم على منطقة معينة. بقي معوض يذهب إلى كل المناطق ومن الواضح أنه أصبح من الشخصيات المؤهلة أكثر من غيره.

■ **سألت عن محطات ملموسة. ألم يبحث في الرئاسة على هامش الاجتماعات الرسمية في الطائف؟**

ـ لقد حلت دون أي نشاط من هذا النوع حرصاً على إتمام موضوع الوفاق الوطني، ذلك أنه حتى بالنسبة إلى رينيه معوض، الذي كان بالنسبة لي المرشح الأول وقبل الطائف بكثير، كانت القناعة واضحة بأن التفاهم مع شخص ليصبح رئيساً ثم تحقيق الوفاق الوطني أمر غير صحيح وتجربة الرئيس

سركيس خير دليل. كان من رأي الأكثرية، وفي مقدمها رينيه معوض، أنه يجب أن يتحقق الوفاق أولاً وبناء على هذا الوفاق ينتخب الرئيس الجديد للجمهورية، وعند ذلك سيكون الرئيس قوياً في تطبيق الوفاق الوطني، بينما إذا أتى قبل الوفاق فإن أفرقاء كثيرين سيعرقلون عمله. من هنا كان الإصرار دائماً. وأكشف لك شيئاً أنه بحث مع رينيه معوض ما إذا كان قادراً على تحقيق الوفاق في حال انتخابه رئيساً فكان جوابه أنه إذا لم يلتزم الجميع الوفاق الوطني فإن أي رئيس، سواء كان رينيه معوض أو الياس سركيس أو فؤاد شهاب، لن يستطيع أن يفعل شيئاً. من هنا كانت فكرة التزامن التي تبناها مؤتمر الدار البيضاء أي تحقيق الوفاق بواسطة المؤسسة التشريعية ثم انتخاب رئيس جديد على أساس هذا الوفاق.

■ تحدث مقربون من الرئيس معوض عن زيارة سرية قام بها لسورية قبل أيام قليلة من انتخابه؟

ـ لا أدري ولكن الأمانة تلزمني القول أن العلاقة بين الرئيس معوض والرئيس حافظ الأسد لم تنقطع يوماً، وكذلك اللقاءات مع المسؤولين السوريين. وباعتقادي أنه لم تكن هناك أي حاجة على الإطلاق لمجيء رينيه معوض إلى دمشق ذلك أن دمشق كانت تضع اسم رينيه معوض بين الأسماء المقبولة منها قبل الذهاب إلى الطائف وبعد العودة منها. الظن أن هناك رحلة سرية حصلت ثم إنه على هذا الأساس جرى ترجيح انتخابه أمر

أنصحك بعدم تصديقه. الأمانة تقتضي مني القول إن القبول برينيه معوض رئيساً للجمهورية والعمل على تذليل العقبات لما للرئيس الأسد من رصيد في المسألة ككل أو لدى الرئيس فرنجية، لا يحتاج إلى زيارة سرية.

■ هل يقول الرئيس الحسيني إن الرحلة لم تحصل؟

ـ أقول إن الصلات لم تنقطع وإن الإجتماعات لم تنقطع، ولكن هذه الرحلة لا علم لي بها على الإطلاق. أنا من الذين عملوا لانتخاب رينيه معوض، وأشك في حدوث هذه الرحلة لأنها لم تكن ضرورية ولم تكن ثمة حاجة إليها.

■ هل كان رينيه معوض مرشح رفيق الحريري أيضاً؟

ـ لا، على الإطلاق. لم أبحث هذا الموضوع مع الحريري ولم يبحثه معي. أنا بحثت مع كثر. طبعاً عدد كبير من النواب فاتحتهم في موضوع الانتخاب في الطائرة عندما ذهبت إلى باريس. قبل ذلك كانوا يقولون إن هناك مساعي لانتخاب معوض لكنني فاتحتهم في الطائرة المتجهة من باريس إلى القليعات.

■ هل يعقل أن يُتفق على انتخاب الرئيس في الطائرة؟

ـ كان هناك عدد من الطامحين، والدليل أنه لدى وصولنا إلى القليعات رشح الرئيس الياس الهراوي نفسه ونال خمسة

أصوات والدكتور جورج سعادة (رئيس حزب الكتائب) رشح نفسه ونال ١٦ صوتاً.

■ هل كان عدم الوضوح من المناورات الهادفة إلى ضمان اكتمال النصاب؟

ـ غير صحيح، الفترة التي انتهى فيها الطائف وذهبنا خلالها إلى الجزائر والمغرب، ثم إلى بيروت ومنها إلى باريس للعودة بالنواب كانت فترة قصيرة. وبذل عدد كبير من المرشحين جهوداً سابقة. نحن كنا على اتصال مع عدد من النواب وعلى اتفاق معهم على اسم رينيه معوض...

■ قبل الطائف؟

ـ قبل الطائف وخلاله، ومنهم المرحوم النائب جوزيف سكاف، أي النواب الذين تربطني بهم رابطة تحالفية، لكننا لم نفصح عن ذلك حتى لا يؤثر موضوع انتخابات الرئاسة على الوفاق. كان المطلوب توفير إجماع حول الوفاق وأي ترشيح كان من شأنه أن يفتح باب الحسابات والطموحات الشخصية وأن يبلبل الوضع وهذا ما رفضناه.

■ ألم يكن للحريري دور في وصول معوض؟

ـ ليس في علمي أن الحريري آنذاك كان يستطيع أن يشتغل لرينيه معوض أو غيره.

■ ألم يكن الياس الهراوي مرشح رفيق الحريري؟

ـ قد، وهذا دليل على أنه لم يكن في موقع من يرجح أو من يستطيع أن يشتغل ويغيّر مجرى الأمور، وإلا لاستطاع تأمين وصول الهراوي سلفاً ومن المرة الأولى.

■ ماذا كان يمكن أن يكون دور رفيق الحريري في عهد رينيه معوض؟

ـ في الواقع، وكي أكون دقيقاً في جوابي، أقول إنه لم يكن لدى أحد منا أي اعتراض على إفساح المجال أمام رفيق الحريري وإمكاناته في ان يلعب دوراً إعمارياً وإنمائياً في لبنان، لكن لم يكن في ذهني أو في ذهن أحد ممن أعمل معهم وبينهم الرئيس معوض الذي لم يكن في ذهنه أي دور سياسي لرفيق الحريري. قال لي الرئيس معوض أنه رفض أي دور سياسي لرفيق الحريري حين فوتح بهذا الأمر وإنه لم يكن لديه أي مانع في أن يكون الحريري وزير دولة لشؤون الإنماء والإعمار خصوصاً أن قناعة الرئيس معوض وقناعتي وقناعة كل رفاقنا في التخطيط لمراحل إقامة الدولة كانت ان السيد الحريري لا يملك الإمكانات التي تؤهله لأن يلعب دوراً سياسياً، خصوصاً أن التجارب السابقة، سواء مع بداية الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وانتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية، ثم تجربته مع الرئيس أمين الجميل، ثم المشاكل التي حصلت من حيث الاعتراض على المنحى الذي لم يأخذ في الاعتبار تكوين لبنان في مشاريعه بدءاً

من ردم البحر من أنطلياس حتى بيروت، فضلاً عن مشاريع الضاحية التي كانت موضع اعتراض شديد من قبل كثيرين، وبالتالي هذا ما أدى في فترة من الفترات إلى إعلان السيد الحريري عن إحجامه أو توقفه عن السعي إلى أي عمل تجاري أو عائد للمقاولات في لبنان.

■ ولكن ما علاقة الحريري بانتخاب بشير الجميل وما هو دوره؟

ـ باعتقادي أنه كان على صلة بإحدى رحلاته إلى الخارج.

■ وهل لعب دوراً في وصول أمين الجميل؟

ـ لكنه كان على معرفة بما يجري عبر بعض النافذين وهذا واضح من سياق بعض الكتب التي صدرت. كل ذلك لا يجعلني أتخذ موقفاً مخاصماً للسيد الحريري لكنني لا أستطيع أن أقر بأن أشخاصاً من أمثال رفيق الحريري يستطيعون لعب دور سياسي في لبنان. فلبنان يخرج من حرب عمرها سنوات طويلة ورتبت خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات ودفع لبنان مئات آلاف الشهداء عبر تاريخه وكانت الدفعة الأخيرة ٢٢٠ ألف شهيد. لا يمكن جعل لبنان حقل تجارب لمن ليست لهم خبرة في شؤون الحكم. من هنا عندما تسألني عن سبب اختيارنا لرينيه معوض فإن الجواب نفسه يفسر تبريرات استبعاد أي دور سياسي لأمثال السيد رفيق الحريري.

■ هل بحث في إشراك الحريري في الحكومة التي كانت موضع تشاور قبل اغتيال معوض؟

ـ على ما علمت من الرئيس معوض فإن شخصاً ما فاتحه بدور لرفيق الحريري فأجابه ان بالامكان الاستعانة بإمكاناته وقدراته المالية في منصب وزير دولة لشؤون الإنماء والإعمار. هذا ما أبلغني به الرئيس معوض في الأيام الأولى لانتخابه ثم استبعد هذا الامر. ولم أعرف إذا كان الرئيس معوض صرف النظر أم أن السيد الحريري لم يقبل بتلك الصيغة. لكن التشكيلة الحكومية التي اتفقنا عليها قبل دقائق من اغتيال معوض لم تكن تتضمن اسمه.

■ كيف ترى دور رفيق الحريري في الطائف وإلى أي حد سهّل التوصل إلى الوفاق الوطني؟

ـ كان لرفيق الحريري دور في عدد من المحطات على ما نذكر. مؤتمر جنيف والذي كان لنا موقف واضح لجهة عدم الالتزام بما سيصدر عنه كون هذا المؤتمر لا يضم جميع اللبنانيين بل يضم الميليشيات وبعض الشخصيات اللبنانية في حين يهمل جميع الممثلين لكل الطوائف اللبنانية. إضافة إلى أن طوائف كاملة لم تكن ممثلة، كالأرثوذكس والكاثوليك والأرمن، والذين ذهبوا من طوائف أخرى لا يمثلون طوائفهم بالكامل. الوجه البارز في ذلك الاجتماع هو وجود رغبة في إنهاء الحرب عبر إشراك الميليشيات، فكان الرئيس الجميل

يمثل «القوات اللبنانية» أكثر مما كان يمثل الدولة اللبنانية خصوصاً بعد ١٧ أيار ومآسيه. ثم مؤتمر لوزان وهو صورة طبق الأصل عن مؤتمر جنيف، طبعاً مع تطور الأحداث على الأرض وزيادة النكبات. وأطلقت يوماً على ما يجري تعبير «الصفقة المريبة» أي بدلاً من إنهاء الالتباس في وضع الرئيس الجميل الذي كان ذا سيطرة على «القوات» التي كانت تسيطر على ما كان يسمى المنطقة الشرقية، في حين كان يحاول السيطرة بالقوى الشرعية على المنطقة الأخرى. وفي اعتقادي أن حزب الكتائب برئاسة والده المرحوم الشيخ بيار الجميل لم يسهّل له العمل من حيث تسليمه كرئيس شرعي للجمهورية.

■ **هل كنت مع المطالبين باستقالة الجميل؟**

ـ في لوزان، نعم كنت مع إنهاء الوضع الشاذ. إما أن يصبح رئيساً للجمهورية من دون ميليشيا المتن و«القوات اللبنانية» وإما يترك رئاسة الجمهورية ليأتي الرئيس الذي يستطيع أن يعيد للشرعية مفهومها. كان دور الحريري آنذاك كمعاون وبالتالي برز اسمه كمبعوث ووسيط.

وكان للحريري دور في الاتفاق الثلاثي من حيث المشاركة في صنع ملف موضوعي بين الميليشيات الرئيسية ابتداء من لوزان.

■ **ولكن كان لرفيق الحريري دور في لقاء النواب اللبنانيين في الطائف؟**

ـ لا أخفيك أن بعض النواب اعترض على وجود رفيق الحريري في قصر المؤتمرات بالطائف. كنت قد اتفقت مع موفد اللجنة الثلاثية العربية على إبعاد الإعلاميين عن مقر الاجتماع تفادياً للإثارة وطرح الأمور قبل أوانها وكي لا يعاني النواب من ضغوط خارجية. وهكذا طُلب من الصحافيين، وبينهم نقيب الصحافة ونقيب المحررين ورؤساء تحرير الصحف وكبار الإعلاميين، أن يقيموا في فندق يبعد عشرات الكيلومترات عن قصر المؤتمرات. ليلة وصلنا فوجئنا بالاعتراضات على وجود الحريري وثمة من قال إن مجرد وجوده في قصر المؤتمرات سيكون مصدراً لوضع غير مريح خصوصاً بعد الأدوار التي لعبها في جنيف ولوزان والاتفاق الثلاثي. الأمر الثاني هو كيف يمكن إبعاد نقيبي الصحافة والمحررين وكبار الإعلاميين عن مقر النواب وأن يسمح لشخص لا صفة له بالوجود في المقر. وبدا أن هذه النقطة ستكون موضع انتقاد من الإعلاميين.

نقلنا هذا الاعتراض إلى أحد وزراء اللجنة الثلاثية وجاء الجواب سريعاً أن المقارنة مع وضع نقيبي الصحافة والمحررين خاطئة لأن الحريري لا يحضر بصفة لبنانية، وهو يقيم في الطابق المخصص للجنة العربية والوزراء والسفراء والمعاونين الملحقين بها.

وكانت اللجنة قد رفضت التدخل ما دام النقاش يدور حول

أمور لبنانية ـ لبنانية إلى درجة أن وزراءها ومعاونيهم كانوا يجلسون في ركن خاص حتى في قاعة الطعام. وعندما حاول بعض النواب، خصوصاً من المسيحيين، الذهاب إلى ممثلي اللجنة للاعتراض على بعض الطروحات كان الجواب: نحن لا نتدخل في الأمور اللبنانية وعندما تنتهون من مناقشة الشق اللبناني سنكون في خدمتكم.

■ أردت السؤال عن سبب التغيير في رئاسة المجلس؟

ـ إنه أمر طبيعي في فترة الوقت الضائع واستعمال هذه الفترة لاستحداث أزمة اقتصادية واجتماعية وافتعالها من قبل بعض الذين جاءتهم فترة المراوحة كفرصة للارتداد على الإصلاحات السياسية.

■ تتحدث عن افتعال أزمة اقتصادية، فمن تتهم بافتعالها؟

ـ هل تعتقد أن أحداً في لبنان يجهل ما حدث في ٦ أيار/مايو ١٩٩٢، وهل هناك أحد يجهل كيف حصلت الحملة الإعلامية المدفوعة الأجر بهدف إيجاد حالة ذعر لدى اللبنانيين الذين يمتلكون ليرات لبنانية ودفعهم إلى الهروب إلى حيازة الدولار من أجل حدوث الانهيار. هذا إضافة إلى اشتراك مصرفيين، كان لهم قدر وقيمة قبل ذلك، في الترويج لارتفاع سعر الدولار وكل ذلك من أجل إسقاط حكومة الرئيس عمر كرامي والتمهيد لمجيء السيد رفيق الحريري.

■ هل تقصد القول أن الحريري ضالع في تلك الحملة؟

ـ طبعاً، وهذه المسألة نقطة سوداء في تاريخ كل من شارك في هذه الحملة، وبالتالي فإنها أعاقت قيام الدولة فترة زمنية معيّنة وإذا كان أصحابها قد استفادوا مالياً وحصّلوا بعض الأموال من أموال الشعب اللبناني فباعتقادي أن النهاية ستكون سيئة جداً لكل من شارك في تلك الحملة.

وأعود إلى السؤال السابق فأقول إنه بعد إجراء الانتخابات كان من الطبيعي أن لا أكون في التشكيلة وأنا واثق أن اللبنانيين لا يرونني عضواً في تشكيلة من هذا النوع وبالتالي لم أترشح لرئاسة المجلس.

■ يلاحظ أنك لا تلتقي الرئيس الحريري. هل القطيعة شخصية؟

ـ لا لكن ليس هناك ما يبرر مثل هذا اللقاء الذي في حال حصوله سيظهر وكأنني وافقت على مجيئه، ولهذا السبب أنا لم أشارك في استشارات التكليف أو التأليف وأي لقاء سيظهرني وكأنني موافق على هذا النهج، علماً أن اعتراضي هو أن تكوين السيد الحريري مناقض لصيغتنا ولطبيعة التكوين اللبناني السياسي والاجتماعي. المرحلة تذكّر بما قبل القرن السابع عشر وبداية الثورة الصناعية أي حين كانت هناك مجموعة من المقاولين أطلق عليها لاحقاً اسم البورجوازية، ولدى المجموعة

فكرة بدائية عن رأس المال الغاشم أي الاستيلاء على السلطة السياسية لتأمين الاستثمارات المالية. هذا حصل في ما قبل مرحلة دسترة الدول. إنها عقلية اجتياح الدساتير والقوانين وفرض حكم بدائي أي أن تمتلك شركة البشر والحجر وتحولهم كلهم إلى أُجراء. إن بلداً مثل لبنان خرج من حرب دفع فيها ٢٢٠ ألف شهيد لا يصلح لمثل هذا النهج. لذلك أقول إنه من الجريمة أن نحوّل بلدنا حقلاً للتجارب لمن ليس عندهم خبرة في الحكم ولم يسبق لهم أن تعاطوا الشأن العام، فكيف بعد تجربة سنتين مع السيد الحريري. يكفي التوقف عند إقالة الوزير بشارة مرهج خلافاً للدستور والقوانين، وقبل ذلك الوزير جورج افرام. ويكفي استرجاع الحوار الذي دار بين صحافي والسيد الحريري. الصحافي يسأل لماذا أقيل الوزير وكيف وبناء على أي نص، أي أن الصحافي ينطلق من أن الشأن شأن عام وأن الرأي العام معنيّ بالمسألة ويأتيك جواب الحريري: «الوزير مرهج زلمي آدمي وصاحبنا وعبكرة ببعت وراه بس أنا ورئيس الجمهورية ارتأينا ذلك وهذا ما حدث». بمعنى آخر اعتبر الحريري المسألة شأناً خاصاً وكأن الوزير هو عامل في جنينة أو بستان الحريري، وارتأى أن يقيله على رغم كونه «آدمي». هذا النوع من العقل في دولة دستورية ذات قوانين وأنظمة دفع ثمنها باهظاً هو ظاهرة خطيرة. ليس بيني وبين الحريري أي شأن شخصي ولا يعنيني شأنه الشخصي.

■ **متى تعرفت إلى الرئيس الحريري؟**

ـ أعتقد في منزل الرئيس صائب سلام بعد الاجتياح الإسرائيلي.

■ **ألم تكن بينكما أي علاقة قبل ذلك؟**

ـ لم أسمع به. في ذلك اليوم عرّفني إليه الرئيس سلام وكنا أنا والرئيس المرحوم تقي الدين الصلح في صدد كتابة بيان فدخل الرئيس سلام وقال: «هل هناك إمكانية أن نضيف فقرة تتضمن إشادة بأعمال رفيق الحريري الذي يزيل الأنقاض من كورنيش المزرعة». اعترضت على هذا الطلب وقلت نحن معنيون بمواجهة الاجتياح الإسرائيلي ولا مجال لإشادة من هذا النوع، ولكن هناك إمكانية أخرى وهي أنك بوصفك الرئيس سلام الزعيم اللبناني ونائب بيروت باستطاعتك بعد إعلان بيان اللقاء الوطني والإسلامي أن تدلي بتصريح تشيد فيه بدور الحريري وهو من باب الأعاجيب.

■ **لم تتفاهم مع وليد جنبلاط؟**

ـ وليد جنبلاط له موقع تمثيلي ومهم، وبالتالي فإن أموراً كثيرة أحاول أن أتفهمها، خصوصاً أن المطلوب طمأنة الجميع وإزالة المخاوف من أذهان الجميع. التعامل مع الفرقاء في الوطن هو غير التعامل مع الأشخاص. شخص وليد جنبلاط شيء آخر والمهم من يمثله وليد جنبلاط. ليس عندنا أي هدف في إنهاء مخاوف عند البعض وخلق مخاوف عند البعض الآخر.

المطلوب طمأنة الجميع لأن التكافل والتضامن يجب أن يكونا في إطار منطق المشاركة من ضمن المؤسسات والخروج من منطق الميليشيات والاستعانة بالقوى الطائفية والميليشيوية. بعض الأمور نختلف في شأنها مع جنبلاط وفي بعض الأمور نتفق معه طبعاً، مع رفضنا لمنطق الميليشيات ورفضنا لمنطق الزعيم الأوحد لدى أي جهة. لا إمكانية في لبنان لقيام زعيم أوحد في أي مكان من الأمكنة. والوفاق الوطني أخذ في الاعتبار إحداث الأمان والاطمئنان لدى جميع اللبنانيين عبر الانتقال إلى منطق الأحزاب ذات الشمولية الوطنية. الآن كل الأحزاب المحلية ذات سمة طائفية مهما أُلبست من ملابس، وجميع الأحزاب القومية لم تستوف الشمولية الوطنية وكذلك الأحزاب الأممية، وهذا ليس عيباً فيها بل هو عيب في صيغة الحكم التي كانت قائمة والتي لم تفسح المجال لقيام مؤسسات حزبية وطنية. الآن بعد إزالة الثغر من تكويننا الوطني، بما نصت عليه مقدمة الدستور، في اعتقادي أن المجال واسع أمام إقامة الأحزاب الوطنية. وإنني أدعو الجميع، سواء الأحزاب القائمة أو تلك التي يحتمل أن تقوم، إلى الافادة من هذه الفرصة وأن تأخذ دورها من أجل أن تكون لكل الطوائف والمناطق. لدينا أحزاب بعضها قاصر عن كل الشعب اللبناني وعن كل المناطق اللبنانية، وبعضها يتخطى الشعب اللبناني والجغرافية اللبنانية. المطلوب أحزاب على صورة الوطن اللبناني ومثاله.

■ **هناك حملة على الحريري لكن هناك شعوراً بأن البديل غير موجود؟**

ـ جوابي، وعن قناعة حقيقية، هو أن ليس عندي أسوأ من رفيق الحريري، أما الأفضل فأي شخص آخر هو الأفضل.

■ **يبدو أنك تتفاهم مع الدكتور سليم الحص؟**

ـ طبعاً الرئيس سليم الحص والرئيس عمر كرامي، وحتى الرئيس رشيد الصلح رغم التباعد الكبير، فهو على الأقل يستطيع أن يكون كفوءاً في الاستدانة أكثر من رفيق الحريري.



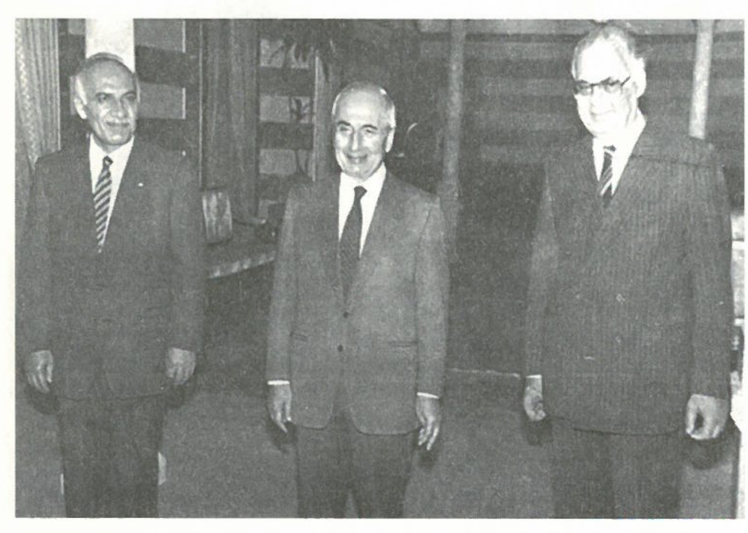
حسين الحسيني مع المؤلف



الإمام موسى الصدر وكمال جنبلاط وحسين الحسيني ونبيه بري



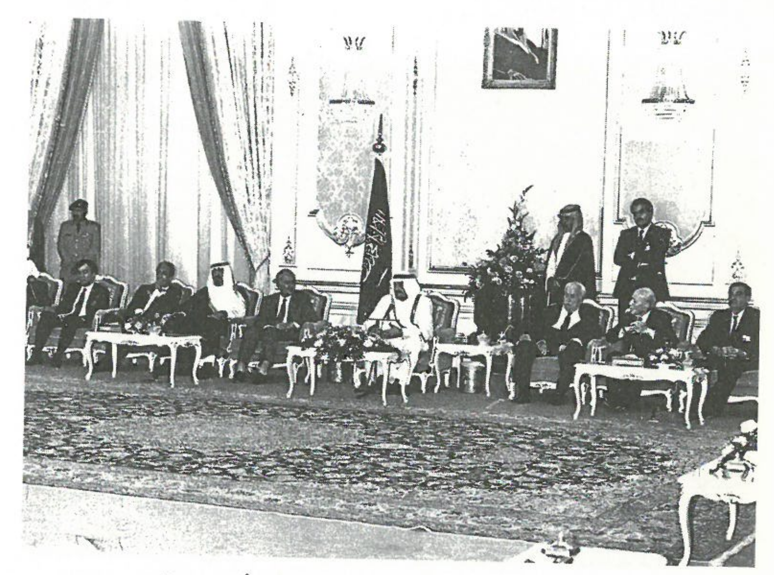
الحسيني مصافحاً حافظ الأسد وبدا الياس الهراوي وعبد الحليم خدام



رينيه معوض بين الحسيني وسليم الحص



الحسيني مع عدد من النواب خلال اجتماعات الطائف



مع الملك فهد بن عبد العزيز وولي العهد الأمير عبدالله

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

فهرس الأماكن

ع

ف

ق

ل

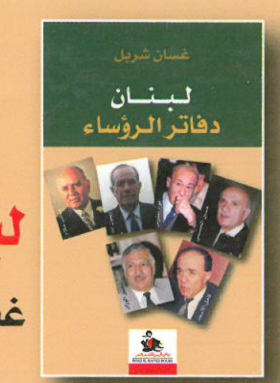
م

ن

هـ

و

ي



لبنان دفاتر الرؤساء

غسان شربل

لا يستطيع لبنان الهروب من قدره السوري. أحكام الجغرافيا مبرمة. وتتضاعف وطأتها على البلدان التي يكون تعدد الانتماءات فيها مرادفاً للهشاشة. يدفع لبنان الثمن مرتين: الأولى حين تكون سورية قوية ومستقرة والثانية حين يتوزع السوريون محاربين وقتلى ومذعورين ونازحين يملأون مدنه وقراه.

• • • في حكايات الرؤساء جزء من مأساة كيان هشّ اسمه لبنان وجزء من قصة الموارنة فيه وهي جميلة وشائكة.

لا يدّعي هذا الكتاب تأريخ مرحلة او ما يشبه ذلك. انّه كتاب صحافي يطمح الى أن يحرّض القارئ على المزيد من الأسئلة والمقارنة بين الروايات. لستُ معنياً بتلميع دور أو إدانة آخر. ولعل هاجسي خلال رحلة الحوارات هذه كان هاجس معظم اللبنانيين، وهو هل كان يمكن هذه الأقاليم ان تلتقي ذات يوم في دولة ووطن؟

(من مقدمة الكتاب)

